ليون تولستوي

الأعمال الأدبية الكاملة

١٤

الأعمال المسرحية الكاملة

الجزء الثاني

ترجمة

صيّاح الجهيم

علي مولا

الاشراف الفني : زهير الحمو

الأعمال المسرحية الكاملة

الجزء الثاني

كل ما كتب بخط اسود فقد ورد في النص الروسي
باللغـة الفرنسـية

ليون تولستوي

الأعمال الأدبية الكاملة
١٤

الأعمال المسرحيّة الكامله

الجزء الثاني

ترجمة :
صياح الجهيم

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٨٩

العنوان الأصلي للكتاب :

LÉON TOLSTOÏ

Théâtre complet

Préface et notes
d Alexandre V Soloviev

الأعمال المسرحية الكاملة ـ THEATRE COMPLET / تأليف :
ليون تولستوي ؛ ترجمة صياح الجهيم . ـ ط. ١ . ـ دمشق
: وزارة الثقافة ، ١٩٨٩ . ـ ٢ ج. (٨٤٣ ص.) ؛ ٢٥ سم
. ـ (الأعمال الأدبية الكاملة ؛ ١٤) .

١ ـ ٨٩١٫٧٢ت و ل أ ٢ ـ العنوان ٣ ـ تولستوي
٤ ـ الجهيم ٥ ـ السلسلة

مكتبة الأسد .

الإيداع القانوني : ع ـ ١٩٨٩/٢/١٣٧

ثمار الحضارة

ملهاة في أربعة فصول

١٨٩٠

الشخصيات

ليونيد فيودوروفيتش : ملازم في الحرس ، متقاعد ؛ ملاّك يملك أربعةً وعشرين ألف هكتار في ولايات مختلفة . في نحو الستين من عمره ، ما يزال نَضر العود ؛ وهو عالي التهذيب ، رقيق ، وأنيس . يؤمن باستحضار الأرواح ، ويُحبّ أن يُدهش الناسَ بقصصه .

آنا بانلوفنا زفيز دينتريفا ، زوجته : وهي امرأة بدينةٌ تتصابى ؛شديدة الحرص على المواضعات الإجتماعية ؛ تحتقر زوجها وتؤمن بطبيبها إيماناً أعمى ؛ وهي سريعة الغضب .

بيتسي :ابنتهما ، في نحو العشرين من عمرها ؛محبّة للحياة الإجتماعية ، تصرّفاتها طائشةٌ ورجولية ؛ تضع نظارة بلا ساعدين . مغناجٌ وضحوك . تتكلّم بسرعة وبوضوح شديد ، وهي تزمّ شفتيها كالغريبة .

باسيل ليونيديتش ، ابنهما ، عمره خمسةٌ وعشرون عاماً ، مجاز في الحقوق ،بدون شغل محدّد ،عضو في جمعية أنصار الدراجات ، وجمعية أنصار الخيول ، وجمعية تشجيع كلاب الصيد . شاب ذو صحة ممتازة وثقة بالنفس لا تتزعزع ، يتكلّم ، بصوت عال وباقتضاب ،جاداً بل ومتجهّماً حيناً ،وحيناً آخر صاخباً ، مرحاً ، ضاحكاً بملء حنجرته .

الكسي فلاديميروفتش : أستاذ في الجامعة . عالمٌ في الخمسين من عمره ، هادىءٌ في تصرّفاته ، باعث بسلوكه على الطمأنينة المريحة ،

يتكلّم بهدوء ، راضياً مختاراً ، وبصوت رخيم . يعامل كل مَنْ ليسوا من رأيه برفق وازدراء . يدخّن كثيراً ، وهو هزيل الجسم ، حَرِكٌ .

الطبيب : في نحو الأربعين ، ضخم الجسم ، قويّ ، أحمر الوجه . وهو فظّ ، قوي الصوت . يبتسم دائماً ابتسامةَ الراضي عن نفسه .

ماريا كونستانتينوفنا : فتاة في نحو العشرين ، طالبة في المعهد العالي للموسيقا ، استاذة بيانو ؛ لها تجعيدات شعر على جبينها ، أما زينتها فهي تساير آخر البدع على نحو مسرف . لطيفة المدخل ، وجلة .

بيتريشتيف : في الثامنة والعشرين ، مجاز في الآداب ، يسعى إلى أن يَشْغل نفسه ، عضو في الجمعيات نفسها التي ينتسب إليها « باسيل ليونيديتش » . وهو ، فوق ذلك ، عضو في جمعية تنظيم الحفلات الراقصة(بالحرير الهندي وبالكريتون). أصلع ، حيويّ الكلام والحركات ، مهذّب جداً .

البارونة ، سيدة ذات شأن . في الخمسين ، جامدة ، تتكلّم بدون نَبْر .

الأميرة : مدعوّة .

الأميرة الشابة : آنسة شابة اجتماعية ، متقزّزة ، مدعوّة .

الكونتيسة : مسنّةٌ ، تتحرك بجهد ؛ أسنانها صناعية وشعرها مستعار .

غروسمان : رجلٌ أسمر ، نموذج يهودي ، شديد الحركة والعصبية ، يتكلم بصوت عالٍ جداً .

ماريا فاسيليفنا : تولبوخينا ، سيدة رزينة جداً ، غنية ، ملأى بالسذاجة ؛ تعرف جميع الأشخاص المرموقين أمس واليوم . ضخمة الجسم ، تتكلم بسرعة شديدة ، وتحاول أن تطغى بصوتها على الأصوات الأخرى . تدخّن .

البارون كلنجن : (كوكو) ، مجاز من جامعة بطرسبرج ، نبيل في البلاط ، ملحق بالسفارة . عظيم اللياقة ، ولذلك فهو راضٍ ومرح بهدوء .

سيدة : (شخصية صامتة) .

سيرج ايفانوفتش : ساخاتوف ، في الخمسين ، وكيل وزارة سابق ، رجل أنيق ، ذو معرفة أوروبية واسعة ، لا يشتغل بشيء ، ويهتم بكل شيء . يتحلّى بالوقار بل وبشيء من القسوة .

تيودور ايفانوفتش : كبير الخدم ، في نحو الستين . رجل متعلم ويحب التعليم ، يُسرف في استخدام نظارته ومنديله الذي ينْشره ببطء .

غريغوري : خادم ، في الثامنة والعشرين ، جميل ، منحرف وحسود ووقح .

يعقوب : خازن خمور في الأربعين ، شديد السذاجة ، دائم الانهماك ، لا يهتمّ إلا بشؤون أسرته وقريته .

سيمون : مساعد الخازن ، في العشرين ، ريفيّ قوي ، غضّ الإهاب ، أشقر وما يزال أمرد ، هادىء ومبتسم .

حوذي : في الخامسة والثلاثين ، أنيق ، له شارب ، وقحٌ وجرىء .

طاهِ عجوز : في الخامسة والخمسين أشعث الشعر واللحية ، منتفخ الوجه ، أصفره ، مرتعش اليدين ؛ يرتدي معطفاً صيفياً رثّاً ، وبنطالاً وسخاً ، وجزمةً متهرّئة . يتكلّم بصوت أجشّ ؛ تخرج الكلمات من حنجرته وكأنها تخرج من من خلال حاجز .

طاهية : ثرثارة ، مستاءة ، في الثلاثين .

حاجب : جندي متقاعد .

تانيا : خادمة ، في التاسعة عشرة ، فتاة قوية ، نشيطة ، مرحة ، متبدّلة المزاج ؛ ترسل صرخات حادة في لحظات الفرح العظيم .

الفلاح الأول : في الستين ، كان رئيساً لمجلس القرية ، وهو يظن أنه يُحسن مخاطبة السادة النبلاء . وهو يحب أن يتكلّم بأناة .

الفلاح الثاني : في الخامسة والأربعين ؛ رجل ميسور ، خشن ، وصادق ، لا يحب فضول الكلام ، والد سيمون .

الفلاح الثالث : في السبعين ، يحتذي حذاء من قشر الشجر المجدول ؛ رجل عصبي ومضطرب ، مبادر ، خجل . يسعى إلى تغطية خجله بالكلمات .

خادم الكونتيسة الأول : شيخ من الطراز القديم ، يفخر بأنه خادم

الخادم الثاني : رجلٌ ضخم ، سوقيّ ، موفور الصحة .

ساعٍ تجاري : في معطف أزرق بلا كمين . أبيض الوجه ، أحمر الوجنتين ، يتكلم بوضوح شديد وبطريقة مهيبة .

تجري الأحداث في العاصمة ، في منزل آل زفيز دنتريف .

الفصل الأول

يُمثّل المسرحُ غرفة الانتظار في بيت ثري ، في موسكو . ولها ثلاثة أبواب . الباب الذي في مؤخّرة المسرح وهو يُفضي إلى مكتب ليونيد فيودوروفيتش وإلى غرفة باسيل ليونيدتيش . ويؤدّي الدرج إلى الطوابق العليا . وتحت الدرج باب يقود إلى غرفة الخدمة .

المشهد – ١ –

« غريغوري ، خادم شاب حسنُ الطلعة ، ينظرُ في المرآة ويُصْلح شعره » .

غريغوري : آه ! أنا آسف على شاربي ! هي تقول : لا ينبغي أن يكون للخادم شارب ! ولماذا ؟ لكي يرى الناس أنك خادم . وإلاّ صرتَ أحسنَ من ابنها الرشيق ! آه ! مِنْ هذا ! هيهات أن يجاريني في الحسن وإنْ لم يكن لي شارب ! (ينظر إلى المرآة ويبتسم) . وما أكثر النساء اللواتي يُغازلنني ! لكنْ لا تُعْجبني واحدةٌ منهن مثلما تُعجبني تانيا هذه ! ... إنها مجرّد خادمة ! . . . نعم . ومع ذلك فهي أفضل من الآنسة . (يبتسم) ساحرةٌ ! (يُصغي) . ها هي ذي ! (يبتسم) كيف تُطَقْطق بكعبيها الصغيرين !

المشهد — ٢ —

« غريغوري وتانيا التي ترتدي معطفاً مبطناً بالفرو وحذاء نصفيّ الساق » .

غريغوري : احتراماتي ، يا « تاتيانا ماركوفنا » !

تانيا : لمَ تتنظرُ في المرآة ؟ تظن نفسك إذن جميلاً جداً ! ...

غريغوري : ماذا ! أأنا قبيح المنظر ؟

تانيا : بين بين ، لا أنت بالحسن المنظر ولا أنت بالقبيح . لمَ تحتفظ دائماً بالمعاطف هنا ؟

غريغوري : سأرفعها ، يا آنسة . (يرفع معطفاً ويغطي به تانيا ويقبّلها) دعيني أقلْ لكِ ، يا تانيا . . .

تانيا : أوه ! دعني ! ما لكَ ! (تخلّص نفسها ، وهي مغضبة جداً) . قلتُ لك : اتركْني !

غريغوري : ناظراً إلى جميع الجهات : قبّليني !

تانيا : ماذا أصابكَ ؟ انظرْ كيف سأقبّلكَ . . . (ترفع يدها ، يُسمَعُ صوتُ الجرس ، ثم نداء باسيل ليونيدتيش : غريغوري ! ثم يُسمع صوتٌ جديد للجرس) . اذهبْ فباسيل ليونيدتيش يناديك . . .

غريغوري : يمكنه ان ينتظر . لم يَفتح عينيه إلا منذ برهة وجيزة . . . اسمعي ، لماذا لا تُحبّينني ؟

تانيا : ما هذا الحب الذي اخترعتَه ؟ إني لا احب احداً .

غريغوري : غير صحيح ؛ انت تُحبيّن سيومكا(١) . احسنتِ الاختيار ! فلاّحٌ يشتغل في غرفة الخدمة ، فلاح ثقيل الدم !

تانيا : ومع هذا فأنتَ تغار منه . . .

(باسيل ليونيديتش ينادي من خارج المسرح : غريغوري) !

غريغوري : اذهبْ عني ، لا داعي للعجلة ! . . باه ! ليس هناك ما يستحقّ الغَيْرة ! وانتِ ، التي لم تكدْ تتشذّبُ اخلاقُها بمَنْ تريدين ان تَرْبطي نفسكِ ؟ . . . سيكون الأمرُ مختلفاً لو أحْببتِني ، انا ، يا تانيا . . .

تانيا : ، مغضبة وجادة : قلتُ لك : إنك لن تنال شيئاً مني .

(باسيل ليونيدتيش من خارج المسرح : غريغوري !)

غريغوري : أنتِ قاسيةٌ جداً !

(باسيل ليونيدتيش يصرخُ من خارج المسرح بصوت واحد ، وبكل قواه : غريغوري ! غريغوري ! غريغوري ! تانيا وغريغوري يضحكان) .

غريغوري : ومع ذلك ، فلوترين النساء اللواتي أحْبَبْنَني !

(صوت الجرس)

تانيا : حسناً ! اذهبْ إلى لقائهن ، واغربْ عن وجهي !

---

(١) سيومكا : تصغير تحقيري لسيمون الذي سيرد ذكره .

غريغوري : أنتِ غبية ، فأنا غير سيمون !

تانيا : سيمون يَسْعى إلى الزواج بي لا إلى ارتكاب الحماقات .

المشهد — ٣ —

« غريغوري ، تانيا ، ساع تجاري ومعه كرتون كبير فيه ملابس » .

الساعي : صباح الخير !

غريغوري : صباح الخير ! . . . منْ قبل مَنْ ؟

الساعي : من محل بورديبه(١) ، ومعي فستان . وهذه رسالة للسيدة .

تانيا ، تأخذ الرسالة : اجلسْ هنا . سأسلّمها إياها .

(تخرج)

المشهد — ٤ —

(غريغوري ، الساعي ، باسيل ليونيدتيش يشقّ الباب وهو بقميصه وخفّيه) .

باسيل ليونيديتش : غريغوري !

غريغوري : حاضر !

باسيل ليونيديتش : غريغوري ! . . . أأنت أصمّ ؟

غريغوري : لقد عُدت لتوّي .

باسيل ليونيدتيش : هات الماء الساخن والشاي .

---

(١) بورديبه : مخزن للأزياء الفرنسية في موسكو .

غريغوري : سيحملهما سيمون إليك .

باسيل ليونيدتيش : وهذا ، ما هذا ؟ من عند بورديه ؟

الساعي : نعم ، يا سيدي .

(يخرج باسيل ليونيدتيش وغريغوري ، ضَرْبة جرس)

المشهد — ٥ —

« الساعي ، تانيا »

تانيا ، تُهرَع على صوت الجرس وتذهب لتفتح الباب : انتظرْ

الساعي : أنا منتظر .

المشهد — ٦ —

« الساعي ، تانيا وساخاتوف الذي يدخل »

تانيا ، لساخاتوف : المعذرةَ ، لقد خرج الخادم قبل لحظة ، فتفضّلْ بالدخول . اسمحْ لي .

(تأخذ معطفه)

ساخاتوف ، يدخل وهو يُصلح ثيابه : هل ليونيدفيدوروفيتش هنا ؟ وهل نَهض من نومه ؟

(صوت الجرس)

تانيا : أوه ! نعم ؛ ومنذ وقت طويل !

المشهد — ٧ —

« الساعي ، تانيا ، ساخاتوف ؛ يدخل الطبيب »

الطبيب ، يبحث عن الخادم . يشاهد ساخاتوف فيحيّيه بلا كلفة :
آه ! احتراماتي !

ساخاتوف ، محدّقاً فيه : أنتَ الطبيب ، على ما يبدو لي .

الطبيب : وأنا ، كنتُ أظنّكَ في الخارج . جئتَ لترى ليونيد فيودوروفيتش ؟

ساخاتوف : نعم ، نعم . وأنت ؟ هل في المنزل مريض ؟

الطبيب ، مبتسماً : ليس هذا بالضبط . لكنك عالمٌ بأحوال هؤلاء السيدات ! فهن يَقْضين لياليهن حتّى الساعة الثالثة يَلْعبن « الهويست » ، مشدودات الخصور ،رقيقات كالبلور . . . ومع هذا فالسيدةُ سمينةُ ولابأس بسنّها . . .

ساخاتوف : أبهذه الألفاظ تُعْلِمُ آنا بافلوفنا بتشخيصك ؟ لن يُرضيها ذلك ، على ما أتصوّر .

الطبيب ، ضاحكاً : لكنّ هذه هي الحقيقة . إنهن يَفْعلن كلّ ذلك ثم تأتي الاضطرابات الهضمية ، وتعب الكبد والأعصاب ، وحينذاك أُستَدْعى ، وعليّ أن أُصلحَ كل شيء . ما الحيلة ؟ (يضحك) وأنتَ ماذا جاء بك ؟ أنت أيضاً من مُسْتحضري الأرواح ، فيما أظن ؟

ساخاتوف : أنا ؟ لا ، لستُ كذلك . حسناً ! طاب صباحك !

(يهمّ بالانصراف ، لكن الطبيب يوقفه) .

الطبيب : وأنا أيضاً لستُ كذلك . ومع ذلك ، فعندما يتعاطى هذا

الاستحضارَ رجلٌ مثل كروغوسفيتاوف ، وهو أستاذ في الجامعة ، مشهورُ في أوروبا ، لا بد أن يكون في الأمر سرٌّ ما ! كنتُ أود أن أحضر جلسة من تلك الجلسات ، لكنْ لا وقتَ لدي ، فأنا مشغول بأشياء أخرى . . .

ساخاتوف : نعم ، نعم ، طبت صباحاً .

(يخرج وهو يحييه بانحناءة خفيفة من رأسه)

الطبيب ، مخاطباً تانيا : هل نهضتْ السيدةُ من نومها ؟

تانيا : السيدة في غرفتها . تفضّلْ بالدخول .

(يخرج ساخاتوف والطبيب كلٌ من جهته)

المشهد — ٨ —

« الساعي ، تانيا وتيودور ايفا نوفيتش الذي يدخل ممسكاً بالجريدة » .

تيودور ايفانوفيتش للساعي : ماذا تفعل هنا ؟

الساعي :أرسِلْتُ من محل بورديبه ومعي فستان ورسالة . وطلبوا إليّ الانتظار .

تيودور ايفانوفيتش : آه ! من عند بورديبه ؟ (لتانيا) . مَنْ الذي جاءَ قبل قليل ؟

تانيا : السيد ساخاتوف ، سيرج ايفانوفتش ، ثم الطبيب ، بَقيا لحظةً هنا ، وتحدّثا عن استحدار الأرواح .

تيودور ايفانوفيتش ، مصحّحاً : استحضار .

تانيا : هذا ما قلتهُ ، استحدار الأرواح ، أتعلم ، ياتيودور

ايفانوفتش ، أن الأمور سارتْ سيراً حسناً ، في آخر مرة ؟ (تضحك) كانت تُسْمَع ضرباتٌ فتغيرُ الأشياءُ مكانَها .

تيودور ايفانوفيتش : وكيفَ عرفتِ ذلك ؟

تانيا : اليزابيت ليونيدوفنا(۱) هي التي روتْ لي ذلك .

المشهد — ۹ —

« تانيا ، تيودور ايفا نوفيتش ، الساعي ؛ يركض يعقوب حاملاً فنجان شاي » .

يعقوب ، للساعي : صباح الخير .

الساعي ، بحزن : صباح الخير .

(يقرع يعقوب باب باسيل ليونيدتيش) .

المشهد — ۱۰ —

الأشخاصُ أنفسهم وغريغوري .

غريغوري : هات .

يعقوب : أقداح البارحة لم تُعِدْها أنتَ لا هي ولا الصينيّة . أنا المسؤول عنها .

غريغوري : الصينية ؟ أخذها باسيل ليونيدتيش لسيجاراته .

يعقوب : حسناً ! ضع السيجارات في مكان آخر ! لأن الصينية مطلوبةٌ مني .

---

(۱) أي ابنة السيدة واسمها بيتسي .

غريغوري : طيّب ، سآتيك بها .

يعقوب : تقول لي دائماً هذا القول ، ثم لا تأتي بها . لقد بحثوا عنها منذ أيام ، ولم يجدوا صينية للشاي !

غريغوري : لكنّني سآتيكَ بها . . . ما هذه القضيّة ! . . .

يعقوب : الكلام سهلٌ ! أما أنا فهذه ثالثُ مرة أقدّم فيها الشاي ، وعليّ أن أُعدّ الغداء — إنّني لا أكفّ عن النطنطة طوال النهار ، هل في المنزل مَنْ هو أكثر شغلاً مني ؟ ثم لا يَستحسنُ أحدٌ شيئاً من ذلك ! . . .

غريغوري : بلى ، عمالك ممتاز ! أوه ! ما أطيبَ نفسه ! . . .

تانيا : أنت ، لا يعجبك أحدٌ ، ما عداك .

غريغوري ، لتانيا : لم أكلّمْكِ .

(يخرج)

المشهد — ١١ —

« تانيا ، يعقوب ، تيودور ايفانوفيتش ، الساعي »

يعقوب : على كل حال ، سيّان عندي . . . ألم تقلْ لكِ السيدةُ شيئاً بصدد ما حدث أمسِ ، ياتانيانا ماركوفنا ؟

تانيا : بصدد المصباح ؟

يعقوب : كيف أمكن أن يفلتَ من يديّ ؟ ألله أعلم ! ما كدت أبدأ بمَسْحه حتى أفلت مني ، وإذا به يتحطّم إلى ألف شظية ! لاحظّ لي ، في الحقيقة ! عبثٌ ما يقوله غريغوري

ميخايلوفتش ، فليس وراءه أحدٌ يَعْتني به غير نفسه ، أما عندما يكون للمرء أسرةٌ كأسرتي ، فلا بدّ من التفكير فيها وإطعامها . ولستُ أَنْفرُ من العمل . . . إذنْ لم تقلْ شيئاً ؟ الحمدُ لله ! كم ملعقة معك ، يا تيودور ايفانوفتيش ، واحدة أم اثنتان ؟

تيودور ايفانوفيتش ، يقرأ الجريدة : واحدة ، واحدة .

(يخرج يعقوب)

المشهد — ١٢ —

« تانيا ، تيودور ايفا نوفيتش ، الساعي . يُسْمع الجرس . يدخل غريغوري حاملاً الصينية ، والحاجب » .

الحاجب ، لغريغوري : أَبْلغ المعلِّمَ أنّ ها هنا فلاحين من القرية .

غريغوري ، مشيراً إلى تيودور ايفانوفيتش : قلْ ذلك لرئيس الخدم ، أما أنا فلا وقت لديّ .

(يخرج)

المشهد — ١٣ —

« تانيا ، تيودور ايفانوفيتش ، الحاجب ، الساعي »

تانيا : من أين جاء هؤلاء الفلاحون ؟

الحاجب : من مقاطعة « كورسك » ، على ما أعتقد .

تانيا ، مطلقةً صرخة حادة : إنهم هم أنفسهم . هذا والد سيمون ، وهو آتٍ من أجل الأرض . سأذهب إلى لقائهم .
(تخرج راكضةً) .

المشهد — ١٤ —

« تيودور ايفانوفيتش ، الحاجب ، الساعي » .

الحاجب : ما رأيكَ : هل ينبغي أن أَدعهم يدخلون ؟ يقولون : إنهم جاؤوا بصدد الأرض ، وأن السيد يعلم ذلك .

تيودور إيفانوفيتش : نعم ، من أجل شراء الأراضي . طيّب ، طيّب ، إنه مشغول الآن . قلْ لهم أن ينتظروا .

الحاجب : وأين ينتظرون ؟

تيودور ايفانوفيتش : في الفناء وسأستدعيهم حين يلزم الأمر .
(يخرج الحاجب)

المشهد — ١٥ —

« تيودور ايفانوفيتش ، تانيا ، يتبعها ثلاثةُ فلاحين ، غريغوري والساعي »

تانيا : إلى اليمين ، من هنا ، من هنا !

تيودور ايفانوفيتش : لم أسمح بادخالهم . . .

غريغوري : تستأهلين ، يا طائشة ! . . .

تانيا : لا ضَرَرَ من ذلك ، ياتيودور ايفانوفيتش ، فسوف ينتظرون هنا في ركن من الغرفة .

تيودور ايفانوفيتش : سيوسّخون الأرض .

تانيا : مَسّحوا أقدامَهم . ثم إني سأنظف الأرض أيضاً . (للفلاحين) . طيّب ! قفوا هنا .

(يدخل الفلاحون ؛ يحملون في مناديلهم المربوطة ، هدايا ، وحلوى وبيضاً ، ومناشف مطرّزة . . يبحثون عن الأيقونة المقدّسة ليرسموا علامة الصليب . يرسمونها وهم يتّجهون صوب الدرج . يحيّون تيودور ايفا نوفيتش ، ويقفون بَحزْم) .

غريغوري ، ليتودور ايفانوفيتش : يا تيودور ايفانوفيتش ! يُقال : إن الأحذية التي في محل « بيرونيه»(١) بالغة الأناقة ، لكن ها هنا ما هو أفضل .

(يشير إلى الفلاح الثالث)

تيودور ايفانوفيتش : لا همّ لك إلا السخرية من الآخرين .

(غريغوري يخرج)

المشهد — ١٦ —

« تانيا ، تيودور ايفانوفتيش ، الفلاحون الثلاثة ، الساعي »

تيودور ايفانوفيتش ، ينهض ويتقدّم نحو الفلاحين : أنتم إذنْ من مقاطعة كورسك . . . وجئتم من أجل شراء الأراضي ؟

الفلاح الأول : نعم ، من أجل ذلك ؛ لإتمام عقد البيع ، مثلاً ؛ ليتلك تُعْلم السيّدَ . . .

---

(١) بيرونيه : مخزن للأحذية الأنيقة في موسكو .

تيودور ايفانوفيتش : نعم ، نعم ، أعْلَمُ ، أعلم . انتظروا هنا . سأُعْلِمه بوجودكم ، في الحال .

المشهد – ١٧ –

« تانيا ، الساعي ، الفلاحون الثلاثة ، باسيل ليونيدتيش خارج المسرح . الفلاحون يتلفّتون ويحارون كيف يضعون هداياهم » .

الفلاح الأول : نودّ لو تعطينا . . . كيف أقول . . . شيئاً نضعُ عليه كلّ ذلك . . . أيْ شيئاً يمكننا أن نحطّ عليه ما في أيدينا . — كالصينية مثلا ؟ .

تانيا : في الحال ، في الحال . وفي هذه الأثناء ، أعطوني إياها ، هكذا .

(تضع الهدايا على المقعد) .

الفلاح الأول : مَنْ عساه يكون هذا السيد المحترم الذي كلّمنا قبل حين ؟

تانيا : هذا رئيس الخدم .

الفلاح الأول : آه ! نعم ! رئيس الخدم ؛ هو في الخدمة أيضاً .. (لتانيا) . وأنتِ ، لعلك في الخدمة أيضاً ؟

تانيا : أنا خادمةٌ هنا . أنا أيضاً من « دميانسلك » ؛ وأنا أعرفكَ ، وأعرفكَ أنتَ أيضاً ؛ هذا العجوز الطيب وحده هو الذي لا أعرفُه .

(تشير إلى الفلاح الثالث)

الفلاح الثالث : عرفتِ الآخرينْ ولم تعرفيني أنا ؟

تانيا : أأنتَ « اينيم انتونيتش ؟

الفلاح الأول : بدون شك .

تانيا : وأنتَ ، أنت والد سيمون ، « زكريا تريفونيتش » ؟

الفلاح الثاني : صحيح !

الفلاح الثالث : وأنا ، « دميتري تشيليكين » . هل عرفتِني الآن ؟

تانيا : الآن عرفتكَ أيضاً .

الفلاح الثاني : وأنتِ ، مَنْ أنتِ ؟

تانيا : أمي أنيسيا ، امرأة الجندي ، أنا يتيمة .

الفلاح الأول والفلاح الثالث ، بدهشةٍ : غير ممكن !

الفلاح الثاني : ليس خطأً قولُهم « اشتر الخنزير بفلس؛ واتركه في الشيلم يُصبحْ جميلاً » .

الفلاح الثالث : الأمرُ كما قاتَ ؛ وهو كذلك . . . اوه ! يا إلهي !

باسيل ليونيدتيش يدق الجرس وينادي من خارج المسرح : غريغوري ! غريغوري !

الفلاح الأول : مَنْ الذي يكدُّ نفسَه بهذا الصراخ ؟

تانيا : هذا المعلّم الشاب .

الفلاح الثالث : آه ! نعم ! لقد قاتُ لكم أن البقاء في الخارج أفضل من الانتظار !

الفلاح الثاني ، بعد وقت: أأنتِ التي سيتزوجها سيمون ؟

تانيا : هل كتبَ إليكَ عن ذلك ؟

الفلاح الثاني : طبعاً كتَبَ إليّ . لكن فكرته كانت فكرةً سيئة ، أرى أن المدينة أفسدتْه .

تانيا ، بحدّة : أوه ! كلا ، على الإطلاق . أتريد أن أرساه إليك .

الفلاح الثاني : لا داعي للعجلة ، سوف ننتظر .

باسيل ليونيديتش يصرخ بشدة : غريغوري ! لاردّكَ الله !

المشهد — ١٨ —

« الأشخاص أنفسهم ، يظهر في الباب باسيل ليونيدتيش بالقميص ، وهو يضع نظارته »

باسيل ليونيديتش : أأنتم أموات ؟

تانيا : غريغوري ليس هنا ، يا باسيل ليونيدتيش ، سوف أُرسله إليك في الحال .

(تتجه إلى الباب)

باسيل ليونيديتش : كنت أعلم أنكم تتحدّثون هنا . من أين جاءت هذه الفزّاعات ؟ مَنْ هم هؤلاء ؟ . . .

تانيا : هؤلاء فلاحون من مقاطعة كورساك ، يا باسيل ليونيديتش.

باسيل ليونيديتش : وهذا ، مَنْ هذا ؟ آه ! نعم ، من عند « بورديبه » ؟

(الفلاحون يحيّونه فلا يلتفت إليهم . غريغوري يلتقي تانيا على الباب . تانيا تظلّ في الغرفة) .

المشهد — ١٩ —

الأشخاص أنفسهم وغريغوري

باسيل ليونيديتش : قلتُ لكَ : إن الحذاء الآخر هو الّذي يلزمني . لا أستطيع أن أحتذي هذا الحذاء .

غريغوري : لكنّ الحذاء الآخر أيضاً هناك .

باسيل ليونيديتش : هناك ، أين ؟

غريغوري : لكنه هناك .

باسيل ليونيديتش : أنتَ تكذب

غريغوري : ستَرَى

(يخرج باسيل ليونيديتش وغريغوري)

المشهد — ٢٠ —

« تانيا ، الفلاحون الثلاثة ، الساعي »

الفلاح الثالث : لعل هذا الوقت غيرُ مناسب بالنسبة إلينا . والأفضلُ أن نذهب إلى النزل لننتظر .

تانيا : كلاّ ، انتظروا هنا . سآتيكم بأطباق لتضعوا عليها هداياكم .

(تخرج)

المشهد — ٢١ —

« الأشخاص أنفسهم ؛ ساخاتوف ، ليونيد فيودوروفيتش يتبعهما تيودور ايفانوفيتش . يأخذ الفلاحون هداياهم ويصطفّون »

ليونيدفيودوروفيتش : للفلاحين : في الحال ، في الحال . انتظروا . (مشيراً إلى الساعي) . وهذا ، مَنْ هو ؟

الساعي : أنا من محل بوردييه .

ليونيدفيودوروفيتش : آه ! من محل بوردييه !

ساخاتوف ، مبتسماً : لستُ أنكرُ ، لكن يجب أن تعترف بأن من الصعب علينا ، نحن غير المطلّعين ، أن نؤمن بكل ما تَرْويه إذا كنا لم نَرَه . . .

ليونيدفيدوروفيتش : تقولون جميعاً : إنكم لا تستطيعون أن تؤمنوا ؛ لكننا لا نطلب الإيمان ، وإنما نطاب التجارب . وكيف تُريد ألاّ أومن بهذا الخاتم ، وقد جاءني من هناك ؟

ساخاتوف : وأين ذلك ؟ . . . مِنْ هناك ؟

ليونيد فيودوروفيتش : من العالم الآخر . . .

ساخاتوف ، مبتسماً : مثيرٌ جداً ، مثيرٌ جداً ! . . .

ليونيد فيودوروفيتش : لعلّك تظنُ أنني أبالغ وأنني أتصور أشياء لا توجدَ . لكنْ انظرْ إلى الكسي فلاديميروفيتش كروجو سفيتلوف ، فهو ليس رجلاً كباقي الناس ، فيما أعتقد ، لأنه أستاذٌ في الجامعة ، ومع ذلك فهو يعترف

بهذه الظواهر . وهو ليس وحده في ذلك . . . فهناك كروكس ، ووالاس(١) .

ساخاتوف : أجل ، لستُ أنكر ؛ وإنما أقول : إنه من الممتع جداً ، من الممتع جداً أن نعلم كيف يفسِّر « كروغو سفيتاوف» ذلك .

ليونيد فيودوروفيتش : إن له نظريةً خاصة به ! تعال إذن هذا المساء ، فسوف يَحْضُرُ بكل تأكيد ، وسوف نبدأ بـ « غروسمان » ذلك القارىء الشهير للأفكار ، أتعرفه ؟ . .

ساخاتوف : نعم ، سمعتُ به ، لكنْ لم تتسنَّ لي رؤيتُه .

ليونيد فيودوروفيتش : حسناً ! تعال ، إذن . غروسمان هو الذي سيبدأ ، ويتلوه « كابتشيتش » بحاسة الوسيط . (مخاطباً تيودور ايفانوفتش) . هل عاد الرسولُ مِنْ عند كابتشيتش؟

تيودور ايفانوفيتش : لا ، لم يعدْ بعدُ .

ساخاتوف : كيف أستطيع أن أعرف ، إذن ؟ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : تعال ، على كل حال ، فاذا لم يأتِ « كابتشيتش » وجدْنا وسيطاً آخر . ماريا اغناتييفنا وسيط أيضاً ؛ ليست بقوة « كابتشيتش » ، بيد أنها . . .

---

(١) كروكس ، والا س : عالمان انكليزيان كبيران ، من المؤمنين المتحمسين باستحضار الأرواح – وليام كروكس (١٨٣٢ ١٩١٩) . كيميائي وفيزيائي معروف ؛ الفرد والا س (١٨٢٣ – ١٩١٣) عالم من علماء الطبيعة ،وقد نشر سنة ١٨٧٥ كتاباً عن عجائب النزعة الروحانية الحديثة .

« الأشخاص أنفسهم ؛ تدخل تانيا ومعها أطباق لتضع عليها الهدايا . تُصغي إلى الحديث » .

ساخاتوف ، مبتسماً : نعم ، نعم ، لكنّ هناك شيئاً : لماذا يَنْتمي الوسطاءُ دائماً إلى عالمنا ، مثل « كابتشيتش » وماريا اغناتييفنا ؟ فاذا كانت تلك القوة قوة خاصة فيجب أن نعثر عليها في كل مكان ، في الشعب ، لدى الفلاحين .

ليونيد فيودوروفيتش : وهذا ما يقعُ ، هذا ما يقعُ كثيراً حتّى إن عندنا ، في البيت ، فلاحاً انكشف أنه وسيط . وقد دعوناه ، في هذه الأيام الأخيرة ، أثناء جلستنا ؛ كان ينبغي تحريك الأريكة ونسيناه . ولعله نام . تصورّ أن جلستنا انتهت ، وأن كابتشيتش أفاق ، فاذا بنا نلاحظ ، في الطرف الآخر من الغرفة ، قرب الفلاح ، بدايةَ مظاهر وسيطيّة : لقد أخذت الطاولة تتحرّك .

تانيا ، على حدة : عجباً ! كان ذلك عندما خرجتُ من تحت الطاولة .

ليونيد فيودوروفيتش : ومن البديهي أنه هو أيضاً وسيطٌ . ولا سيّما أنه يشبه « هوم » كثيراً بهيئته . . . أتَذْكرُ « هوم » ، الأشقر ، الساذج . . .

ساخاتوف ، هازاً كتفيه : هكذا إذن ! شائقٌ جداً . يجب إذن أن نجرّب .

ليونيد فيودوروفيتش : سنُجرّبُه . . . وهو ليس الوحيد ، فهناك

عددٌ هائلٌ من الوسطاء . لكننا لا نعرفُهم . هذا كل ما في الأمر . وهكذا استطاعت عجوزٌ مريضة ، أن تنقل جداراً من الحجر عن موضعه .

ساخاتوف : تنقل جداراً من الحجر عن موضعه ؟

ليونيد فيودوروفيتش : أجل ، أجل . كانت في فراشها . ولم تكن تعلم أنها وسيطة . أسندت يدها إلى الجدار فتراجَعَ الجدار .

ساخاتوف ، مبتسماً : وما انهارَ الجدار ؟

ليونيد فيودوروفيتش : لا لم يَنْهَرْ .

ساخاتوف : غريب . سآتي إذن هذا المساء .

ليونيد فيودوروفيتش : تعال ، تعال ؛ فسوف تُعْقَدُ الجاسة بكل تأكيد .

(يخرج ساخاتوف ويرافقه ليونيد فيودوروفيتش)

المشهد — ٢٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا ساخاتوف »

الساعي لتانيا : أَعْلمي السيدةَ بوجودي ؛ هل أنام هنا ؟

تانيا : انتظرْ . ستخرج مع الآنسة ؛ وهكذا فستمرُّ من هنا ، بعد قليل .

(تخرج تانيا)

المشهد – ٢٤ –

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا تانيا »

ليونيد فيودوروفيتش يتقدّم نحو الفلاحين الذين يحيّونه ويقدّمون له هداياهم : لا لزومَ . . .

الفلاح الأول ، مبتسماً: لكن هذا هو واجبنا الأول ! فبما أن مجاس قريتنا قرّر ذلك . . .

الفلاح الثاني : هذه هي العادة دائماً . . .

الفلاح الثالث : الأمرُ تافهٌ ولا يستحق الكلام ! فنحن مسرورون جداً . وكما أن آباءنا خدموا آباءك ، فكذلك نرغب نحن في خدمتك من كل قلوبنا ، لا على سبيل المجاملة .

(ينحني)

ليونيدفيودوروفيتش : لكنْ ، ماذا تريدون بالضبط ؟

الفلاح الأول : إلى منزل سعادتك ، يا ليونيد فيدوروفيتش ...

المشهد – ٢٥ –

« الأشخاص أنفسهم ، بيتريشتييف »

بيتريتشييف : يدخل مُستعجلاً وهو يرتدي معطفه : هل استَيْقظ باسيل ليونيديتش ؟

(يُحيّي ليونيد فيودوروفيتش حين يراه ، بإيماءة من رأسه) .

ليوتيد فيودوروفيتش : جئتَ لترى ابني ؟

بيتريشتيف : أنا ؟ جئتُ لأرى « فوفو » لحظةً . . .

ليونيدفيودوروفيتش : ادخلْ .

(يخلع بيتريشتييف معطفه ويدخل على عجل)

المشهد — ٢٦ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا بيتريشتييف »

ليونيد فيودوروفيتش للفلاحين : حسناً ! فيمَ ترغبون ؟

الفلاح الثاني : اقبلْ أولاً هدايانا .

الفلاح الأول ، مبتسماً : هدايا من القرية ، كما ترى .

الفلاح الثالث : لا كلفة بيننا . نرغب ، وأنت كالأب الحقيقي . . .

ليونيد فيودوروفيتش : حسناً ! احملْ هذا ، ياتيودور .

تيودور ايفانوفيتش : هيّا هاتوا هداياكم .

(يأخذ الهدايا) .

ليونيد فيودوروفيتش : ما الموضوعُ ، إذن ؟

الفلاح الأول : إلى منزل سعادتكم إنما جئنا . . .

ليونيدفيودوروفيتش : أعلمُ أنكم جئتم إلى منزلي ، لكن ما حاجتكم ؟

الفلاح الأول : جئنا بشأن عقد بيع الأراضي ؛ للتعجيل أي . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أنتم إذن تريدون شراء الأرض ، أليس كذلك ؟

الفلاح الأول : بالتأكيد ، تماماً ، فبما أنك عرَضْتَ علينا ، في

الصيف الماضي ، شراء الأراضي ، منحنا مجلسُ القرية تعويضاً مطابقاً للتشاور معاك . . . وبما أن ذلك يتمّ ، بواسطة مصرف الدولة ، وبالطوابع الرسمية . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أي أنكم تريدون شراءَ الأراضي مني بواسطة المصرف ؟ أليس كذلك ؟

الفلاح الأول : وهو كذلك . كما عرضتَ علينا هذا الأمر ، في الصيف الماضي . والمبلغ الذي يمنحنا إياه المصرف هو ٣٢٨٦٤ روبلاً لشراء الأراضي لملكيتّنا . . .

ليونيد فيودورفيتش : صحيح ؛ لكن كيف تدفعون الباقي ؟

الفلاح الأول : مثلما قلنا في السنة الماضية ، أنت تحدّد موعد الأقساط المستحقّة ، بحسب القانون ؛ أي أربعة آلافِ تتسلّمها في الحال . . .

الفلاح الثاني : أي أربعة آلاف تتسلمها في الحال ، أما الباقي فتَنْتظر . . .

الفلاح الثالث ، مقدماً المال : تستطيع أن تكون مطمئناً ، فنحن نفضّل أن نرهن أنفسنا على الإتيان بما يضرّك . . . ومهما يَحْدثْ فليكنْ ، لِننقلْ . . . لائقاً . أما المال فخذْ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : لكني كتبتُ إليكم أني لن أوافق على البيع إلا إذا جمعتمْ المبلغ كاملاً . . .

الفلاح الأول : هذا أفضل ، بالتأكيد ، لكنه غير ممكن ، يعني أن ...

ليونيدفيودوروفيتش : ما العمل ، إذن ؟

الفلاح الأول : كان مجلس القرية يأملُ ، بما أنك عرَضْتَ ، في الصيف الماضي ، تأجيل الدفع . . .

ليونيدفيودوروفيتش : كان ذلك في الصيف الماضي . . . كان العرضُ إذ ذاك مناسباً لي . أما الآن فلا أستطيع ذلك . . .

الفلاح الثاني : كيف نَفْعل ، إذن ؟ أنتَ قلتَ لنا ذلك ، فعملْنا هذه الورقةَ . . . وجمعْنا المال . . .

الفلاح الثالث : ارحمْنا ، أيها السيد ؛ فأرضُنا صغيرة لا مكان فيها لماشية ترعى ، بل ولا لدجاجة . . . (ينحني مُحيّياً) لا تَقْربْ الخطيئة ، يا سيّد .

(ينحني مرة ثانية)

ليونيد فيودوروفيتش : صحيحٌ أنني وافقتُ على التأجيل ، في السنة الماضية . لكنّ بعض الظروف . . . يَعْني . . . إن ذلك لا يلائمني الآن .

الفلاح الأول : لكننا سنَفْقد حياتنا ، بدون هذه الأرض .

الفلاح الثاني : بالتأكيد ، فبدون هذه الأرض ستَضْعُفُ حياتُنا ، وسيكون هلاكُنا .

تيودور ايفانوفيتش : ما القضيةُ ؟

الفلاح الأول : القضيّةُ ، أيها السيد المحترم ، أنه عرض علينا ، في الصيف الماضي ، أن يبيعنا الأرض . وبناءً على ذلك أبدى مجلس القرية رأيه وفوّضنا تفويضاً مطلقاً ؛ وها

إن ليونيد فيودوروفيتش يريد أن يقبض المبلغ دفعةً واحدة. وهو أمرٌ غير ممكن على الإطلاق بالنسبة إلينا . . .

تيودور ايفانوفتش : أمعكم كثيرٌ من المال ؟

الفلاح الأول : جئنا بأربعة آلاف روبل . . .

تيودور ايفانوفيتش : حسناً ! اعملوا جهدكم واجمعوا الباقي . . .

الفلاح الأول : لقد تعبْنا كثيراً حتى لجمعْنا في جَمْع ما جمعناه ، ولا طاقة لنا فوق ذلك ، يا سيدي . . .

الفلاح الثاني : لا يجودُ المرءُ بما ليس عنده . . .

الفلاح الثالث : لو كنا نستطيع لجمعْنا المبلغ كله بكل طيبة قلب ، لكننا لم نجمع هذا المال إلا بشقّ النفس . . . يا سيدي ، أرضنُا شديدة الصغر ، لا مكان فيها لماشية ترعى بل ولا لدجاجة . فاشفقْ علينا يا سيّدي واقبلْ المال .

ليونيد فيودوروفيتش ، ينظر إلى العقد الذي معهم : فهمتُ جيداً : أود لو أتمكّن من إرضائكم . انتظروا ، ففي ظرف نصف ساعة ، سأعطيكم الجواب . تيودور ، مُرْهم ألاّ يُدخلوا أحداً . . .

تيودور إيفانوفيتش : نعم ، يا سيدي .

« يخرج ليونيد فيودوروفيتش »

المشهد — ٢٧ —

الأشخاص أنفسهم ما عدا ليونيد فيودوروفيتش . الفلاحون حزينون .

الفلاح الثاني : إنه لمأزقٌ حقاً ! بعد أن أخذ يقول لنا الآن :

أَعْطوني المبلغ كله ؛ ومن أين نأتي به كله ؟

الفلاح الأول : وليته لم يُؤَمِّلْنا في الصيف الماضي . . . كنا نأمل كثيراً بالحصول على الأرض . . . طبعاً لأنه وَعَدَنا في الصيف الماضي ! . . .

الفلاح الثالث : أوه ! يا إلهي ! وأنا الذي فاتَ صرّة المال ! (يُعيد لفّ الأوراق في خرقةٍ) . والآن ماذا سنفعل ؟

المشهد — ٢٨ —

« الأشخاص أنفسهم ؛ باسيل ليونيديتش وبيتّريشتييف ، كلاهما في الباب والسيجارة في فمه » .

باسيل ليونيديتش : نعم ، لقد وعدتُ ، سأفعل كلَّ ما هو ممكن . إيه ماذا ؟

بيتّريشتييف : افهمْ جيداً ، إذا لم تُفْلِحْ في ذلك ، فالله أدرى بما ينتظرني .

باسيل ليونيديتش : لقد وعدتُ ، وسأفعل كل ما بوسعي فعلُه .

بيتّريشتييف : اوه ! لا قيمة لذلك ، أقول لكَ فقط : حاولْ أن تنجح . وسأنتظر .

(يخرج وهو يغلق الباب) .

المشهد — ٢٩ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا بيتّريشتييف »

باسيل ليونيديتش ، يشير بحركة من يده : الشيطان هو الذي يعلم ما هذا .

(ينحني الفلاحون ، باسيل ليونيدتيش ينظر إلى الساعي . مخاطباً تيودور ايفانوفيتش) .

لمَ لا تدعون الساعي الذي من عند بورديبه ينصرف . هل أقام عندنا ؟ انظرْ إليه قليلاً ، لقد أغفي . ايه ماذا !

تيودور ايفانوفيتش : لكننا سمّمنا رسالته ... وأمرْنا بأن ينتظر حتى تمرّ آنا بافلوفنا .

باسيل ليونيديتش ، ناظراً إلى أحد الفلاحين وهو يجمّع الأوراق النقدية : آه ! ما هذا ؟ نقود ؟ لِمَنْ ؟ لنا ، هذا المال ؟ (لتيودور ايفانونيتش) مَنْ هؤلاء الناس ؟

تيودور ايفانوفيتش : هؤلاء فلاحون من « كورسك » ؛ يريدون شراء الأراضي . . .

باسيل ليونيديتش : حسناً ! وهل بيعتْ لهم ؟

تيودور ايفانوفتش : كلا . لم يتّفقوا بعد . فهم متشدّدون .

باسيل ليونيديتش : آه ! ينبغي إذن إقناعهم . (للفلاحين) . إذن ستشترون ؟

الفلاح الأول : بالتأكيد ، ولقد تقدّمنا بعروض لنحصل على ملكية الأرض . . .

باسيل ليونيديتش : لكنْ لا تكونوا بخلاء إلى هذا الحد . تعلمون كم هي ضروريةٌ الأرضُ للفلاح . ايه ، ماذا ؟ إنها ضروريّةٌ جداً !

الفلاح الأول : طبعاً ، الأرض للفلاح هي الشيء الأول ؛ كذلك ...

باسيل ليونيديتش : حسناً ! فلا تتشدّدوا إذن ! ما الأرض ؟ يمكن زراعة القمح فيها ، ثلماً ثلماً ، ثم تَجنْون منها ، لنقلْ ثلاثمائة « مدّ(١) » ، كل مدّ بروبل ، فيكون المجموعُ ثلاثمائة روبل . أيه ماذا ؟ أو تزرعون النعناع فتحصلون على ألف روبل تجنونها من الهكتار الواحد .

الفلاح الأول : طبعاً ، جميع محاصيل الأرض تُعطي مَنْ يعتني بها منتوجاً .

باسيل ليونيديتش : ازرعوا النعناع إذن . لقد قمتُ بدراسات على النعناع ؛ وهي مكتوبة في الكتب . وسأُريكم إياها . ايه ، ماذا ؟

الفلاح الأول : طبعاً ، كل ما في الكتب فأنت تعرفُه خيراً منا . تلك أشياء من شغل الدماغ .

باسيل ليونيديتش : اعقدوا الصفقةَ إذن ، وادفعوا المال ، ولا تكونوا أشحّاء (لتيودور ايفانوفيتش) أين بابا ؟

تيودور ايفانوفيتش : في غرفته . وقد طلبَ إلينا ألا نزعجه الآن .

باسيل ليونيديتش : آه ! لا شك أنه يسأل الأرواح إن كان يجب أن يبيع هذه الأرض أم لا . ايه ماذا ؟

تيودور ايفانوفيتش : هذا ما لا أعلمهُ . كلّ ما أعلمه هو أنه خرجَ من هنا متردّداً .

---

(١) ثلاثمائة مد : أي نحو ٥٠٠٠ كغ .

باسيل ليونيديتش : ما رأيكَ ، يا تيودور ايفانوفتش ؟ أمعه نقود الآن ؟

تيودور ايفانوفتش : لا أدري ؛ فذلك غير مُحتمل . ولمَ تَسأل عن المال ؟ فحتى الأسبوع الماضي أخذت مبلغاً محترماً .

باسيل ليونيديتش : اشتريت بهذا المال كلاباً . ايه ماذا ؟ . أتعرف جمعيتنا الجديدة ؟ لقد انُتخب بيتريتشتيبيف ، وأنا اقترضتُ منه مالاً ، والآن سأَدْفع الاشتراكات عن نفسي وعنه . أيه ماذا ؟

تيودور ايفانوفتش : ماهذه الجمعية الجديدة ؟ جميعة أنصار الدراجات؟

باسيل ليونيديتش : لا ، سأُعْلمك ؛ هذه الجميعة الجديدة جمعية جادّة حقاً . أتعلم مَنْ رئيسُها ؟ ايه ماذا ؟

تيودور ايفانوفتش : لكنْ ، ما هذه الجمعية الجديدة ؟

باسيل ليونيلتيش : جمعيةٌ للتشجيع ، تشجيع نموّ الكلاب السلوقية الروسية الطويلة الشعر . ايه ماذا ؟ . وأحب أن أُعْلمك أن الجلسة الأولى ستُعقد اليوم وسيتناولوها غداءُ . لكني لا أملك المال اللازم . سأذهب إلى غرفته . وسأحاول .

المشهد — ٣٠ —

« الفلاحون الثلاثة ، تيودور ، الساعي »

الفلاح الأول لتيودور ايفانوفيتش : من هذا ، أيها السيد المحترم ؟

تيودور ايفانوفيتش ، مبتسماً : السيّد الابن .

الفلاح الثالث : الوارث ، لِنقلْ . اوه ! يا إلهي ! (يُخفي المال) الأفضل أن نخفي المال ، في هذه الأثناء .

الفلاح الأول : لقد قيل لنا مع ذلك : إنه كان عسكرياً ، نشطاً في سلاح الفرسان .

تيودور ايفانوفتش : لا ، هو مُعْفى من الخدمة العسكرية ، باعتباره وحيداً .

الفلاح الثالث : لنقلْ انهم تركوه ليعيل أهاه . هذا عدلٌ .

الفلاح الثاني ، هازاً رأسه : بالطبع ، سيُحسن هذا إعالتهم . . .

الفلاح الثالث : آه ! يا إلهي ! . . .

المشهد — ٣١ —

« الأشخاص أنفسهم ، باسيل ليونيديتش ؛ وخادمه ، على عتبة الباب ليونيد فيودوروفيتش »

باسيل ليونيديتش : إني ألْقى الشيءَ نفسه دائماً ؛ حقاً ، هذا مدهش ! أحياناً ، أسْأَلُ لمَ لا تَفْعل شيئاً ؛ فاذا وجدتُ شُغلاً أشتغل به — مثل هذه الجمعية الجادة التي أُنْشِئَتْ بأهداف نبيلة — خوصمتُ من أجل مبلغ حقير ، مبلغ ثلاثمائة روبل .

(١) باعتباره وحيداً :كان الأولاد الوحيدون المعتبرون سنداً للأسرة معفيين من الخدمة.

ليونيد فيودوروفيتش : قلتُ لكَ : إني لا أستطيع . إذنْ أنا لا أستطيع ! ولا مال معي !

باسيل ليونيديتش : لكنك بعتَ أرضاً قبل قليل ؟

ليونيد فيودوروفيتش : أولاً أنا لم أبعْ شيئاً . وقبل كل شيء دعْني وشأني . لقد أخبروك : أنه لا وقتُ لديّ .

(يغلق الباب بعنف)

المشهد — ٣٢ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا ليونيد فيودوروفيتش »

تيودور ايفانوفيتش : لقد قلتُ لك إن الوقتَ غير ملائم .

باسيل ليونيديتش : الوضع محرجٌ حقاً . سأذهب إلى أمي فهي ملجئي الوحيد . أما هو فقد جُنّ باستحضار الأرواح ، ونسي من جرّاء ذلك كلّ شيء .

(يصعد الدرج ، ويجلس تيودور ايفانوفتش ليقرأ الجريدة) .

المشهد — ٣٣ —

« الأشخاص أنفسهم . تنزل الدرج بيتسي وماريا كونستاتينوفنا ، يتبعهما غريغوري » .

بيتسي : هل العربة جاهزة ؟

غريغوري : وتهيّأت للمسير .

بيتسي ، لماريا كونستاتينوفنا : هيّا ، هيّا ، رأيت بعيني أنه هو نفسه .

ماريا كونستانينوفنا : من ، هو ؟

بيتسي : تعامين جيداً أنه بيتر يتشتييف .

ماريا كونستانينوفنا : و أين هو ، إذن ؟

بيتسي : عند « فوفو » ، ستريْن في الحال .

ماريا كونستانينوفنا : وإذا لم يكنْ هو ؟

(يُحييّهما الفلاحون والساعي).

بيتسي ، للساعي : آه ! أنتَ آتٍ من محل بورديه بالفستان .

الساعي : نعم ، يا آنسة . تفضّلي وَأْمرُي بذهابي .

بيتسي : لا أعلم . . . فالأمرُ يتعلّق بماما . . .

الساعي : لا أعلم بمَنْ يتعلق . لقد أُمِرْتُ أن أحْمل الفستان وأقبض الثمن .

بيتسي : حسناً ! انتظر إذنْ .

ماريا كونستانينوفنا : أهو الثوب نفسه الذي تريدينه للحفلة ؟

بيتسي : أجل ، وهو ثوب رائع ، وماما لا تأخذه ولا تريد أن تدفع ثمنه .

ماريا كونستانينوفنا : ولمَ ذاك ؟

بيتسي : اذهبي واسألي ماما . إنها تُعطي « فوفو » ثلاثمائة روبل لكلابه ولا تستكثرها ، أما أن تدفع مائة روبل ثمناً لفستاني ، فذلك كثير ! بيد أني بحاجة إلى ثوب للحفلة . (مشيرة إلى الفلاحين) . وهؤلاء ، مَنْ هم ؟

غريغوري : هم فلاحون ؛ جاؤوا ليشتروا أرضاً .

بيتسي : أظنهم صيادين . . . ألستم صيّادين ؟

الفلاح الأول : لا ، يا سيدتي . جئنا إلى منزل ليونيد فيدوروفيتش لابتياع . . . أرض .

بيتسي : كيف ذلك ؟ فمن المقدّر أن يزور فوفو بعضُ الصيادين . أحقاً أنكم لستم صيادين ؟ (يسكت الفلاحون) . ما أغباهم ! (تمضي نحو الباب) . فوفو !

(تنفجر ضاحكةً)

ماريا كونستالينوفنا : لكننا التقيناه قبل قليل .

بيتسي : لطيفٌ منكِ أن تتذكري ذلك . فوفو أأنت هنا ؟

المشهد — ٣٤ —

« الأشخاص أنفسهم وبيتريتشتييف » .

بيتريشتييف : فوفو ليس هنا ؛ لكنني مستعدٌ أن أفعل مكانه كلّ ما يُطْلَبُ مني . صباح الخير ، صباح الخير .

(يهزّ طويلاً يدَ بيتسي ، ثم يد ماريا كونستانينوفنا)

الفلاح الثاني : أترى ، كأنه يضخّ ماءً .

بيتسي : لا تستطيع أن تحلّ محلّه . لكن هذا خيرٌ من لا شيء . (تنفجر ضاحكة) . ما شَغْلك مع فوفو ؟

بيتريشتييف : الأشغال ؟ . . . أشغال ما . . . ليّة ، أي انها أشغالٌ

ما . . . وهي أيضاً « ليّة » ، وهي فضلاً عن ذلك أشغال مالية .

بيتسي : ما معنى « ليّة » ؟

بيتريشتييف : تلك هي المسألة . هذا لا يعني شيئاً بالضبط .

بيتسي : اوه ! ليست بارعة ، ليست بارعة ! .

(ينفجران ضاحكين) .

بيتريشتييف : لا يمكن للنكتة أن تكون دائماً بارعة . هي كاليانصيب : فالجوائز الكبرى قليلة في اليانصيب .

(يدخل تيودور ايفانوفيتش مكتب ليونيد فيودوروفيتش) .

المشهد — ٣٥ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا تيودور ايفانوفتش »

بيتسي : أوه ! لم تنجح هذه المرة ! قل لي : أكنتَ البارحة في منزل آل « أمّيغاسوف ؟ »

بيتريشتييف : لم أكنْ فقط عند أمّ غاسوف بل كنت أيضاً عند أبي غاسوف وعند أخي غاسوف .

بيتسي : أنتَ لا تستطيع أن تقول شيئاً دون اللعب بالألفاظ . أهو مرضٌ فيك ؟ أكان هناك غجرٌ ؟

(تضحك)

بيتريشتييف ، يدندن :

مئزرها مطرّز

بديوك صغيرة أعرافُها ذهبيّة !

بيتسي : لكم أنت سعيد ! ونحن يأكلنا الضجر عند فوفو .

بيتريشتييف ، مكمّلاً غناءه :

لقد عاهدتْني

وأقسمتْ أن تأتي إلى بيتي . . .

ما تتمّةُ الأغنية ، يا ماريا كونستا تينوفنا ؟

ماريا كونستاتينوفنا : لتَقْضي فيه ساعة .

بيتريشتييف : كيف ، كيف ، يا ماريا كونستا نتينوفنا ؟

(ينفجر ضاحكاً)

بيتسي : كفَّ ، أصبحتَ لا تُطاق .

بيتريشتييف : كفَفْتُ ، ولَفَفْتُ ، وقَفَقْتُ .

بيتسي : أرى أنه لا سبيل إلى كفّك عن مزاحك إلاّ بحمْلك على الغناء . تعال إلى غرفة فوفو ، ففيها قيثارة .

ماريا كونستاتينوفنا : هيّا .

(بيتسي ، ماريا كونستا نتينوفنا ، بيتريشتييف يخرجون)

المشهد — ٣٦ —

« غريغوري ، الفلاحون الثلاثة ، الساعي »

الفلاح الأول : وهاتان مَنْ هما ؟

غريغوري : إحداهما هي الآنسة ابنة السيّد ، الأخرى هي معلّمة الموسيقا .

الفلاح الأول : ما أعظم أناقتها ؟ كأنها صورةٌ حقيقية !

الفلاح الثاني : ولمَ لا يزوّجونها ! فهي في سن الزواج .

غريغوري : أتظنون أن الناس هنا يتزوجون في الخامسة عشرة ، كما هي الحال عندكم .

الفلاح الأول : وهذا السيّد الآخر ، أهو موسيقي ؟

غريغوري ، يقلّده : موسيقي ! أنتم لا تفهمون شيئاً !

الفلاح الأول : بالطبع ، الحقُّ معاك : وبسبب غبائنا ، وعدم تعلّمنا . . .

الفلاح الثالث : آه ! يا إلهي .

(تُسْمَع ألحانٌ غجرية ترافقها القيثارة ، في غرفة باسيل ، ليونيدتيش) .

المشهد — ٣٧ —

« غريغوري ، الفلاحون الثلاثة ، الساعي ؛ يدخل سيمون تتبعه تانيا التي تلاحظ الطريقة التي بها يتلاقى الوالد والولد »

غريغوري ، لسيمون : ماذا تريد ؟

سيمون : أُرْسِلْتُ إلى منزل السيد كابتشيتش .

غريغوري : وماذا قال ؟

سيمون : بعَثَ يقول : إنه لا سبيلَ إلى مجيئه هذا المساء للجلسة .

غريغوري : طيب ! سأخبر بذلك .

(يخرج)

المشهد — ٣٨ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا غريغوري » .

سيمون : صباح الخير ، يا أبي ! ايه ! العم ايفيم ، ايه ! العم دميتري ، مرحباً ! كيف صحةُ الأهل في البيت ؟

الفلاح الثاني : صباح الخير ، يا سيمون !

الفلاح الأول : صباح الخير ، يا صغيرُ !

الفلاح الثالث : صباح الخير ، يا بني ! أنتَ بخير ؟

سيمون ، مبتسما : أتريد شاياً ، يا أبي .

الفلاح الثاني : انتظرْ ، حتى نُنهي شغلنا . لا وقتَ لدينا الآن .

سيمون : طيب ! سأنتظركم أمام مطلع الدرج .

(يخرج)

تانيا ، راكضة وراءه : ولمَ لم تقلْ شيئاً ؟

سيمون : كيف أقول ذلك الآن أمام الجميع . انظري ، سوف يتناولون الشاي ، وحينذاك سأكلّم .

المشهد — ٣٩ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا سيمون ؛ يدخل فيودور ايفانوفيتش ويجلس قرب النافذة مع جريدته »

الفلاح الأول : أيها السيد المحترم ، كيف تسير قضيتنا ؟

تيودور ايفانوفتش : انتظروا ، أوشكَ أن يفرغ ، وسيَخرج بعد دقيقة .

تانيا ، ليتودور ايفانوفيتش : وكيف عرفتَ ؟

تيودور ايفانوفيتش : أنه سيفرغ ؟ . . . أعلم أنه عندما ينتهي من طَرْح أسئلته ، يقرأ بصوت عالٍ الطلبات والردود.

تانيا : أصحيحٌ أنه يمكن محادثة الأرواح ، بواسطة الصحون ؟

تيودور ايفانوفيتش : أنتِ ترَيْن أن الأمر كذلك .

تانيا : لو قالت له الأرواحُ إذنْ وقّعْ لوقّعَ .

تيودور ايفانوفيتش : بالتأكيد .

تانيا : لكنها لا تجيب بالكلام .

تيودور ايفانوفيتش : إنها تتكلم بواسطة حروف الهجاء ، إنها تقف أمام بعض الحروف ، وهو يسجّلها .

تانيا : لكن ما العمل ، أثناء الجاسة ، لو أنها . . .

المشهد — ٤٠ —

« الأشخاص أنفسهم ، ليونيد فيودورفيتش »

ليونيد فيودوروفيتش : حسناً ! يا أصدقائي ، لا أستطيع . كنتُ أودّ أن البّي طلبكم ، لكن ذلك غير ممكن . لو دفعتم المبلغَ كاملاً لتغيرّ الأمرُ .

الفلاح الأول : بالتأكيد ، كان ذلك سيكون أفضل . لكننا لم نَجمَعْ المال الذي معنا إلا بكثير من الجهد .

ليونيد فيودوروفيتش : غير ممكن ، غير ممكن تماماً . خذوا ! هذا عقدُ بيعكم ! لا أستطيع أن أوقّعه .

الفلاح الثالث : اشفقْ علينا ، أيها السيد . كنْ رحيماً !

الفلاح الثاني : لا يجوز لك أن تتصرّف هكذا ! لقد أخطأت معنا .

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، لم أُخطىءْ . وعدتكم بالبيع في السنة الماضية ، فلو قبلتُمْ لانتهى الأمر ؛ لكنكم لم تشاؤوا . والآن أنا الذي لا يَستْطيع .

الفلاح الثالث : كنْ رحيماً ، أيها السيد . كيف نعيش الآن ؟ أرضُنا صغيرة . لا الماشية وحدها ، بل الدجاجة لا تجد مكاناً فيها .

(ليونيد فيودوروفيتش يتّجه إلى مكتبه ويقفُ على العتبة)

المشهد — ٤١ —

« الأشخاص أنفسهم ، السيّدة والطبيب ينزلان الدرج . وأمامهما باسيل ليونيدتيش يضع أوراقاً نقدية في محفظته ، وهو جذلان،فرح » .

السيدة ، وقد حزمتْ نفسها بمشدّ ، وعلى رأسها قبّعتُها : يجب أن أتناولها إذنْ ؟

الطبيب : إذا ظهرتْ الأعراضُ مرة أخرى فتناوليها . لكنْ كوني معقولة ! كيف تريدين أن يمرَّ سائلٌ كثيف عَبْرَ انبوب

شعري ، وبخاصة إذا ضيّقْتِ هذا الأنبوب ؟
غير ممكن ! والشيء نفسه مع القناة الصفراوية . . .

السيدة : طيّب . . . طيّب . . .

الطبيب : نعم ، نعم ، طيّب . . . ثم لا تلبثين أن تعودي إلى سابق أمرك . حسناً ! الوداع !

السيدة : لا تقلْ الوداع بل إلى اللقاء . سأنتظرك هذا المساء . لن أقرّر شيئاً بدونك .

الطبيب : طيّب ، طيب ، سآتي ، إذا كان لديّ وقت .

(يخرج)

المشهد — ٤٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا الطبيب »

السيدة ، وقد شاهدت الفلاحين : ما هذا ؟ ما هذا ؟ مَنْ هؤلاء الناس ؟

(الفلاحون يحيّونها)

تيودور ايفانوفيتش : هؤلاء فلاحون من مقاطعة « كورساك » جاؤوا ليشتروا أرضاً من ليونيد فيودوروفيتش .

السيدة : واضحٌ أنهم فلاحون ، لكن مَنْ الذي سمَحَ لهم بالدخول؟

تيودور ايفانوفيتش : ليونيد فيودوروفيتش هو الذي أمر ؛ وقد تحدّث معهم قبل قليل عن بيع الأراضي .

السيدة : أي بَيْع ؟ لا حاجة بنا ، على الإطلاق ، إلى البيع ، ثم كيف يُسْمَحُ لناسٍ من الشارع بدخول البيت ؟ كيف سمحتُمْ لناسٍ من الشارع بدخول البيت ؟ لا يجوز أن يُسْمَح بدخول البيت لأناس لا يعلم إلاّ الله أين باتوا لياليَهم ! . . . (محتدّة شيئاً فشيئاً) . كل ثنيّة من ثنايا ثيابهم ملأى بجراثيم الحمّى القرمزية ، والجدري والدفتيريا. وقد جاؤوا من كورساك ، من مقاطعة كورساك ، حيث وباء الدفتيريا . يا دكتور ! يا دكتور ! أَرْجعوا الدكتور .

(يخرج ليونيد فيودورروفيتش ويذهب غريغوري للبحث عن الطبيب) .

المشهد — ٤٣ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا ليونيد فيودوروفيتش وغريغوري » .

باسيل ليونيديتش ، مُرسلاً دخان سيجارته على الفلاحين : لا تُبالي ، يا ماما ! أتريدين أن أُدخّنهم بحيث أقتل جميع الجراثيم ! ايه ماذا ؟ (تصمت السيدة بقسوة ، وهي تنتظر عودة الطبيب ، باسيل ليونيديتش يخاطب الفلاحين) .

هل تربّون الخنازير ؟ تربيتُها مفيدة !

الفلاح الأول : بالطبع ، وأحياناً نتاجر بالخنازير .

باسيل ليونيديتش : وهي تعْمل هكذا : غُرْوَنْ ! غُرْوَنْ !

السيدة : فوفو ! فوفو ! كفى .

باسيل ليونيديتش : هل هذا يشبه صوتَها ؟ ماذا تقول ؟

الفلاح الأول : طبعاً يُشبهه .

السيدة : فوفو ! قلتُ لكَ : كفى .

الفلاح الثاني : لمَ يَفْعل كذلك ؟

الفلاح الثالث : قلتُ لك : ليتنا نذهب إلى المنزل ريثما يُبَتّ الموضوع .

المشهد – ٤٤ –

« الأشخاص أنفسهم ، الطبيب ، وغريغوري » .

الطبيب : ما الأمر ؟ ما الأمر ؟

السيدة : انظرْ ! أنت تقولُ لي : لا تَنْفعلي ، وكيف تريد أن أظلّ هادئة ؟ منذ شهرين وأنا ممتنعةٌ عن رؤية أختي ، وأنا أحْذر كل زائر مشبوه ، وها إذ أناساً من « كورساك » ، يجيئون رأساً من « كورسك » التي انتشر فيها وباء الدفتيريا ، إلى منزلي .

الطبيب : تقصدين هؤلاء الرجال ، يا سيدتي ؟

السيدة : نعم ، نعم ، جاؤوا رأساً من البلد الموبوء .

الطبيب : لا شك أن هذه غلطة . لكن لا ينبغي مع ذلك أن تقلقي كثيراً .

السيدة : لكنكَ أنت نفسكَ تَنصحُ بالحذر !

الطبيب : نعم ، نعم ، لكنْ لا داعي للقلق .

السيدة : وكيف ذلك ؟ يجب تطهيرُ كل شيء .

الطبيب : كلاّ ! فهذا يكلّف غاليا . ثلاثمائة روبل ، إن لم يكن أكثر . سأُمكّنُكِ من ذلك بتكلفة زهيدة . . . خذي زجاجة كبيرة من الماء . . .

السيدة : المغليّ ؟

الطبيب : لا فرق . الماء المغلي أفضل . خُذي زجاجة ماء وضعي فيها ملعقةً من حامض الساليكليك وأْمري بغَسْل كل ما مسّوه . واطردي جميع هؤلاء الفلاحين . وعند ذاك طيبي نفساً . ثم بخّري الهواء بهذا المزيج ، بمقدار كأسين أو ثلاث ، وسترين مدى نفعه . لن يبقى هناك أي خطر .

السيدة : أين تانيا ؟ استدعوا لي تانيا .

المشهد — ٤٥ —

« الأشخاص أنفسهم وتانيا » .

تانيا ، تدنو : فيمَ ترغبُ سيدتي ؟

السيدة : تعرفين الزجاجة الكبيرة في غرفة الزينة ؟

تانيا : التي رششْنا بها أمس الغسّالة ؟

السيدة : نعم ، نعم ، بالطبع ! خذيها واغسلي المكان الذي وقفوا فيه بالصابون أولاً ، ثم بما في الزجاجة . . .

تانيا : حاضرةٌ ، يا سيدتي . سأستخدمها .

السيدة : ثم خاذي المرشّ . . . على كل حال ، سأفعل ذلك بنفسي حين أعود .

الطبيب : طيّب ! افعلي ما قلتُهُ لك ولا تَخْشَيْ شيئاً . إلى اللقاء إذن ، في هذا المساء .

(يخرج)

المشهد — ٤٦ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا الطبيب »

السيدة : أمّا هؤلاء الأشخاص فَلْيخرجوا ! لِيَخْرُجوا ! لا أحب أن أرى حتى ظلّهم . امضوا ! اخرجوا ! اخرجوا ! ماذا تنتظرون ؟

الفلاح الأول : بالطبع ، هذه نتيجةُ غبائنا ! فكما قيل لنا . . .

غريغوري ، يدفعهم إلى الباب : طيّب ، طيّب ! امضوا ، امضوا !

الفلاح الثاني : أعِدْ إليّ منديلي .

الفلاح الثالث : آه ! يا إلهي ! قلتُ لكم إنه كان من الأفضل لنا أن نذهب إلى النزل ريثما يُبَتّ الموضوع .

(غريغوري يُخرجُهم)

المشهد — ٤٧ —

« السيدة ، غريغوري ، تيودور ايفانوفتش ، تانيا ، باسيل ليونيدتيش ، الساعي » .

الساعي ، الذي يحاول مراراً أن يتكلّم : أَمَا مِنْ جواب ؟

السيدة : آه ! هذا الرجل من محل بورديبه ؟ (غاضبة) . لا ، لا جواب ، لا جراب ! خُذْ ثوباك معك ! لقد قلتُ له انني لم أطلب مثل هذا الثوب ، وان أَسمح لابنتي بارتدائه .

الساعي : لا علم لي بذلك ، وهم أرسلوني .

السيدة : امضِ ، امضِ ! واحملْ ثوبك . سأمرّ . . .

باسيل ليونيديتش ، بلهجة رسمية : أيها السيد سفير محلّ بورديبه ، انصرفْ !

الساعي : كان يمكنكم أن تقولوا لي ذلك منذ وقت بعيد ؛ فأنا انتظرُ منذ خمس ساعات .

باسيل ليونيديتش : يا سفير محلّ بوردبيه ، اذهبْ !

السيدة : اسكتْ ، أرجوكَ .

(يخرج الساعي)

المشهد — ٤٨ —

السيدة : بيتسي ! . . . أين هي ؟ . . . لا بدّ من انتظارها دائماً !

باسيل ليونيديتش ، يصرخ بملء حنجرته : بيتسي ! بيترّيشتبيف ! تعالا ، بسرعة ، بسرعة ! ايه ماذا ؟

المشهد — ٤٩ —

« الأشخاص أنفسهم ، بيترّيشتييف ، بيتسي ، ماريا كونستا تينوفنا » .

السيدة : لا بدّ من انتظارها دائماً !

بيتسي : على العكس ، أنا التي كانت تنتظركِ !

(بيتريشتييف يُحيّي برأسه ويلثم يد السيدة) .

السيدة : صباح الخير ! (لبيتسي) . جوابكِ حاضرُ دائماً .

بيتسي : إن لم تكوني منشرحة الصدر ، يا ماما ، فأنا أفضّل أن أبقى !

السيدة : أنذهب أم نَبْقى ؟

بيتسي : لنذهبْ ، إذا شئتِ .

السيدة : هل رأيتِ إرسالية بوردييه ؟

بيتسي : رأيتها ؛ وأنا مسرورةٌ . أنا طلبتُ هذا الثوبَ .

السيدة : لن أدفعَ ثمنه ، ولن أسمح بارتداء ثوب غير لائق .

بيتسي : ولمَ هو غيرُ لائق ؟ قبل قليل كان ممتازا فاذا بي الآن أمام نوبةٍ من الاحتشام المفرط !

السيدة : ليس هذا من الاحتشام المفرط ؛ يجب إعادة الصدر ، وحينئذٍ تستطيعين ارتداءه .

بيتسي : أؤكّد لكِ ، يا ماما ، أن هذا غير ممكن .

السيدة : البسي ، هيّا !

(تجلس السيدات ويضع غريغوري في أرجلهن أحذية واقية طويلة الساق) .

باسيل ليونيديتش : انظري ، يا ماريا كونستا نتينوفنا ، كيف غدتْ غرفةُ الانتظار خالية .

ماريا كونستانتينوفنا ، ضاحكةً سلفاً : لماذا ؟

باسيل ليونيديتش : لأن ساعي بورديبه قد انصرف . ايه ماذا ؟ حلوةٌ هذه النكتة ؟

(**يضحك**)

السيدة : حسناً ، هيّا ! (**تخرج ثم تعود أدراجَها**) تانيا !

تانيا : بمَ تأمُرُ سيدتي ؟

السيدة : إياك أن تتركي « فيفي » تُصاب بالزكام ، في غيابي ؛ إذا نبحتْ لتخرج ، فتستطيعين تركها ؛ لكن يجب أن تلبسيها رداءَها الاصفر الصغير . فصحتُها ليست حسنة .

تانيا : نعم ، يا سيدتي .

(السيدة وبيتسي وماريا كونستا نتينوفنا ، يخرجن) .

المشهد — ٥٠ —

« بيتريشتييف ، باسيل ليونيديتش ، تانيا ، تيودور ايفا نوفتش »

بيتريشتييف : هل أَفْلحتَ ؟

باسيل ليونيديتش : نعم ، لكنْ بعد لأْيٍ . طلبتُ من أبي أولاً ، فزعق وطرَدَني ؛ حينذاك قَصَدتُ أمي ، فأَفْلحتُ . المبلغُ هنا . (يضرب جيبه) . لم يكن الأمرُ سهلاً . ايه ماذا ؟ اليوم ستأتيني كلابي الحارسة .

(بيتريشتييف وباسيل ليونيديتش يرتديان ثيابهما ويخرجان . تخرج تانيا وراءهما) .

المشهد – ٥١ –

تيودور ايفانوفتش ، وحده : نعم ، إنّ لهم دائماً متاعبهم . يُدهشني أنهم لا يستطيعون أن يعيشوا في وفاق تام . والحقّ أن الجيل الجديد غير هذا . ومملكة النساء ! قبل قليل أراد ليونيد فيدوروفيتش أن يتدخل ، لكنه عندما رأى زوجته ثائرةً ، عاد فأَغْلق الباب . إنه رجلٌ نادر الطيبة ؛ نعم ، نادر الطيبة ! . . . مَنْ هذه ؟ . . . هذه تانيا تعود بهم ؟

المشهد – ٥٢ –

« تيودور ايفانوفتش ، تانيا ، الفلاحون الثلاثة » .

تانيا : تعالوْا ، تعالوا ، يا أصحابي ، ولا تبالوا !

تيودور ايفانوفتش : لماذا تعودين بهم ؟

تانيا : لكنْ ما العمل ، يا تيودور ايفانوفتش ؟ لا بدّ من التدخّل لأجلهم ! وسوف أغسلُ مرة أخرى .

الفلاح الأول : كيف العملُ إذنْ ، أيها السيد المحترم ، لتَمْشية قضيتنا ؟ هلاّ كلّفتَ نفسك ، أيها المحترم ، مساعدتنا في ذلك . الناحية كلها ستقدّر مساعيك وستقدّم لك هديّتَها .

الفلاح الثالث : ابذلْ شيئاً من الجهد ، أيها السيد الكريم ! لا سبيل

لنا إلى العيش : فأرضُنا صغيرة . وهي لا تتسع لدجاجة فكيف للماشية !

(ينحني)

تيودور ايفانوفتش : رقّ قلبي لكم ، أيها الأصدقاء ! لكني لأعلم حقاً . . . إني أفهم جيداً . . . لكنه رفَضَ . ما العمل إذن ؟ ثم إن السيدة غير موافقة . النجاح مشكوك فيه . ومع ذلك أعطوني العقد . سأحاول ؛ سأرجوه .

(يخرج)

المشهد — ٥٣ —

« تانيا ، الفلاحون الثلاثة ، يتنفّسون الصعداء »

تانيا : قولوا لي ، ما القضيّة ؟

الفلاح الأول : القضيّة أننا نريد حَمْلَه على التوقيع بيده !

تانيا : أن يوقّع السيّد ، على العقد أليس كذلك ؟

الفلاح الثاني : نعم ، هذا كلُّ شيء . أنْ يضع توقيعه ويتسلّم المال : وتنتهي القضية .

الفلاح الثالث : يكفي أن يكتبَ . . . كما يريد الفلاحون ، ولنقلْ ، كما أردنا أيضاً ! القضيّةُ كلها هنا ؛ إن وقّع أصبحت القضيةُ في الكيس .

تانيا : لا شيءَ سوى التوقيع ؟ ليس على السيّد إلا أن يضع اسمَه على الأوراق ؟

(تَبْقى متفكّرة) .

الفلاح الأول : طبعاً ، هذا كل ما عليه أن يفعله . أن يوُقّع وهذا كل شيء .

تانيا : انتظروا ردَّ تيودور ايفا نوفيتش . فاذا لم يَنْجح حاولتُ شيئاً آخر .

الفلاح الثاني : ستُدبِّرين الأمرَ ؟

تانيا : سأحاول .

الفلاح الثالث : آه ! يا بنتي ، تنوين أن تقومي بمساعيك من أجلنا ؟ انجحي على الأقل ؛ فاذا نجحتِ تعهدتْ الناحية باعالتك مدى الحياة .

الفلاح الأول : مَنْ يدبّر هذه القضية فلا شك أننا سنعبده من رأسه إلى أخمص قدميه !

الفلاح الثاني : بكل تأكيد .

تانيا : لا أعدكم بشيء . لكنّ المحاولة جائزة دائماً .

الفلاح الأول : لن يجازفَ بشيء مَنْ يُحاول . ذلك مؤكد .

المشهد — ٥٤ —

« الأشخاص أنفسهم وتيودور إيفا نوفتش » .

تيودور ايفانوفيتش : لا ، يا أصدقاء ، قضيتكم لم تَمْشِ حالُها . فهو لم يوافقْ ولن يوافق . . . خذوا عقدكم وانصرفوا ! ..

الفلاح الأول ، متناولاً العقد ومخاطباً تانيا : إذن ، نحن نضع آمالنا فيكِ . أتريْن ؟

تانيا : على الفور ، على الفور ! اخرجوا إلى الشارع ، وانتظروا . فسأخرج بعد قليل وسأُخْبركم بشيء .

(يخرج الفلاحون)

المشهد — ٥٥ —

« تيودور ايفا نوفيتش ، تانيا » .

تانيا : تيودور ايفا نوفتش ، يا عزيزي ، قل للسيد أن يأتي إلى هنا . فعندي كلمة صغيرة سأقولها له .

تيودور ايفانوفتش : ما معنى هذه التصرّفات ؟

تانيا : هذا ضروري ، يا تيودور ايفا نوفيتش ؛ قُلْ له ذلك ، أرجوك . لا ضرر فيما سأقوله له .

تيودور ايفانوفيتش ، مبتسماً : ما الخِدْعةُ التي تدبّرينها . لستُ أفهم . حسناً ! سأُخبرُه بذلك ، سأخبرُه به .

(يخرج)

المشهد — ٥٦ —

تانيا ، وحدها : لا شك أني سأفعل ذلك ! فقد صرّح هو نفسه أن في سيمون تلك القوة . وأنا أدْرَى بكل ما يجب فعلُه . ففي آخر مرة لم يشكّ أحد بشيء . وسأدرّب سيمون الآن . وإذا لم تَنْجحْ فلا ضرر من ذلك . . . أهي خطيئةٌ ؟

المشهد — ٥٧ —

« تانيا ، ليونيد فيودوروفيتش ، يتبعه تيودور ايفا نوفتش »

ليونيد فيودوروفيتش : ها هي ذي ، التي تطلب مقابلتي ! حسناً ! ماذا يلزمُكِ ؟

تانيا : عندي سرٌّ صغير ، يا ليونيد فيودوروفيتش ؛ اسمحْ لي أن أُبْلغَه إياك على انفراد .

ليونيد فيودوروفيتش : ما ذلك السر ؟ تيودور ، اتركْنا لحظةً .

(يخرج تيودور ايفا نوفتش)

المشهد — ٥٨ —

« ليونيد فيودوروفيتش ، تانيا »

تانيا : بما أني كَبِرْتُ في بيتك ، يا ليونيد فيودوروفيتش ، وبما أنني معترفة بفضلك في كل شيء ، فقد أردت أن أبوح لك بسري كما أبوح به لأبي . إن سيمون في خدمتك ، وسوف أتزوّجه .

ليونيد فيودوروفيتش : عجباً !

تانيا : إنني أتكلّم أمامك كما أتكلم أمام الله . . . فأنا يتيمة ولا أجد مَنْ يُعطيني النصيحة .

ليونيد فيودوروفيتش : ولمَ لا ؟ فهو ، فيما أعتقدُ ، فتى طيّب .

تانيا : هذا صحيح . ولا مَأْخَذَ عليه من هذه الناحية . لكنّ

هناك شيئاً جعلني أترددُ ، وأودّ أن أسألك . . . هناك شيءٌ لم أفهمهُ ... بشرط ألا يكون ذلك الشيءُ سيّئاً !

ليونيد فيودوروفيتش : وما ذاك ؟ أهو يشرب ؟

تانيا : لا ، معاذ الله ! ولكن بما أنني أعلم أن استحضار الأرواح موجود . . .

ليونيد فيودوروفيتش : آه ! أتعلمين ذلك ؟

تانيا : وكيف لا ؟ إنني أفهم جيداً . صحيحٌ أن هناك أناساً لا يفهمون ذلك ، بسبب جهلهم . . .

ليونيد فيودوروفيتش : طيب ! وبعد ذلك ؟

تانيا : أنا في ريبةٍ من أمر سيمون . فقد يَقَعُ له . . .

ليونيد فيودوروفيتش : ماذا يقعُ له ؟

تانيا : شيءٌ يشبه استحضار الأرواح . اسألْ الآخرين على الأصح . . . . فما يكاد ينامُ أمام الطاولة حتى تَشْرع الطاولة في الاهتزاز ، وفي الطقطقة ، هكذا : طَقْ ، طَقْ ! جميعُ الذين في غرفة الخدم سمعوه .

ليونيد فيودوروفيتش : هذا بالضبط ما كنتُ أقوله هذا الصباح لسيرج ايفانوفتش . ثم ماذا ؟

تانيا : ثمّ إنه . . . متى جرَى ذلك ؟ . . . نعم ، الاربعاء ، بَدأَ الغداءُ ؛ وما أن جلس إلى الطاولة ، حتى وثَبَتْ الملعقةُ وحدها إلى يده ، هُبْ !

ليونيد فيودوروفيتس : آه ! هذا مثيرٌ للاهتام . . . وَثَبَتْ إلى يده ؟ حسناً ! وهل نامَ ؟

تانيا : أمّا هذا فلم ألاحظه . لكني أظنّ أنه أغفى .

ليونيد فيودوروفيتش : وبعد ذلك ؟

تانيا : من أجل ذلك أنا خائفة ، وهذا ما أردتُ أن أسألكَ عنه . أليسَ من ضررٍ في ذلك . لأننا إذا تزوجنا فسأقضي حياتي كلها معه !

ليونيد فيودوروفيتش ، مبتسماً: لا ، لا تَخْشَيْ شيئاً . لا ضررَ في ذلك . هذا يُثْبِتُ أنه وسيط ، أنه وسيط لا أكثر ، كنتُ أعلمُ ذلك من قبل .

تانيا : آه ! وأنا التي كانت تَخْشى ذلك !

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، لا ، لا تَخْشَيْ شيئاً (بينه وبين نفسه) . إنها لمصادفة حسنة . لن يأتي كابتشيتش وسنجرّبُه في هذا المساء بالذات . (لتانيا) . لا ، يا عزيزتي ، لا تخشيْ شيئاً .سيكون زوجاً صالحاً . . . أما ما ذكرْتِه فهو قوةٌ خاصةٌ موجودة لدى جميع الناس ، لكنها أشدّ فعالية عند هذا الشخص ، وأقلّ فعاليةً عند ذاك . . .

تانيا : أشكرك بكل خضوع . ولن أفكرّ في ذلك بعد الآن . كنت خائفة جداً من ذلك قبل الآن ! هذا ما يجرُّه علينا جهلُنا . . . .

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، لا ، لا تَخْشيْ شيئاً (يُنادي) تيودور !

المشهد — ٥٩ —

« ليونيد فيودوروفيتش ، تانيا ، تيودور ايفانوفيتش »

ليونيد فيودوروفيتش : أنا خارجٌ ، يا تيودور ؛ أَعِدُوا كل شيء من أجل جاسة هذا المساء .

تيودور ايفانوفيتش : لكن السيد كابتشيتش لن يتمكّن من المجيء .

ليونيد فيودوروفيتش : لا أهميةَ لذلك . (يرتدي معطفه) سنجاسُ جلسةً تجريبيّةً مع وسيطنا الخاص .

(يخرج ، ويتبعه تيودور ايفا نوفيتش)

المشهد — ٦٠ —

تانيا ، وحدها : صدّقَ ذلك ! صَدّق ذلك ! (تُطاق صرخات الفرح وتَثبُ سروراً) . صدّق ذلك . أقسمُ أنه صدّق . (تُطلق صرخات الفرح) . الآن ، بشرط ألا يخاف سيمون !

المشهد — ٦١ —

تيودور ايفانوفيتش : حسناً ! أقلْتِ سرّك ؟

تانيا : قلتُه ، وسأقوله لك ، لكنْ فيما بعد . عندي أيضاً رجاءٌ آخر لك .

تيودور ايفانوفيتش : وما هذا الرجاء ؟

تانيا ، بوقاحة : كنتَ لي أباً ثانياً ؛ وسأعترف لك كما أعترف لله .

تيودور إيفانوفتش : احكي لي بصراحة .

تانيا : ذلك أن سيمون يريد الزواج بي .

تيودور ايفانوفتش : آه ! لا حظتُ شيئاً من هذا القبيل . . .

تانيا : لكن لماذا أُخفي نفسي . أنا يتيمةٌ ، وأنت أدرى بأخلاق المدينة ، الجميعُ يزُعجونني بملاحقتهم . خذْ مثلاً ، غريغوري ميخايلوفتش ، إنه يُضايقني عند كل خطوة ، ثم الآخر أيضاً ؛ يظنون أنه لا روحَ لي ، وأنني خُلقْتُ فقط لإرضاء شهواتهم ! . . .

تيودور ايفانوفيتش : أنت فتاةٌ عاقلة ، أهنّئك على ذلك ! حسناً ! وبعد ذلك ؟

تانيا : لقد كَتَبَ سيمون لأهاله ، ولم يكَدْ الأبُ يراني اليوم حتى قال لي : « لقد فَسدَ ! » . يقصد ابنَه . . . تيودور ايفانوفيتش . (تنحني أمامه) . قُمْ مقام أبي ! كَلِّمْ الشيخَ ، والد سيمون . سآخذهم إلى المطبخ . فاذهب أنتَ إلى هناك ، وحَدِّثْ الشيخ .

تيودور ايفانوفيتش ، مبتسماً : سأكونُ الخطّابَ إذنْ ؟ طيّب ! هذا جائز . . .

تيودور ايفانوفيتش، يأخذ الجريدة : طيّب ! طيب ! سأذهب ، وأعدُكِ بأنني سأفعل ذلك .

تانيا : ستكون أباً ثانياً لي .

تيودور ايفانوفيتش : طيّب ! طيّب !

تانيا : أستطيع أن آملَ إذن ؟

(تخرج تانيا)

المشهد — ٦٢ —

تيودور ايفانوفتش ، وحده : بنتٌ طيّبة ، ودودةٌ ! وما أكثرَ مثيلاتها اللواتي يَسْقطنَ ! عندما تفكّر في ذلك ! يكفي أن تزلّ قدمُ الواحدة منهن مرةً واحدة فاذا بهن يغصْن في الوحل ، ثم لا نَعثرُ عليهن بعد ذلك ! . . مثل ناتالي ، البنت المسكينة ! . . . هذه أيضاً كانت بنتاً طيّبة دلّلتْها أمُّها وأحسنتْ تغذيتها ! . . . (يتناول جريدته) . حسناً ! ماذا يفعل صاحبنا فرديناند(١) ؟ كيف يتدبّرُ أموره ؟

ستار

(١) فرديناند : امير بلغاريا ١٨٨٧ — ١٩١٨ وكانت الجرائد تتحدث عنه بسبب خلافاته مع وزرائه .

الفصل الثاني

« يُمثّل المسرحُ المطبخَ من الداخل ، يجاس الفلاحون اللذين خلعوا سلابسهم قرب الطاولة ، ويشربون الشاي . تيودور ايفا نوفيتش في الطرف الآخر من المطبخ ، يدخّن سيجاراً . على الموقد يجاس الطاهي العجوز ، وهو لا يُرى أثناء المشاهد الأربعة الأولى » .

المشهد — ١ —

« الفلاحون الثلاثة ، تيودور ايفا نوفيتش »

تيودور ايفانوفيتش : نعم ، هذا هو رأيي ، فلا أُعارضْهُ . إذا كانت هذه رغبتهما ، فعلى بركة الله ! البنتُ عاقلة وشريفة . لا تُلْقِ بالاً إلى غُنْجها ، فتلك عادة المدن ؛ الأمورُ دائماً هكذا . لكنّ البنت ذكيّةٌ . . .

الفلاح الثاني : إذا كانت هذه هي رغبتُها فَلْيكنْ . هو الذي سيعيش معها لا أنا . لكنها شديدةُ الأناقة ! فكيف يمكننا استقبالها في كوخنا الخشبي ؟ لن تسمح لحماتها حتّى بمسّها !

تيودور ايفا وفتش : ما تقولُه لا يتعلّق باللباس بل إنه يتعلّق بالطبع . وبما أن طبعها خيّرٌ فسوف تكون ممتثلةً للأوامر ، طيّعة .

الفلاح الثاني : طيب ! سآخذها إن كان ابني يَحْرِص عليها هذا الحرص ! الحقّ أنه ليس حسناً أن يعيش الرجل مع امرأة لا يُحبّها . سأشاور العجوز . وعلى بركة الله .

تيودور ايفانوفيتش : وافقْتَ ، إذن ؟

الفلاح الثاني : نعم ، واضحٌ أنه لا بدّ من ذلك .

الفلاح الأول : أنت محظوظ ، يا زاخار ! جئتَ إلى المدينة لتعقد صفقةً تجارية ، ماذا بك تعثُر على هذه الكنّة الجميلة ! لم يبق إلا أن نَشْربَ نخبهما حتى يكون ذلك بحسب الأصول .

تيودور ايفانوفيتش : لا فائدة من ذلك (صمتٌ يُعبّر عن الضيق) . إني أعرف حياتكم ، حياةَ الفلاحين وأتفهمّها جيداً . وأحبّ أن أقول لكم : إنني أنا نفسي أفكرّ في شراء قطعة من الأرض ، وسأَبني فيها بيتاً ، وسأغدو فلاّحاً : عندكم ، مثلاً .

الفلاح الثاني : هذه تجارة رابحة .

الفلاح الأول : من دون شك ، فعندما يملك المرءُ المال ، يمكنه أن يجد في القرية جميع المسرّات .

الفلاح الثالث : ماذا أقول ! إن عمل الحقول ، في جميع الأحوال ، أكثرُ حرّيةً . لا كالعمل في المدينة .

تيودور ايفانوفتش : حسناً ! أتقبلونني في ناحيتكم ، إن أقمتُ بينكم ؟

الفلاح الثاني : ولمَ لا نَقبلُ ؟ قدّم الخمر للكبار وستُقبل فوراً ...

الفلاح الأول : افتحْ خمّارةً مثلاً ، أو نُزلاً ، وستغدو حياتكَ متعةً ! كأحد الملوك ، لا أقلّ .

تيودور ايفانوفيتش : سنرى ذلك . أودّ فقط أن أحيا آخر أيامي حياةً هادئة . لستُ متضايقاً في هذا البيت ، بل أنا آسف على فراقه ؛ ذلك أن ليونيد فيودور وفيتش رجل ذو طيبة نادرة !

الفلاح الأول : بكل تأكيد ! ولكنْ قضيتنا ، هل ستَبْقى حتماً حيث هي ؟

تيودور ايفانوفيتش : هو يريدُ من قلبه .

الفلاح الثاني : واضحٌ أنه يخافُ امرأته .

تيودور ايفانوفيتش : لا ، إنه لا يخافها . والحقيقة أنهما غيرُ متفقين تماماً .

الفلاح الثالث : عليك أن تهتمّ بنا ، أيها الصديق ! وإلاّ فكيف نستطيع أن نعيش ؟ إن أرضنا صغيرةٌ . . .

تيودور ايفانوفيتش : لِنَرَ أولاً ما الذي سيَنْتج عن مساعي تانيا . لقد أخذتْ الأمرَ على عاتقها إذن !

الفلاح الثالث ، يشرب الشاي : ارحمْنا ، أيها الصديق ! فأرضُنا صغيرة ، لا نستطيع أن نجد فيها مكاناً لماشيتنا ، بل وللدجاجنا !

تيودور ايفانوفيتش : آه ! لو كانت القضيّة في يدي ! (الفلاح الثاني) . اتّفقْنا إذن ، يا صاحبي ، وتصاهَرْنا ؟ انتهتْ قضية تانيا !

الفلاح الثاني : إذا وعدتُ وعداً لم أتراجعْ عنه حتّى لو لم أحتفلْ به ، على أن تَنْجحَ قضيتُنا . . .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ؛ تدخلُ الطاهية . تمدّ رأسها فوق الموقد ، وتُشير بيديها وتومئُ برأسها ؛ولا تلبثُ أن تكلّم تيودور ايفانوفيتش بحدّة » .

الطاهية : منذ لحظة ، دُعيَ سيمون إلى غرفة الاستقبال من مطبخ السادة ؛ وأَجْلسَه السيدُ والآخر الذي يَسْتحضرُ الأرواح معه، الأصلع ، وأمَرَاهُ أن يَعْمل مكان كابتيشيتش .

تيودور ايفانوفيتش : ماذا تَرْوين ؟

الطاهية : لكن هذا صحيح ، يعقوب أَخبَر تانيا بذلك قبل قايل .

تيودور ايفانوفيتش : غريب !

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، الحوذيّ »

تيودور ايفانوفيتش : هذا أنتَ ، ما وراءَكَ ؟

الحوذي : يُمكنك أن تقول له : إنني لم أدْخل الخدمة ، هنا لأعيش مع الكلاب ! ليعشْ غيري مع الكلاب ! أما أنا فلا أقبل أن أعيش مع الكلاب ! . . .

تيودور ايفانوفيتش : مع أي كلاب ؟

الحوذي : لقد جيء بثلاثة كلاب إلى غرفتنا من عند باسيل ليونيديتش، وملأتها بالأوساخ . وهي تَنْبح ، ولا سبيل إلى الاقتراب منها ! إنها تعضّ ، وهي شريرة كالشياطين ؛ ولولا قليل لافترستْنا ! وقد خطر لي أن أحطّم أرجلها بالمراوة .

تيودور ايفانوفيتش : ومتى وقعَ ذلك ؟

الحوذي : اليوم ، جيء بها من المعرض . ويبدو أنها غالية الثمن ؛ كلاب سلوقية ، على حدّ علمي . لاردّها الله ! هل ينبغي أن تسكن الكلابُ في مسكن الحوذيين ، أم الحوذيون أنفسُهم ؟ وهكذا . . .

تيودور ايفانوفيتش : نعم ، هذا غير مقبول . . . سأكلّمه في ذلك .

الحوذي : لعلّ من الأفضل أن تُوضَع هذه الكلاب هنا عند لوكيريا .

الطاهية ، ثائرةً : كيف هنا ؟ الجميع يأتون إلى هنا ليأكلوا ، وتريد أن تضعَ فيها الكلاب . . . فحتّى دونها . . .

الحوذي : وأنا عندي قفطانات ، ووزرات ، وعدد الخيل . . . ويُطلَب مني المزيدُ من النظافة ! . . . أوْ لتوضَعْ عند البوّاب . . .

تيودور ايفانوفتش : يجب أن تقول ذلك لباسيل ليونيديتش .

الحوذي مُغضَباً : لِيُعلّقْها في رقبته ، هذه الكلاب ، وليتنزّهْ معها ! فهو يحبّ امتطاء الجياد مثلاً ، ولقد أنهك « كراسافتشيك » ذلك الجواد الجميل ! . . . آه ! يا لها من عيشة !

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا الحوذيّ »

تيودور إيفانوفيتش : نعم ، هذا لا يجوز ، هذا لا يجوز ! (مخاطباً الفلاحين) القضية منتهية ، أليس كذلك . حسناً ، الوداع ، يا أصحاب .

الفلاحون : لِيحفظْك الله !

(يخرج تيودور ايفا نوفيتش) .

المشهد — ٥ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا تيودور ايفا نوفيتش . بدأ الطاهي العجوز على الموقد ، يتذمّر) .

الفلاح الثاني : أهو سكران ! كأنه جنرال .

الطاهية : نعم ! إن له غرفة مستقلّة ثم إن ملابسه تُغْسَلُ له ؛ وكذلك شايه وسكره ، كل ذلك على نفقه السادة ! أما طعامُه فهو يأتيه من مائدتهم .

الطاهي العجوز : وكيف لا تكون عيشة هذا الشيطان حسنةً ؟ وهو يَسْرق كثيراً ! . . .

الفلاح الثاني : ما هذا الذي على الموقد ، هناك ؟

الطاهية : لا شيء : هذا رجل .

(صمت)

الفلاح الأول : رأيتُ قبل قليل ماعلى المائدة عندكم من أصناف ! لا شك أنهم أثرياء هنا !

الطاهية : لا مجال للشكوى من هذه الناحية . فالسيدة ليست بخيلة . ونحن نحصل على الخبز الأبيض أيام الآحاد ، والسمك أيام الصوم ، ومن شاء ألا يصوم أكل اللحم .

الفلاح الثاني : كيف ؟ وهل بينكم مَنْ لا يصوم ؟

الطاهية : ايه ! جميعهم تقريباً لا يصومون . لا يصوم سوى الحوذي ، لا الذي جاء قبل قليل بل العجوز ، ثم سيمون وأنا ، وأيضاً الخادمة ، أما الآخرون فيأكلون اللحم .

الفلاح الثاني : حسناً ! والمعلّم ؟

الطاهية : هو ؟ لقد نسي حتى معنى الصوم !

الفلاح الثالث : أوه ! يا إلهي !

الفلاح الأول : هذا شأنُهم ، السادة . وجدوا ذلك في الكتب . وهو يأتي من التعليم . . .

الفلاح الثالث : أنا متأكد أنهم يأكلون في الأيام كلها خبزاً أسمر . . .

الطاهية : اوه ! الخبز الأسمر ! لعلهم لم يروه . خبزك الأسمر ! ليتك ترى فقط طعامهم !

الفلاح الأول : من المعروف أن طعام السادة خفيفٌ كالهواء !

الطاهية : خفيف ، خفيف ، لكنهم قادرون أيضاً على حشو بطونهم !

الفلاح الأول : شهيتُهم مفتوحةٌ ، إذن ؟

الطاهية : ذلك لأنهم يشربون على الطعام . وما أكثر ما عندهم من هذه الخمور المعتّقة ، وماء الحياة ، والشراب المحلّى ! ولكل صنف خمرُه الخاصة به . إنهم يأكلون ويشربون فوق الأكل ، ثم يأكلون ويشربون بعد ذلك . . .

الفلاح الأول : الشرابُ يُمرّرُ الطعامَ .

الطاهية : قدرتُهم على الأكل لا تُصدَّق .

فليس من عاداتهم أن يَجْلسوا ، وأن يأكلوا ما هو ضروري ، وأن يرسموا علامةَ الصليب وأن ينهضوا . إنهم يأكلون أبداً . . .

الفلاح الثاني : هم كالخنازير إذن التي تضع أرجلها في معلفها ؟

(الفلاحون يضحكون) .

الطاهية : لا يكادون يفتحون أعينهم – ليُسامِحْني الله ! - حتى يطلبوا السماور ، الشاي والقهوة والشوكولاته . ثم يأتي الغداء ، ثم العشاء ؛ ثم القهوة أيضاً . ثم يستلقون على ظهورهم ليهضموا ما أكلوه . ثم لمجة المساء ، والسكاكر والبسكويت . لا نهاية لذلك كله . حتى في الفراش يأكلون .

الفلاح الثالث : يا عيني ! يا عيني !

الفلاح الأول والفلاح الثاني : ما بكَ ؟

الفلاح الثالث : ليتني أستطيع أن أقضي يوماً واحداً فقط على هذا المِنْوال .

الفلاح الثاني : لكنْ متى ينصرفون لأعمالهم ؟

الطاهية : أيّ أعمال ؟ ورق اللعب والبيانو ، هذه كلُّ أعمالهم ! الآنسة هذه ، ما إن تفتح عينيها حتّى تجلس إلى البيانو ، وتخذْ ما شئت من العزف ! أما الآنسة الأخرى ، تلك الّتي تعيش عندهم ، استاذة البيانو ، فهي تنتظر أن تفرغ تلك من البيانو . فما تكاد الآنسة تفرغ حتّى تبدأ هذه عزفَها عليه . وقد يأتون بآلتين ؛ فيجلس اثنان إلى كل بيانو ، ويعزف الأربعة معاً بسرعة وبقوة حتّى ليُسْمَعُ العزفُ هنا .

الفلاح الثالث : آه ! يا إلهي !

الطاهية : فهذه أعمالُهم كلّها ! البيانو أو الورق . ما يكادون يجتمعون حتّى يبدأ لعبُ الورق ، والخمر ، والتدخين ، وهكذا إلى آخر الليل ! فلا ينهضون إلا ليأكلوا ، وليبدؤوا من جديد .

المشهد — ٦ —

« الأشخاص أنفسهم وسيمون »

سيمون : هنيئاً !

الفلاح الأول : اجلسْ معنا .

سيمون : شكرا جزيلاً !

(يتقدم إلى الطاولة ، يصبُّ له الفلاح الأول شاياً) .

الفلاح الثاني : أين كنتَ ؟

سيمون : كنتُ فوق .

الفلاح الثاني : ولماذا ؟

سيمون : لستُ أفهم شيئاً ممّا جرى ؛ ولا أدري كيف أقوله لكم . . .

الفلاح الثاني : وما الذي يفعلونه فوق ؟

سيمون : لا يمكنني حتى أن أقوله لكم . لقد حاولوا معي ما يسمّونه قوة . أما أنا فلم أفهمْ شيئاً من ذلك . قالت لي تانيا : إن ذلك يساعد على بيع الأرض للفلاحين .

الفلاح الثاني : لكنْ ما الطريقة التي ستسلكها إلى ذلك ؟

سيمون : هذا ما لم أفهمْه ؛ إنها لا تقول شيئاً . قالت فقط : « افعلْ ما آمرك به ! » .

الفلاح الثاني : وما الذي طُلِبَ منك فعلُه ؟

سيمون : لا شيء ، حتى الآن . أجْلسوني ، وأطفؤوا الأنوار ، وأمروني أن أنام . واختبأتْ تانيا أيضاً فوق ؛ هم لم يرَوْها ، لكنني أنا رأيتُها . . .

الفلاح الثاني : ولمَ اختبأتْ .

سيمون : الله أعلم ! لا يُمكن فهمُ السبب . . .

الفلاح الأول : من المؤكد أن ذلك للتسلية وقطع الوقت .

الفلاح الثاني : هذه قضايا أرى أننا لا نفهمها لا أنتَ ولا أنا . قلْ لي : هل تساهمتَ مبلغاً كبيراً من أجرتكَ ؟

سيمون : لم أتساهمْ شيئاً . كلُّ شيء في ذمّتهم ؛ بقي لي ثمانية وعشرون روبلاً .

الفلاح الثاني : جيّد ! لكن إن شاءُ الله ودبّرنا الأرضَ فسآخذك إلى المنزل .

سيمون : أتمنّى ذلك . . .

الفلاح الثاني : لا بدّ أنك فسدْتَ هنا ، فيما أظنْ . فان نستطيع حراثة الأرض . . .

سيمون : الحراثة ! أتريد أن أجرّب في الحال ؟ الحراثة والحصاد ، سترى أنني لم أفقد مهارتي فيهما .

الفلاح الأول : لكن ذلك لن يبدو مسلّياً لك ، بعد حياة المدينة .

سيمون : لا قيمة لذلك ، فالحياةُ حسنة في الريف أيضاً .

الفلاح الأول : وهذا هو العم دميتري الذي يود لو جرّب هنا هذه الحياة الناعمة .

سيمون : اوه ! يا عم دميتري ؛ سينتهي بك الأمر إلى الانزعاج . العمل يبدو سهلاً في البداية ؛ لكن لا بد من الركض الكثير الذي يَفتِل رأسك .

الطاهية : ما يجبُ أن تراه ، يا عم دميتري ، هو الحفلة الراقصة عندهم ! هذا ما سيُدهشك !

الفلاح الثالث : وهل يأكلون فيها كلّ الوقت ؟

الطاهية : ليسَ الأمرُ كذلك ، لكن يجب أن ترى ماهي ، لقد أتاحَ لي تيودور ايفا نوفيتش رؤيتها . ونظرتُ . النساء فيها يلبسن ثياباً عجيبة . . . لم ترَ مثلها قط ! عاريات حتى هنا . والذراعان عاريتان أيضاً .

الفلاح الثالث : يا إلهي !

الفلاح الثاني : يا للفظاعة !

الفلاح الأول : ذلك لأن الطقس يسمح لهم بذلك .

الطاهية : عندما رأيت ذلك ، قلتُ في نفسي : « ما هذا ؟ » . عاريات تماماً ! أتصدّق ؟ العجائز اللواتي لعل لهن أحفاداً عارياتٌ أيضاً !

الفلاح الثالث : اوه ! يا إلهي !

الطاهية : وليس هذا شيئاً يذكَر . فما أن تبدأ الموسيقا حتى يتقدّم الرجال ، كل واحدٍ نحو سيدة فيطوّقها ويشرع في الدوران .

الفلاح الثاني : والعجائز أيضاً ؟

الطاهية : والعجائز أيضاً .

سيمون : لا ، العجائز يَبْقَيْن جالساتٍ .

الطاهية : كلاّ .

الطباخ العجوز ، يُري رأسه ويقول بصوتٍ أجش : تلك رقصة البولكا مازوركا ؛ الغبيّة لا تعرفها ! يرقصون هكذا . . .

الطاهية : أنتَ ، أيها الراقص ، الأفضل لكَ أن تسكت ! فهمتَ ! هناك شخصٌ آتٍ .

(الطاهي العجوز يختبيء على عجل)

المشهد — ٧ —

« الأشخاص أنفسهم وغريغوري » .

غريغوري للطاهية: هاتي شيئاً من الكرنب المخلّل .

الطاهية : صعدتُ من القبو لتوّي ،ولا بدّ من النزول إليه أيضاً ! لِمَنْ الكرنب ؟

غريغوري : الآنستان تريدان أن تأكلا منه أسرعي. وأرْسليه مع سيمون ، فلا وقتَ لديّ أنا .

الطاهية : يتخمّنَ بالحلوى حتى يَعَفْنَها ،حينذاك يشتهين المخلّل

الفلاح الأول : هذا لإسهال البطن .

الطاهية : نعم ، لكي يَخْلو البطنُ ، ثم يبدؤون من جديد .

المشهد — ٨ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا الطاهية » .

غريغوري ، للفلاحين: أراكم جالسين إلى الطاولة ! احذوا حذَرَكم لو علمتْ السيدةُ ذلك لوبّختكم ، كما فعلتْ هذا الصباح !

(يضحك ويخرج) .

المشهد — ٩ —

« الفلاحون الثلاثة ، سيمون ، الطاهي العجوز ، على الموقد » .

الفلاح الأول : لا شك أنها هاجت وماجت هذا الصباح كالعاصفة ؛ كان ذلك رهيباً !

الفلاح الثاني : أظنّ أن السيّد كان يريد الدفاعَ عنا ؛ لكنه عندما رأى العاصفة تَقتْلعِ سقفَ المنزل صَفَقَ الباب ، وكأنه قَصَدَ أن يقول : لا باركَ الله بها !

الفلاح الثالث ، ماوّحاً بيده : الشيء نفسه دائماً . فعجوزي تحتدُّ أحياناً إلى حدّ رهيب ! فأخرج من البيت . الأفضل أن أدعها وشأنَها ! وإلاّ لقتلتني بحديدة النار . أوه ! يا إلهي !

المشهد — ١٠ —

« الأشخاص أنفسهم ويعقوب »

يعقوب : يركض ومعه وَصْفةُ الطبيب : سيمون ، أركضْ إلى الصيدلية ، أسرعْ ؛ وهات المساحيقَ للسيدة .

سيمون : لكنني أُمِرْتُ بعدم الخروج .

يعقوب : سيكون لديك متّسعٌ من الوقت ؛ لن يهتموّا بك إلا بعد الشاي . هنيئاً !

الفلاح الأول : اجلسْ معنا .

(يخرج سيمون) .

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا سيمون »

يعقوب : ليس لديّ وقت ؛ لكن صُبَّ لي مع ذلك فنجاناً من الشاي حرصاً على صحبتكم .

الفلاح الأول : اسمعْ ، كنا نتحدّث عن سيّدتك : عن أنها تصرّفت بتكبّر .

يعقوب : اوه ! هذه تثور إلى حدٍّ رهيب . إنها تحتدّ حتى تَفقد رشدَها ! وأحياناً تبكي من جرّاء ذلك . . .

الفلاح الأول : وبهذه المناسبة ، أودّ أن أسألك : ما هذا «المكروت(١)» الذي تحدّثتْ عنه ؟ كانت تقول : المكروت ، المكروت الذي تَحملونه إلى هنا ! ما المقصود بهذا المكروت ؟

يعقوب : آه هذا « مَكْروب » . يقولون : إنها حشراتٌ صغيرة هي سبب كل الأمراض . وهي ، مثلاً ، عليكم . وكم غسلوا وغسلوا وراءكم . وكم رشّوا ورشّوا المكانَ الذي كنتم فيه ! هناك دواءٌ خاص يَقتل هذه الحشرات .

الفلاح الثاني : لكنْ أين هذه الحشرات علينا ؟

يعقوب ، يشرب شايه : يقولون إنها صغيرة جداً بحيث لا تُرى حتى بالنظّارة .

---

(١) المكروت : تشويه لكلمة «مكروب» : الجراثيم .

الفلاح الثاني : وكيف علمت أن عليّ مثل هذه الحشرات ؟ ربما كان عليها من هذه الأوساخ أكثر ممّا عليّ ؟

يعقوب : نعم ، لكنْ أسألْها هي !

الفلاح الثاني : أنا أعتقد أن ذلك كله حماقات .

يعقوب : بالتأكيد ، حماقات ! لكنْ لا بدّ للأطباء من أن يخترعوا شيئاً ؛ وإلاّ فما جدوى إعطائهم المال ؟ هناك طبيبُ يأتي إلى هنا كل يوم ؛ إنه يأتي ، ويتحدث قليلا ، ويقبضُ أجرته على ذلك عشرة روبلات .

الفلاح الثاني : لا يُصدَّق هذا ؟

يعقوب : وهناك آخر أيضاً ، يقبض ورقة بمائة روبل .

الفلاح الأول : اوه ! ورقة بمائة روبل !

يعقوب : ورقة بمائة ! ألا تصدّق ؟ بل إنه يقبض ألف روبل إذا خرج خارجَ المدينة ! يقول لك : أعطني ورقةً بألف روبل ، فاذا لم تُعطِ ، مُتْ ! . . .

الفلاح الثالث : اوه ! يا إلهي !

الفلاح الثاني : وما معرفتُه ؟ أيَعْرفُ كلاماً سحرياً ؟

يعقوب : لا شك أنه يعرف . كنتُ أخدُمُ عند جنرال ، قربَ موسكو . كان رجلاً غضوباً ، شديد الافتخار بنفسه ، ذلك الجنرال . وإذا بابنته تَمْرض ، فيرُسل مَنْ يُحضر الطبيبَ . قال الطبيب : « ادفعوا ألف روبل وسأذهب » .

فقبلوا وسُوِّي الأمرُ ، وجاء الطبيب ، لكن شيئاً ساءه فأخذ يصرخ على الجنرال : أوه ! يا أصدقائي ! أوه ! أهكذا تعامِلني ! هكذا ! حسناً ! لن أعالجها ! » حينئذ أضاع الجنرالُ كبرياءَه ، وتملَّق الطبيب بألف طريقة وطريقة ، قائلاً : « يا صاحبي ، لكَ كلُّ ما تريد ، لكن لا تتركْها ! »

الفلاح الأول : وورقة الألف ، هل دُفِعَتْ له ؟

يعقوب : هل دُفعت . . . وكيف لا ؟

الفلاح الثاني : يا له من مال مفيد ! ما أكثر ما يستطيع الفلاح أن يفعل بهذا المال ! . . .

الفلاح الثالث : أعتقد أن ذلك كله حماقات . فمنذ خمس سنوات تقيّحت قدمي ، وعالجتُها ، وعالجتها ! ولعلي أنفقت عليها خمسة روبلات . فلما توقفتُ عن معالجتها شفيتْ من ذاتها .

(الطاهي العجوز يتّشعل على الموقد) .

يعقوب : هذا البائس ما يزال هنا !

الفلاح الأول : مَنْ هذا الرجل ؟

يعقوب : كان طاهياً لسيّدنا ؛ وهو يأتي هنا ليرى « لوكيريا » .

الفلاح الأول : كان طاهياً ، فهل يعيش هنا ؟

يعقوب : لا ، لا يُسْمَح له بالعيش هنا ؛ يومٌ هنا ، وليلةٌ هناك .

اذا حصل على ثلاثة كوبيكات ذهب إلى الملجأ ؛ فاذا شرب بها عاد إلى هنا .

الفلاح الثاني : لكن كيف وصل إلى هذه الحالة ؟

يعقوب : هكذا . ثم ارتخت أخلاقه . ومع ذلك فأيّ رجل كان ! . . . كان كأنه السيّد . كان يحمل ساعة ذهبية ، ويقبض أربعين روبلاً في الشهر . أما الآن فلولا « لوكيريا » لمات منذ زمن بعيد من الجوع .

المشهد — ١٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، ثم الطاهية حاملةً المخلّل »

يعقوب ، للوكيريا : أرى أن بول بيتروفيتش ما يزال هنا ؟

الطاهية : وأين تريد أن يذهب ؟ليموت من الجوع ، أليس كذلك ؟

الفلاح الثالث : هذا ما تفعله الخمر ! الخمر ، لينقلْ . . .

(يضرب سقف حلقه بلسانه بشفقة ويهزّ رأسه) .

الفلاح الثاني : لاشك أن الإنسان إذا قَوِيَ صار أقوى من الحجر ؛ لكنه إذا ضَعفَ صار أضعف من الماء !

الطاهي العجوز ، ينزل عن الموقد ، يداه وساقاه ترتجفان : لوكيريا ، قلتُ لكِ ، أعطيني قدحاً صغيراً !

الطاهية : إلى أين تذهب ؟ سأُعطيك قدحاً صغيراً !

الطاهي العجوز : أتخافين الله ؟ إني أموت ! يا أصدقائي ، أعطوني قطعة خمسة كوبيكات !

الطاهية : قلتُ لك اصعدْ إلى الموقد .

الطاهي العجوز : يا طاهية ، أعطيني نصف قدح صغير ، أرجوك ، بجاه المسيح ! أتفهمين ، أسألكِ ذلك باسم المسيح ! . . .

الطاهية : هيّا ، هيّا . . . خذ ، أشربْ الشايَ !

الطاهي العجوز : ما هذا الشاي ؟ ما هذا الشاي ؟ شرابٌ لا يَصْلح لشيء ، لا قوة فيه . . . أريدُ خمراً . . . جرعة واحدة فقط . . . يا لوكيريا ! . . .

الفلاح الثالث : آه ! البائس ، كم يتألم !

الفلاح الثاني : لكنْ ، أعطيه شيئاً .

الطاهية ، تتناول من الخزانة زجاجةً وتصب له قدحاً صغيراً : خذْ ، ولن أعطيكَ غيره !

الطاهي العجوز ، يمسك القدح بحدّة ويشرب وهو يرتجف : لوكيريا ! . . سأشرب . . . وأنتِ . . . تفهمين . . .

الطاهية : كفى ، كفى كلاماً ! اصعدْ إلى الموقد ، ولا تُسْمِعْ أحداً أنفاسَكْ بعد الآن .

(يصعد الطاهية العجوز وهو يتمتم بشيء دون انقطاع)

الفلاح الثاني : ما أعْجبَ حالَ الإنسان إذا ضعفَ !

الفلاح الأول : طبعاً . . . الضعف البشري .

الفلاح الثالث : نعم ، لا جدالَ في ذلك .

(يستلقي الطاهي العجوز وهو يتمتم طول الوقت . صمت) .

الفلاح الثاني : اسمعْ ، أحببتُ أن أسألك عن سلوك تلك الفتاة ، ابنة « أكزينيا » التي تعيش عندكم والتي هي من عندنا .

عَنَيْتُ : هل هي شريفة ؟

يعقوب : فتاة طيبة ، لا جدال في ذلك . . .

الطاهية : سأقول لكَ الحقيقة الخالصة ، أيها العم ، لأنني خبيرة بالأخلاق هنا : إذا كنت تُريد تاتيانا لابنك ، فخذْها بأسرع ما يمكن قبل أن تفسد أخلاقها . وإلا فان تُفلت من الفساد . . .

يعقوب : نعم ، هذا صحيح . ففي الصيف الماضي ، كانت عندنا فتاة ، وكم كانت طيّبةً ! لقد سقطتْ بلا مبرّر ، مثل هذا . . .

(يشير إلى الطاهي العجوز) .

الطاهية : كم يسقط هنا ، من جنسنا ! تستطيع أن نصنع منهن سدّاً . كل واحدة تريد العمل الهيّن ، والغذاء الحلو ، ثم لا تلبث بفضل هذا الطعام الحلو ، أن تَضلّ سبيلها ، فاذا ضلّتْ سبيلها لم يلازمها أكثر من ذلك لتُطرد مباشرة ، ولتحل محلها فتاةٌ أكثر نضارةً ، هكذا زلّتْ قدمُ ناتالي المسكينة وسرعان ما طُردتْ . لقد وَضَعَتْ ، ومرضتْ ، وفي الربيع الماضي ، ماتت في المستشفى . ومع ذلك فكم كانت طيبةً !

الفلاح الثالث : أوه ! يا إلهي ! هؤلاء ناس ضعفاء ، ويجب أن نشفق عليهم .

الطاهي العجوز : آه ! نعم ! يشفقون علياك ؛ هؤلاء الشياطين !
(يُسقط رجليه من الموقد) . شَوَيْتُ نفسي ثلاثين عاماً
قربَ الفُرن ، فلما صرتُ عديمَ الفائدة قالوا لي : مُتْ
كالكلب ! نعم ، كلُّهم شفقة !

الفلاح الأول : نعم ، بلا شك ، هذا موقف معروف . . .

الفلاح الثاني : بينما كانوا يأكلون ويشربون كانوا ينادونك : أيها
الفتى الجميل ؛ وعندما انتهوا من شرابهم وطعامهم قالوا
لك : وداعاً أيها الأجرب !

الفلاح الثالث : اوه ! يا إلهي !

الطاهي العجوز : وكم عندهم من صنوف الطعام ! هل سمعتَ بالمقلي
على طريقة بومون ، وبالشوكولاته المصنوعة بالزبدة
المعطرة . . . آه ! ما أكثر الأصناف التي كنت أُحسنُ
صُنعَها ! فكرّوا قليلاً ! . . . الامبراطور كان يأكل
من صنعي ، وأنا الآن لا أصلح إلا للجحيم ! لكنني لن
أستسلم ، أنا !

الطاهية : آه ! آه ! لقد بدأ يتحدّث ! أتريد أن تسكت ! البُدْ
في الزاوية حتى لا يراك أحدٌ ! وإلاّ طَردوني معاك ،
إنْ دخل تيودور إيفانوفيتش أو غيرُه .

(صمت)

يعقوب : أتعرفون بلدي ، فوسنيسنكوي ؟

الفلاح الثاني : وكيف لا أعرفه ! هو على سبعة عشراً فرسخاً منا ،

لا أكثر ؛ وإذا ذهبنا عن طريق مَعْبر القناة غدت المسافة أقرب . أعندك أرض ؟

يعقوب : أبي عنده أرضٌ ، وأنا أرسلُ إليه المال . لأنني وإن عشتُ هنا عيشةً حسنة إلا أنني أذوب شوقاً إلى البيت .

الفلاح الأول : لا شاك .

الفلاح الثاني : أخوك ، إذن ، هو أنيسيم ؟

يعقوب : آه ! نعم ! هذا أخي — في آخر البلدة

الفلاح الثاني : ايه ! نعم ! وكيف لا أعرف البيت الثالث .

المشهد — ١٣ —

« الأشخاص أنفسهم وتانيا مسارعة »

تانيا : يعقوب ايفاينتش ، فيم تتبالَدُ هنا ؟ إنها تدعوك .

يعقوب : أنا ذاهب على الفور ! ما الأمر ؟

تانيا : فيفكا تنبح ؛ وهي جائعة، والسيدة غاضبةٌ عليكَ . . . تقول : « ما أخْبثه ، وما أقل شفقته ! كان يجب أن تتعشّى فيفي ولم يأْتِها بشيء » .

« تانيا تضحك »

يعقوب ، يهم بالخروج : هي غاضبة ! ستسوء الحال .

الطاهية ، **ليعقوب** : خُذْ معاك إذن المخلّل .

يعقوب : هاته ، هاته .

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا يعقوب » .

الفلاح الأول : دَوْرُ مَنْ للعشاء الآن ؟

تانيا : دور الكلب ؛ كلبها هي . (تجلس وتتناول غلاية الشاي) .
أعندكم شاي ؟ لا يُهمّ . جئت معي بالشاي .

(تضع شاياً في الغلاّية)

الفلاح الثاني : عشاء لكلبٍ ؟

تانيا : بالتأكيد ، تُقْلى له ضاعةٌ قصداً لكي لا يَسْمن كثيراً .
بل إني أغسل له غسيله ، الكلب . . .

الفلاح الثالث : أوه ! يا إلهي !

تانيا : مثلُها مثل ذاك السيّد الذي قام بدَفْن كلبه .

الفلاح الثاني : وكيف ذاك ؟

تانيا : هكذا ! حدّثني رجلٌ أن كلباً هَلَكَ عند ذاك السيّد ، فاذا به يخرج في عربته ، شتاءً ليدفنه . فلمّا انتهى الدفنُ عاد وهو يبكي . كان الوقت صقيعاً ، وكان الحوذي يمسح أنفه الذي سال . . . اسمحوا لي أن أسكب لكم (تصبّ الشاي) . كان أنفه يسيل وهو يمسحه . فلما شاهده السيّد سأله : لمَ تبكي . فقال له الحوذي : وكيف لا أبكي ، يا سيدي ! ما كان أروعه بين الكلاب !

(تضحك)

الفلاح الثاني : وأظنّ أنه كان يفكّر بينه وبين نفسه : « حتى لو هلكتَ أنت نفسك لما بكيتكَ ! »

(يضحك)

الطاهي العجوز ، من فوق الموقد : صحيح ! . . . صحيح !

تانيا : طيب ! ويعود السيّدُ إلى بيته . وسرعان ما يذهب إلى السيدة ، ويقول لها : « ما أطيبَ حوذيّنا ! لقد بكى طوال الطريق ، لفَرْط ما أسِفَ على كلبنا . » فتقول ليُؤتَ به . تعال ! اشربْ جرعةً ، وهذا روبل مكافأة لك . معاملتُنا شبيهة بها . لكن يعقوب لا يشفق على كلبها .

الفلاح الأول : حلوةٌ هذه !

الفلاح الثاني : حلوة حقاً .

الفلاح الثالث ، ضاحكاً : آه ! كم أضْحكْتِنا ، يا بنتي !

تانيا ، تصبّ الشاي: اشربوا شاياً أيضاً . الحياةُ في الظاهر فقط جميلةٌ هنا ، لكن من المقزّز أحياناً تنظيف الأوساخ الموجودة ! الحياة في القرية أفضل .

(الفلاحون يقْلبون فناجينهم) .

تانيا ، ساكبةً الشاي : اشربوا أيضاً . على صحتكِ ، يا ايفيم انتونيتش ! أأصبُّ لك مزيداً من الشاي ، يا دميتري فلاسيفيتش ؟

الفلاح الثالث : طيب ! صُبّي ، صُبّي ! . . .

الفلاح الأول : وقضيّتُنا ؟ هل هي ماشية في طريقها ؟

تانيا : لابأس ، هي ماشية .

الفلاح الأول : قال لنا سيمون . . .

تانيا ، بحدّة : قال لكم ؟ . . .

الفلاح الثاني : ولم نستطعْ أن نفهم شيئاً . . .

تانيا : لا أستطيع أن أقول لكم شيئاً الآن . لكني سأبذل وسعي .
هذا هو عقدكم (تريهم ورقة العقد تحت مئزرها .)
على شرط أن يَنْجح ذاك الشيء ! آه ! كم سيكون ذلك رائعاً !

الفلاح الثاني : إياكِ أن تضيعي العقد ، فقد كلّفنا كثيراً !

تانيا : اطمئنّوا ، يجب أن يوُقّع فقط ، أليس كذلك ؟

الفلاح الثالث : ماذا نريدُ أكثر من هذا ؟ إذا وُقّع العقد انتهى كلُ شيء . . .(يقْلب فنجانه) آه ! كفى .

تانيا ، محدّثةً نفسها : سيوقّع ، سترَوْن أنه سيوقّع ! خذوا مزيداً من الشاي .

الفلاح الأول : دبّري فقط قضيّة بيع هذه الأراضي ؛ افعلي ذلك وستُزوجّكِ الناحيةُ نفسها .

(يرفض الشاي)

تانيا ، تصبّ الشاي وتقدّمه : اشربوا ، من فضلكم .

الفلاح الثالث : توصّلي إلى ذلك وسوف نزوّجكِ . وسآتي لأرقص في عرسك . سأرقص هذه المرة مع أني لم أرقص قط .

تانيا ، ضاحكة : أملي ، إذن ، كبير .

الفلاح الثاني ، فاحصاً تانيا : جيّد ، جيّد ! لكنك لست صالحةً لعمل الحقول .

تانيا : أنا ؟ أتظنّني ضعيفة القوى ؟ لو رأيتَ فقط كيف أشدّ السيدة ! لا يستطيع فلاحٌ أن يشدّها خيراً مني .

الفلاح الثاني : وأين تشدّينها ؟

تانيا : إن لها شيئاً كهذا ، مع نوابض ، هو نوع من القميص الذي يصل إلى هنا . ونحن نشدّها بأربطة كما يُحزَم الجواد ، عندما يَبْصق فارسُه في يديه ليُحسن شدّ الأحزمة .

الفلاح الثاني : أنتِ تسرجينها إذن ؟

تانيا : أنا أسرُجها ، نعم ، ولا أستطيع أن أستند بقدمي عليها .

(تضحك)

الفلاح الثاني : ولمَ تشدّينها ؟

تانيا : لكن لكيْ . . .

الفلاح الثاني : هل كانت قد نذرتْ نذراً ؟

تانيا : لا ، من أجل الجمال .

الفلاح الأول : أنتِ إذن ترقّقين بطنها لتغدو شكلاً جميلاً ؟

تانيا : إنني أحزمها بقوة شديدة حتى لتخرج عيناها من رأسها وهي لاتني تقول : « شدّي ، شدّي ! . . . » وحتى

تحترق يداي من جرّاء ذلك . وتقولون بعد ذلك إنني ضعيفة القوى . (الفلاحون يضحكون ويهزّون رؤوسهم) . لكنني أضيع وقتي !

(تخرج وهي تضحك) .

الفلاح الثالث : إنها لفتاة رائعة ! كمْ أضحكتْنا !

الفلاح الأول : نعم ، إنها حسنة المظهر .

الفلاح الثاني : نعم ، لابأس .

المشهد — ١٥ —

« الفلاحون الثلاثة ، الطاهية ، الفلاح العجوز على الموقد . يدخل ساخاتوف وباسيل ليونيديتش . يمسك ساخاتوف بيده ملعقة شاي » .

باسيل ليونيديتش : لم يكن عشاءً بالضبط ، لكنه كان غداءً عشائياً . وسأقول لك شيئاً : لقد كان هذا الغداء ممتازاً . لحم الخنزير المدهش الذي يحسن « رولبيه » صنعه . أنا عائد من هناك للتوّ . (يشاهد الفلاحين) آه الفلاحون ما يزالون هنا ؟

ساخاتوف : نعم ، نعم ، كل هذا رائع ، لكننا جئنا إلى هنا لنخفي هذه الملعقة . فأين يجب أن نُخفيها ؟

باسيل ليونيديتش : عفوَكَ . (للطاهية) . والكلاب ، أين هي ؟

الطاهية : في غرفة الحوذيين . وهل نستطيع أن نضعها في غرفة الخدمة ؟

باسيل ليونيديتش : آه ! في غرفة الحوذيين ! ايه ماذا ؟

ساخاتوف : أنا انتظر .

باسيل ليونيدتيش : عفواً ، عفواً . ماذا ؟ أين نخبّئها ؟

ساخاتوف : اسمعْ ما أقوله لك . . . ضَعْها في جيب أحد هؤلاء الفلاحين . في جيب هذا مثلاً . قل لي ، أنتَ ، أين جيبُك ؟

الفلاح الثالث : وما حاجتُك إلى جيبي ؟ هذا جيبي ، وفيه نقودٌ . . .

ساخاتوف : حسناً ! أين كيس نقودك ؟

الفلاح الثالث : هل يخصّك هذا ؟

الطاهية : ماذا تقول ! هذا هو السيّد الشاب .

باسيل ليونيديتش ، ضاحكاً : أتعلم لمَ يخاف هذا الخوف ؟ أأقوله لك؟ إن معه مبلغاً كبيراً من المال . ايه ماذا ؟

ساخاتوف : نعم ، نعم ، فهمتُ . اسمعْ إذن : اشغلْهم لحظة وأنا سأخبئها ، أثناء ذلك ، في هذا الكيس بحيث لا يعلمون أين هي ولا يستطيعون أن يدلّوه عليها . تحدّثْ معهم .

باسيل : في الحال ، في الحال . ماذا ، يا أولاد ، أتريدون شراء الأرض ؟ ايه ماذا ؟

الفلاح الأول : نحن نَوَيْنا ذلك من كل قلوبنا ، لكن القضية لا تسير كما نريد . . .

باسيل ليوتيديتش : لكنْ ، لا تكونوا بخلاء أنتم . فالأرض شيءٌ مهم جداً . لقد قلتُ لكم . النعناع أو حتّى التبغ . . .

الفلاح الأول : طبعاً ، نستطيع أن نزرع فيها جميعَ أنواع المحاصيل .

الفلاح الثالث : وأنتَ ، يا سيدي ، كَلِّمْ أباك في ذلك . العيشُ مستحيل . فأرضُنا صغيرة ، ولا مكان فيها لدجاجة !

ساخاتوف : وقد أخفى الملعقة في كيس الفلاح الثالث : تمّ الأمرُ . هيا .

باسيل ليوتيديتش : وأنتم ، لا تكونوا بخلاء . حسناً ! إلى اللقاء

(يخرجان)

المشهد — ١٦ —

« الفلاحون الثلاثة ، الطاهية ، الطاهي العجوز على الموقد » .

الفلاح الثالث : قلتُ لكم : لنذهبْ إلى النزل . كنا سننفق ، لنقلْ ، قِطعةَ من عشرة كوبيكات ، لكننا كنا سنرتاح على الأقل ! أما هنا فنعوذ بالله ! يقول : هات المال . لم ذاك ؟

الفلاح الثاني : لعله قد شربَ .

(يقلِّب الفلاحون فناجينهم ، ينهضون ، ويرسمون علامةَ الصليب) .

الفلاح الأول : وأنتَ ، أتذكر ما قاله ؟ . كيف خَطَر على باله أن يقترح علينا زراعةَ النعناع ؛ لا بدّ من فَهْم . . .

الفلاح الثاني : نعم ، زراعة النعناع ، أرأيتَ ! اذهب إذن ، واكدحْ بنفسك ! عند ذاك ستعرف كيف تطلب زراعة النعناع ! وأنت أيتها الصديقة الحلوة ، قولي لنا : أين يمكن أن ننام ؟

الطاهية : لينمْ أحدُكم على الموقد ، والآخران على المقاعد .

الفلاح الثالث : ليحفظْكَ المسيح !

(يصلّي)

الفلاح الأول ، مصطجعاً : إذا شاء الله وتمتْ الصفقةُ استطعنا أن نسافر في القطار ، غدا بعد الظهر ، ووصلنا نهار الثلاثاء .

الفلاح الثاني : هل ستُطفئين الأنوار ؟

الطاهية : ولم أطفئها ؟ فهناك حركةُ ذهاب وإياب مستمرّة . هم يَطْلبون هذا الشيء تارةً ، ويطلبون غيره تارةً أخرى ... لكنْ ناموا . . . وسأَخْفضُ النور .

الفلاح الثاني : أيمكننا العيش إذا لم نملك ما يكفي من الأرض ! لقد بدأتُ أشتري القمحَ في هذه السنة ، منذ عيد الميلاد ؛ وتبنُ الشوفانِ مشرفٌ على نهايته . لو كان عندي أرضٌ لبذرتُ اربعة هكتارات ، ولأخذت سيمون إلى المنزل . . .

الفلاح الأول : أسرتُك كبيرةٌ ، أنت ؛ وتستطيع أن تحْصد دون صعوبة ، على شرط أن يكون هناك ما يُحْصَد . ليت هذه الصفقة تتمّ فقط .

الفلاح الثالث : يجب أن نتشفّع بسيّدة السموات . فربما تحنّنتْ علينا .

المشهد — ١٧ —

« صمتٌ وتنهدات . ثم يُسْمَعُ وقعُ خطوات ، وأصوات ، ثم يُفْتح الباب على مصراعيه أمام الأشخاص المسارعين . غروسمان ،

معصوب العينين ، يمسك بيد ساخاتوف ، **الأستاذ** ، الطبيب ، السيدة البدينة وليونيد فيودوروفيتش ، بيتسي ، بيتريشتييف ، باسيل ، ليونيديتش ، وماريا كونستانينيوفنا ، السيدة البارونه ، تيودور ، ايفانوفيتش ، تانيا ، الفلاحون الثلاثة ، الطاهية ، والطاهي العجوز الذي لا يُرى . يدخل غروسمان بخطوات حثيثة ثم يقف فجأة » .

السيدة البدينة : لا تخشَوْا شيئاً ! فأنا أراقبُه . لقد تعهدتُ بذلك ، وأنا أؤدي واجبي بدقّة . سيرج ايفانوفيتش ألست تقودُه ؟

ساخاتوف : كلا ، كلا !

السيدة البدينة : يجب ألاّ تقوده ، لكن يجب أيضاً ألا تقاومه . (لليونيد فيودوروفيتش) . أعرفُ هذه التجارب . جربّتها بنفسي . كنتُ أحسّ بتيّارٍ ، وسرعان . . .

ليونيد فيودوروفيتش : اسمحي لي أن أرجوك أن تلازمي الصمتَ .

السيدة البدينة : اوه ! إني أفهم جيداً ، خَبِرْتُ ذلك بنفسي ما إن ينصرفُ الانتباه حتى أعجز عن . . .

ليونيد فيودوروفيتش : صه !

(يمشون ويتجهون إلى الفلاحيْن الأولين ، ثم يتقدّمون نحو الثالث . ويصطدم غروسمان بالمقعد) .

البارونة : **لكنْ قولي لي ، هل هو مأجور ؟**

السيدة : **لا أعْلم شيئاً من ذلك .**

البارونة : **لكنه سيّد نبيل ؟**

السيدة : أوه ! نعم !

البارونة : **إن ذلك لا يخلو من معجزة ، أليس كذلك ؟ إذْ كيف يجد ما هو مخبّأ ؟**

السيدة : لا علمَ لي بذلك ، **سيَشْرحُ لكِ زوجي الأمرَ** (تشاهد الفلاحين ، وتلتفت فترى الطاهية) **عفواً !** ما هذا ؟ **عفواً .** (تقترب البارونة من الجماعة) . من سمحَ للفلاحين بالدخول إلى هنا ؟

الطاهية : يعقوب هو الذي أدْخلَهم .

السيدة : ومَنْ أَمر يعقوب بذلك ؟

الطاهية : لا يمكنني معرفة ذلك . لقد رآهم تيودور ايفانويتش هنا .

السيدة : ليونيد ! (ليونيد فيودوروفيتش لا يسمعها ، لانصرافه كلياً إلى بحث غروسمان) . تيودور ايفانوفيتش ، ما معنى هذا ؟ ألم تَرَ أنني طهّرتُ غرفةَ الانتظار ، فاوّثتُمْ لي الآن المطبخَ والخبز الأسود والخمر . . .

تيودور ايفانوفيتش : ظننتُ أنه لا خَطَرَ من ذلك . لقد جاء هؤلاء الأشخاص من أجل عملٍ لهم ؛ جاؤوا من بعيد ، من الريف . . .

السيدة : لكنهم جاؤوا بالضبط من قرية في مقاطعة كورسك حيث يموت الناس كما يموت الذبابُ من الدفتيريا ! وأمرتُ بعدمِ إبقائهم في المنزل . أقلتُ هذا ، نعم أم لا ؟ (تتقدّم

نحو الجماعة التي تشكّلتْ حول الفلاحين) . احذروا ، لا تمسّوهم ، فهم ملوّثون بالدفتيريا !

(لا يصغي أحد إليها ؛ تبتعد بوقار وتنتظر بلا حراك) .

بيتريشتييف ، يتشمم : لا أدري إن كانت هذه هي عدوى الدفتيريا ، لكنّ في الجوّ عدوى الدفتيريا . أتحسّون بذلك ؟

بيتسي : لا تخترعْ الأشياء ! فوفو ، في أي كيس ؟

باسيل ليونيديتش : في الكيس الآخر ، في الكيس الآخر ! إنه يقترب منه ، إنه يقترب منه . . .

بيتريشتييف : من أين تأتي هذه الرائحة ؟ من روحٍ ؟

بيتسي : هذا هو الوقت الذي أصبحتْ فيه سيجاراتك مناسبةً . دخِّنْ ، دخِّنْ ، على مقربةٍ أكبر مني .

(ينحني بيتريشتييف ويتغطّى بالدخان) .

باسيل ليونيديتش : إنه يقترب ، قلتُ لكم إنه يقترب ! ايه ماذا ؟

غروسمان ، متلمّساً بقاقٍ ما حول الثالث : هي هنا ، هي هنا !

السيدة البدينة : أتحسّ بالتيّار من جديد ؟

(ينحني غروسمان ويعثر على الملعقة . حماسة عامة) .

الجميع معاً : مرحى !

باسيل ليونيديتش : آه ! هنا كانت ملعقتي إذن ! (للفلاح) . آه ! أهكذا أنت ؟

الفلاح الثالث : ماذا ؟ ماذا تقول ؟ لم آخذ ماعقتك ! ماذا يختلق ! لم أمسسها ! الحق أني لا أعرف شيئاً عن ذلك ! ليقلْ ما شاء ! كنت واثقاً من أنه لم يأت إلى هنا بنية حسنة . قال لي : أعطني كيسَ نقودك ! أما أنا فلم آخذ الملعقة . يشهد المسيحُ أني لم آخذها .

(يحيط به الشباب ويضحكون) .

ليونيد فيدوروفيتش ، وقد بدا عليه الغضبُ ، لابنه : أنت لا تكفُّ عن الحماقات أبداً . (للفلاح الثالث) . لا تقلقْ ، يا صاحبي . فنحن نعلم جيداً أنك لم تَسْرقها . كان ذلك تجربةً .

غروسمان ، يرفع العصابة عن عينيه ويتظاهر بأنه أفاقَ : أعطوني ماءً من فضلكم .

(الجميع يسارعون إليه) .

باسيل ليونيديتش : لِنَذْهبْ إلى غرفة الحوذيين ، وسأُريكم الساوقيَّ الذكر الجميل الذي عندي . **مذهل** ؟ ايه ماذا ؟

بيتسي : ما أقبحَ هذه الكلمة . ! أما كنتَ نستطيع أن تقول « كلب» فقط .

باسيل ليونيديتش : لا ، فكما أني لا أستطيع أن أقول عنكِ : أيّ رجل مذهل بيتسي ! بل يجب أن أقول أية فتاة ! » فكذلك الأمر هنا ، ماذا ؟ أليس ذلك جميلاً ، يا ماريا كونستانتينوفنا ؟

(يضحك)

ماريا كونستاتينوفنا : حسناً ! هيّا .

(ماريا كونستا نتينوفنا ، بيتسي ، بيتّرتشتييف ، باسيل ، ليونيديتش يخرجون) .

المشهد — ١٨ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا ماريا كونستانتينوفنا ، بيتسي ، بيتّريشتييف ، وباسيل ليونيديتش »

السيدّة البدنية ، لغروسمان : ماذا ! هل استرحْتَ ؟ (غروسمان لا يجيب . لساخاتوف) . هل أحسستَ بالتّيار ، يا سيرج ايفانوفيتش ؟

ساخاتوف : لم أحس بشيء على الإطلاق ؛ لكن التجربة كانت ممتازة ، وقد نجحتْ تماماً .

البارونة : رائع ! ألا يُؤْلمْهُ ذلك ؟

ليونيد فيودوروفيتش : أبداً .

الأستاذ ، لغروسمان : اسمحْ لي ، من فَضْلك (يقدّم له ميزان حرارة) في بداية التجربة كانت حرارتك ٣٧,٢ . (للطبيب) أليس كذلك ؟ تَكَرَّمْ بجسّ نبضة ، أرجوك . إن نقصان القوة لا مفرّ منه .

الطبيب : حسناً ! لنتحقّقْ ، ياسيدي ، لنتحقّقْ . (لغروسمان) . أعْطني نبضك .

(يخرج ساعته ويمسك بيده) .

السيدة البدينة ، لغروسمان : عفواً ، لكن الحالة التي كنتَ فيها لا يمكن أن تُسمّى نوماً ؟

غروسمان ، متعباً: هي مع ذلك النوم المغناطيسي . . .

ساخاتوف : يجب أن يُفْهَمَ إذن ، أنك نوّمت نفسَك بنفسك ؟

غروسمان : ولمَ لا ؟ فاليوم المغناطيسي لا يمكن أن يحدث فقط بالتداعي أو بأصوات الطنطنة كما هي الحال عند شاركو (١) مثلاً ، بل بمجرد الدخول إلى المنطقة الباطنية .

ساخاتوف : صحيح . لكنّ من المرغوب فيه ، مع ذلك ، تعريف النوم المغناطيسي تعريفاً أدقّ .

الأستاذ : النوم المغناطيسي ظاهرةُ تحويل طاقة إلى أخرى .

غروسمان : شاركو لا يعرّفها هكذا .

ساخاتوف : عفواً ، عفواً ، هذا رأيكَ . . . لكن ليبو قال لي أنا نفسي . . .

الطبيب ، مُرْخياً يد غروسمان : كفى ، لكن يجب أن نقيس الحرارة الآن .

السيدة البدينة ، تُشارك في الحديث : آه ! لا ! عفواً . . .أنا أوافق الكسي فلاديمير وفيتش . ودونك أَسْطعُ البراهين ! فعندما كنتُ أغيبُ عن الوعي ، بعد مرضي ، كنتُ

---

(١) شاركو : « شاركو » ، وكذلك « ليبو » استاذا طب الأمراض النفسية في باريس حيث يزعم غروسمان أنه انهى دراسته .

أحسّ في هذه اللحظة بالحاجة إلى الكلام، ثم إلى الكلام! وقد قيل لي إنني كنتُ أُسرفُ في الكلام حتى كان الجميع يدهشون من ذلك . (لساخاتوف) . على كل حال ، لقد قاطعتكَ ، فيما أظن .

ساخاتوف ، بوقار : لا . أرجوك .

الطبيب : النبض اثنان وثمانون . وارتفعت الحرارةُ ثلاثة أعشار .

الأستاذ : حسناً ! هذه هي الأدلّة ؛ هذا ما لا بدّ من حدوثه . (يُخرج دفتراً صغيراً ويسجّل) . اثنان وثمانون ، تماماً ، و ٣٧,٥° ... ما إن يحصل النوم المغناطيسي حتى تتسارع دقات القلب . . .

الطبيب : أستطيع أن أشهد ، بصفتي طبيباً ، أن توقعكم قد تأكدّ كلّياً .

الأستاذ ، لساخاتوف : ماذا كنتَ تقول ؟

ساخاتوف : كنت أريد أن أقول : إن « ليبو » نفسه قال لي : إن النوم المغناطيسي ليس سوى حالة نفسية عادية تضخّمت بسبب انتباه غير عادي . وإذنْ . . .

الأستاذ : صحيح ، لكن قانون التعادل بخاصة . . .

غروسمان : وفضلاً عن ذلك ، فهيهات أن يكون « ليبر » حجّةً ؛ لكن شاركو درس المسألة من وجوهها كافةً ، وبرهنَ على أن النوم المغناطيسي الذي تُحدثُه صدمةٌ . . .

ساخاتوف ، يتحدث في الوقت الذي يتحدّث فيه الآخرون : لا شك أني لا أُنكرُ عمل « شاركو » ، وأنا أعرف هذا العمل . لكني أكرّرُ فقط ما قاله ليبولي .

غروسمان ، محتدّاً : في مستشفى « السالبيترييير » ثلاثة آلاف مريض ، وقد حضرتُ الدروسَ الكاملة . . .

الأستاذ : عفواً . . . يا سيّدي ، ليس هذا هو الموضوع .

السيدة البدينة ، مشاركة في الحديث : سأشرح لكم ذلك في كلمتين : عندما كان زوجي مريضاً ويئِسَ الأطباءُ منه . . .

ليونيد فيودوروفيتش : هيّا ، انِدخلْ قاعة الاستقبال ، يا بارونة ، إذا شئتِ .

(السيدة البدينة ، غروسمان ، الأستاذ ، الطبيب ، البارونة ، ساخاتوف ، يخرجون وهم يتحدثون ويقاطع بعضُهم بعضاً) .

المشهد — ١٩ —

« الفلاحون الثلاثة ، الطاهية ، تيودور إيفا نوفتش ، تانيا ، الطاهي العجوز (على الموقد) ، ليونيد فيودور وفيتش والسيدة »

السيدة ، تسحب ليونيد فيودوروفيتش من كمّه : كم مرةٍ رجوتُكَ ألا تُصدر أوامرك في البيت ! اشتغلْ بحماقاتك ، ودعْ المنزل لي ! ستُعْدي الناسَ جميعاً .

ليونيد فيودوروفيتش : مَن؟ ماذا؟ لا أفهم شيئاً ممّا تقولين .

السيدة : كيف ! هؤلاء الناس مرضى بالدفتيريا ، وهم ينامون في المطبخ حيث يكونون على تماس متصل بخدَمنا .

ليونيد فيودوروفيتش : لكني أنا . . .

السيدة : أنا ، ماذا ؟ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أنا لا أعلم شيئاً . . .

السيدة : عندما يكون الرجلُ أباً لأسرة فيجب أن يعلم ؛ لا يجوز له أن يفعل ذلك !

ليونيد فيودوروفيتش : لكني لم أكن أظن ، كنتُ أظن . . .

السيد : من المُثير أن يَستمع الإنسانُ إليك !

(يسكت ليونيدفيودوروفيتش) .

السيدة ، لتيودور ايفا نوفيتش : اطردْهم على الفور ! يجب ألا يبقوا في مطبخي ! شيء رهيب ! ألاّ تجد من يُصغي إليك ! يفعلون ذلك عمداً . كلما طردتُهم أدخلوهم . (تهتاج شيئاً فشيئاً وتأخذ بالبكاء) . يفعلون ذلك عمداً ليعاكسوني ! وأنا المريضة ! يادكتور ! يا دكتور ! بيير بيتّروفتش ! انصرفَ هو الآخر !

(تتباكى وتخرج . يتبعها ليونيد فيودوروفيتش)

المشهد — ٢٠ —

« الفلاحون الثلاثة ، تانيا ، تيودور ايفانوفتش ، الطاهية ، الطاهي العجوز على الموقد . لوحة . يظل الجميع صامتين بعض الوقت »

الفلاح الثالث : لِيحرُسهم الله ! هؤلا الناس يريدون أن يسلّموك إلى الشرطة . وأنا الذي لم أدخلْ في دعوى طوال حياتي . لِنذهبْ إلى المنزل ، يا أولادي !

تيودور ايفانوفيتش ، لتانيا : ما العمل الآن ؟

تانيا : لا شيء ، يا تيودور ايفانوفيتش ، لِنضعْهم في غرفة الحوذيين .

تيودور ايفانوفيتش : كيف ذاك ؟ والحوذي قد اشتكى من أن غرفته ملأى بالكلاب !

تانيا : حسناً ! عند البواب إذن .

تيودور ايفانوفيتش : وإذا عُلِمَ ذلك ؟

تانيا : لن يُعْلَم شيءٌ من ذلك . اطمئنّ ، يا تيودور ايفا نوفتش. هل يجوز لنا أن نطردهم في الليل ؟ لن يجدوا مأوىً .

تيودور ايفانوفيتش : حسناً ! افعلي كما تشائين ، على شرط ألاّ يَبْقوا هنا !

(يخرج)

المشهد — ٢١ —

« الفلاحون الثلاثة ، تانيا ، الطاهية ، الطاهي العجوز . الفلاحون يعلّقون أكياسهم » .

الطاهي العجوز : اوه ! لهؤلاء الشياطين الحقراء ! الغيظ يملأ جلودهم ، هؤلاء الشياطين !

الطاهية : اسكتْ ، أنتَ ! من حسن الحظ أنهم لم يَرَوْكَ !

تانيا : هيّا ، يا أعمامي ، إلى غرفة البواب .

الفلاح الأول : وقضيّتنا ، أين صارت ؟ وما مصيرُ توقيع العقد ؟
هل يجب أن نحتفظ بشيء من الأمل .

تانيا : في ظرف ساعة ، سنعرفُ كلّ شيء .

الفلاح الثاني : هل ستكونين شاطرةً بما فيه الكفاية ؟

تانيا ، ضاحكة : على مشيئة الله !

ستار

الفصل الثالث

« تجري الأحداث في مساء اليوم نفسه ، في غرفة استقبال صغيرة ، حيث تُقام عادةً تجاربُ ليونيد فيودوروفيتش » .

المشهد — ١ —

« ليونيد فيودوروفيتش والأستاذ » .

ليونيد فيودوروفيتش : ما رأيكَ إذنْ ؟ أنجازف بالجلسة مع وسيطنا الجديد ؟

الأستاذ : حتماً . لا جدال في أن هذا الوسيط قويٌّ جداً . ومن المرغوب فيه أن تُعْقَد جلسةُ الوسيط في منزلك ، وفي هذا اليوم نفسه ، ومع الأشخاص أنفسهم . يجب أن يتلقى غروسمان حتماً تأثير الطاقة الوسيطيّة ، وحينئذٍ ستغدو رابطة الظواهر ووحدتها أشد وضوحاً . وسترى أن الوسيط إذا ظلّ قوياً كما كان قبل قليل ، فسوف يَهْتزّ غروسمان !

ليونيد فيودوروفيتش : حينذاك سأُحْضِرُ سيمون ، و سأدعو الذين يرغبون في حضور الجلسة .

الأستاذ : طيّب ! طيبّ ! أريد أن أسجّل فقط بعض الملاحظات

(يُخرج دفتره الصغير ويكتب)

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم وساخاتوف »

ساخاتوف : شُرِعَ بلعبة الهويست عند آنا بافلوفنا ، فجئت إلى هنا . ماذا ؟ هل ستُعْقَد الجلسة ؟

ليونيد فيودوروفيتش : سيكونُ هناك جلسةٌ ، سيكون هناك جلسة !

ساخاتوف : وكيف ذلك ، بدون قوة السيد كابتشيتش الوسيطية ؟

ليونيد فيودوروفيتش ، **وجهك سعدٌ علينا ! تصوّرْ** أن الفلاّح الذي حدّثتك عنه وسيطٌ متميّز .

ساخاتوف : حقا ! اوه ! هذا امر مثيرٌ للاهتمام .

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ، نعم . لقد عملنا معه ، **بعد العشاء** ، تجربةً صغيرة للاختبار .

ساخاتوف : ونجحتم في عملها وفي إقناع انفسكم ؟

ليونيد فيودوروفيتش : تماماً ، وتبيّن انه وسيط ذو قوة خارقة .

ساخاتوف ، بتشكك : آه ! حقاً ؟

ليونيد فيودوروفيتش : يبدو ان الجميع ، في غرفة الخدمة ، لاحظوه منذ وقت طويل . . . إنه يجلس ، مثلاً ، امام فنجانه ، فتقفز الملعقة من ذاتها إلى يده . (للأستاذ) هل سمعتَ بذلك ؟

الأستاذ : الحقيقة انني لم اسمعْ بذلك .

ساخاتوف ، للأستاذ : لكنْ هلْ تسلّمونَ بامكان حدوث مثل هذه الظواهر ؟

الأستاذ : ايّة ظواهر ؟

ساخاتوف : ظواهر استحضار الأرواح ، والظواهر الوسيطيّة ، الظواهر فوق الطبيعية ، على العموم .

الأستاذ : المسألةُ هي ان نعلم حقيقة ما نَدْعوه فوق الطبيعي ؟ فعندما تجذبُ قطعةٌ من الحجر – لا الإنسانُ الحي – مسماراً، فهل تُعْتَبَرُ هذه الظاهرةُ طبيعيةً أو فوق الطبيعية ؟

ساخاتوف : نعم ، بدون شك ، لكن بعض الظواهر مثل جذب المغناطيس ، مثلاً ، تتكرّرُ دائماً .

الأستاذ : الشيءُ نفسُه هنا ؛ تتكرر الظاهرة ونحن ندرسُها ! واكثر من ذلك ، فنحن نصنف الظواهر التي ندرسها ضمن قوانين عامة تنطبق على ظواهر اخرى . لأن الظواهر لا تبدو فوق الطبيعة إلا إذا عُزِيَ سببُها إلى الوسيط نفسه . لكن هذا غير صحيح فالظواهر لا تحدث بالوسيط بل بالطاقة النفسية التي تتجلّى في الوسيط . والفرق كبير . كل شيء يكمن في قانون التعادلات .

ساخاتوف : نعم ، بدون شك ، لكن . . .

المشهد – ٣ –

« الأشخاص أنفسهم ، وتانيا التي تختبيء وراء الستارة »

ليونيد فيودورفيتش : اعلموا فقط هذا الشيء : هو اننا لسنا واثقين من شيءٍ سلفاً سواء مع هرم وكابتشيتش ام مع هذا

الوسيط ، فربما لم نحصل على شيء ، وربما حصلنا على تجسيد كامل .

ساخاتوف : ماذا تعني بالتجسيد الكامل ؟

ليونيد فيودوروفيتش : اعني الشيءَ التللي ، قد يأتي شخصٌ ميتٌ ، أبوك أوجدّك ، ليأخذ يدك وليعطيك شيئاً ما ، أو قد يرتفع شخصٌ فجأةً في الهواء ، كما حدث عندنا ، في آخر مرة ، مع « الكسي فلا دميروفيتش » .

الأستاذ : بالتأكيد ، بالتأكيد ! لكن الأمرَ الأساسي هو تفسير الظواهر وتصنيفها ضمن قوانين عامة .

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، السيدة البدينة »

السيدة البدينة : لقد سمحتْ لي آنا بافلوفنا بالمجيء إلى هنا .

ليونيد فيودوروفيتش : يسرّنا ذلك !

السيدة البدينة : آه ! كم كان غروسمان مُتعَباً ! لم يكن يستطيع ان يمسك بفنجانه . (للأستاذ) هل لاحظتَ كيف شَحبَ في اللحظة التي اقترب فيها من الفلاح ؟ لاحظتُ ذلك على الفور ، واخبرتُ بذلك آنا بافلوفنا قبل غيري .

الأستاذ : بدون شك ، وذلك من نقص الطاقة الحيويّة .

السيدة البدينة : هذا ما قلتهُ . ويجب الا نُسيء استخدام هذه الأشياء ! . وهكذا فإن منوّما مغناطيسياً أوحى لإحدى صديقاتي ،

وهي فيروتشكا كونشينا — لكنك تعرفها — ان تنقطع عن التدخين . فبدأت كليتاها تؤلمانها .

الأستاذ ينوي الكلام : إن قياس الحرارة والنبض يبرهن بوضوح ...

السيدة البدينة : عفواً ! سأنتهي من كلامي في الحال . فقلتُ لها : « الأفضل أن تدخني وألا تتألـّمي هذا الألمَ في الأعصاب » . لا شك ان التدخين مؤذٍ ، واود لو أتخلى عن هذه العادة ، لكن ما العمل ؟ إني لا استطيع . لقد انقطعتُ مرةً عن التدخين لمدة اسبوعين ، ثم لم استطع بعد ذلك أن أمنع نفسي .

الأستاذ ، محاولاً الكلام : يبرهنون ، مثلا . . .

السيدة البدينة : كلاً ، اسمح لي ! بكلمتين . . . أنت تقول إذن أن هناك صرفاً للقوى ؟ احببتُ أن أقول : إنني عندما كنتُ أسافر في عربة البريد . . . كانت الطرقُ فظيعة — أنت لا تذكر ذلك ، أما أنا . . — لاحظتُ ، واعتقدْ ما تشاء في ذلك ، ان عصبيتنا مردها إلى السكك الحديدية . انا ، مثلاً ، لا يمكنني أن أنام في عربة القطار . لو قتلْتني لما نمت !

الأستاذ : إن صَرْفَ القوى . . .

ساخاتوف ، مبتسماً : نعم ، نعم .

(ليونيد فيودوروفيتش يدق الجرس) .

السيدة البدينة : ومهما يبلغ بي الأرق ، ليلةً أو ليلتين أو ثلاث ليال ، فاني لا اتمكّن من النوم مع ذلك .

المشهد — ٥ —

« الأشخاص أنفسهم ، وغريغوري » .

ليونيد فيودوروفيتش : قلْ ، من فضلك ، لتيودور ان يُهيّءَ كل ما يلزم للجلسة ، وأن يدعو إلى هنا سيمون ، الخادم في غرفة الخدمة ، سيمون ، **أتَسْمعُ ؟**

غريغوري : نعم يا سيدي .

(يخرج)

المشهد — ٦ —

« الأستاذ ، ليونيد فيودوروفيتش ، السيدة البدينة ، تانيا مختبئة ، ساخاتوف » .

الأستاذ ، لساخاتوف : إن قياسات الحرارة والنبض برهنت على صَرْف الطاقة الحيوية . الشيء نفسه سيحدث خلال الظواهر الوسيطية ، فقانون المحافظة على الطاقة .....

السيدة البدينة : نعم ، نعم ! أحببتُ أن أقول لكم فقط إنني مسرورةٌ جداً إذ تبيّن أن مجرّد فلاح يصلح وسيطاً . هذا ممتازٌ . لقد كنت أقول دائماً إن انصار السلافيّة . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أتريدونَ أن ننتقل إلى غرفة الاستقبال ريثما تُعقد الجلسة ؟

السيدة البدينة : عفواً ! بكلمتين : أنصار السلافية على حق ؛ لكنني كنت أقول دائماً لزوجي : ينبغي ألا نُبالغَ في شيء .

خيرُ الأمور الوسط . وإلا فكيف نُثبت أن كل شيء في شعبنا كاملٌ ، وانا قد رايتُ بعينيّ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أتريدون الانتقال إلى غرفة الاستقبال ؟

السيدة البدينة : . . . صبيّاً بهذا الطول يشرب خمراً . فوبّختُه فوراً ! كان ممتناً لي : اولئك أطفالُ ، وكنتُ أقول دائماً ، لا بدّ ، مع الأطفال من الحب والصرامة .

(يخرجون وهم يتحدّثون) .

المشهد – ٧ –

« تانيا وحدها ، تخرج من وراء الستارة » .

تانيا : ليتنا ننجح على الأقل !

(تمد خيوطها) .

المشهد – ٨ –

« تانيا وبيتسي داخلةً على عجل » .

بيتسي : بابا ليس هنا ؟ (**تشاهد تانيا**) . ماذا تفعلين هنا ؟

تانيا : لا شيء ، يا آنسة . جئتُ إلى هنا ، هكذا . . . كنت اودّ . . .

(ترتباك)

بيتسي : لكن الجلسة ستُعقد بعد قليل ؟ (**تلاحظ ان تانيا تلفّ خيطاً ، فتنظر إليها بحدّة ، وفجأةً تنفجر ضاحكةً**) . تانيا ، أأنتِ التي تفعل ذلك كله ؟ لا تُنكري ! في آخر مرة ، كنتِ انتِ ! اعترفي ، كنتِ انت ؟

تانيا : يا آنسة . . . اوه ! يا آنسة ! . . .

بيتسي ، متحمّسةً : آه ! ما أحسن هذا ! ما كان ذلك ليخطر ببالي ! لمَ تفعلين ذلك ؟

تانيا : يا آنستي الطيبة ، لا تَشي بي .

بيتسي : كلا ، أبداً ! أنا مسرورة جداً . وكيف تفعلين ذلك ؟

تانيا : الأمر بسيط جداً : أختبىءُ . وما أن يُطفئوا الأنوار حتى أخرج وأفعل ما أشاء .

بيتسي ، مشيرةً إلى الخيط : وهذا ؟ لا تقولي شيئاً ! . . . فهمت ؛ أنتِ تلمسينهم به ؟

تانيا : لن أعترف إلا لك ؛ لم أكن أفعل هذا من قبل إلا لأتسلّى ؛ أما اليوم فاني أفعله لقضية جادة . . .

بيتسي : كيف ؟ ماذا ؟ أية قضيّة ؟

تانيا : القضية هي التالية : هل رأيتِ الفلاحين الذين أتوا : إنهم يريدون شراءَ الأرض ، وأبوكِ لا يريد أن يبيعهم ، ولا يريد توقيع العقد الذي أعادَه إليهم . يقول تيودور ايفانوفيتش : إن الأرواح هي التي منَعتْه من ذلك . حينئذ خطَرتْ لي هذه الفكرةُ .

بيتسي : آه ! ما أذكاكِ ! هذا حسن ! لكن كيف ستَفْعلين ؟

تانيا : انظري ما الذي تصوّرتُه : عندما يُطفئون الأنوار سأبدأ بالنقر ، وبرَمْي الأشياء ، وبملامسة رؤوسهم بالخيط ؛

وفي للنهاية ، سأرمي عقد البيع على الطاوِلة ، وهو معي هنا .

بيتسي : ثمّ ماذا ؟

تانيا : وكيف ! سيدهشون . كان العقدُ مع الفلاحين فاذا به هنا ! ثم سآمرُ . . . سيمون . . .

بيتسي : لكن سيمون وسيطٌ اليوم !

تانيا : نعم ، لكنْ أنا أمرتُه بذلك . (تنفجر ضاحكةً) . سآمره أن ينقر على كل ما قد يجده حوله . لا على أبيك مثلاً ، إنه لا يجرؤ . . . لكنْ على الآخرين ، على أيّ منهم ، حتى يوقّع السيّد .

بيتسي ، ضاحكة : لكن ذلك غير جائز هكذا ؛ فالوسيطُ نفسه لا يفعل شيئاً .

تانيا : لا قيمة لذلك ، سيان ؛ ربما سارت الأمورُ سيراً حسناً هكذا .

المشهد — ٩ —

« تانيا ، تيودور ايفانوفيتش ، بيتسي ، التي تُومىء إلى تانيا وتخرج » .

تيودور ايفانوفيتش : ماذا تفعلين هنا ؟

تانيا : أنا . . . كنت ذاهبة إليك ، يا تيودور ايفا نوفيتش .

تيودور ايفانوفيتش : ماذا تريدين ؟

تانيا : بشأن القضية التي حدّثتك عنها . . .

تيودور ايفانوفيتش ، ضاحكاً : تمّ الأمرُ ! وعقدنا الخطبة !

تانيا ، مرسلةً صرخةَ الفرح : صحيح ؟

تيودور ايفانوفيتش : بدون شك ! لقد قال : سأشاور العجوز ، وعلى بركة الله . . . »

تانيا : هو قال ذلك ! (ترسل صرخةً جديدة من الفرح) . آه ! ما أحسن هذا ، يا تيودور ايفا نوفيتش العزيز ! سأصلّي من أجلك طوال حياتي .

تيودور ايفانوفيتش : طيّب ، طيّب ! لا وقتَ لديّ الآن . قالوا لي أن أهيّءْ كل شيء للجاسة .

تانيا : دعْني أساعدك . ما الذي يجب أن تفعله ؟

تيودور ايفانوفيتش : يجب وضعُ الطاولة وسط الغرفة . وكذلك الكراسي ، والقيثارة ، والاكورديون ، والشموع لا المصباح .

تانيا ، تساعد تيودور ايفا نوفيتش : القيثارة في هذه الجهة ،والمجرة هنا . (تضع الأشياء) . هكذا ؟

تيودور ايفانوفيتش : أحقّاً سيأخذون سيمون وسيطاً ؟

تانيا : طبعاً ، وقد أخذوه من قبل .

تيودور ايفانوفيتش : هذا مدهش ! . . . (يضع نظارته) . هل هو نظيفٌ على الأقل ؟

تانيا : لا أدري !

تيودور ايفانوفيتش : إذن ، اسمعي . . .

تانيا : ماذا ، يا تيودور ايفا نوفيتش ؟

تيودور ايفانوفيتش : اذهبي وأحضري فرشاة للأظافر ، وصابون « تريداس » تستطيعين أن تأخذي ذلك من عندي . . . وقصّي أظافره ، واغسلي يديه حتّى تنظفا .

تانيا : سيغتسل وحده .

تيودور ايفانوفيتش : طيّب ! قولي له ذلك . وقولي له أيضاً أن يلبس ثياباً داخلية نظيفة .

تانيا : سأفعل ذلك ، يا تيودور ايفا نوفيتش !

المشهد – ١٠ –

تيودور ايفانوفيتش ، وحده ، يجلس على أريكة ، مهما يكونوا علماء ، مثل الكسي فلاديميروفيتش الذي هو أستاذ مثلا ، فان الشك يُساورني أحياناً . إنهم ماضون في إلغاء العقائد الشعبية ، الخرافات كما يقال . . . لكن عندما نفكّر فيما يفعلون فان ذلك يبدو كالخرافات حقاً . وإلاّ فهل من الممكن أن تأتي أرواحَ الموتى لتتحدث ولتعزف على القيثارة ؟ . . . لا شك أن هناك من يَضْحك عليهم . . . أو أنهم يضحكون على أنفسهم . أما قصة سيمون فاست أفهم منها شيئاً . . . (يتصفّح ألبوم استحضار الأرواح) . هذا هو البوم استحضار الأرواح ، أمن الممكن أن تُصوّر

الأرواح ؟وهذه هي صورة التركي مع ليونيد فيودوروفيتش!
غريب!

المشهد – ١١ –

ليونيد فيودوروفيتش ، داخلاً : كل شيء جاهز ؟

تيودور ايفا نوفيتش ، ينهض دون استعجال : جاهز ! (مبتسماً) لكني أخشى أن يعرّضَ الوسيطُ الجديد للفشل ، يا ليونيد فيودوروفيتش !

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، جرّ بناه مع الكسي فلاديميروفيتش . . إنه وسيط ذو قوّة مدهشة .

تيودور ايفانوفيتش : لا أدري ؛ لكنْ هل هو نظيف ؟ لم يخطر لك أن تأمره بغَسْل يديه ؟ . . . فليس من اللائق مع ذلك أن . . .

ليونيد فيودوروفيتش : يداه . آه ! نعم ! أنت ترى أنهما غير نظيفتين ؟

تيودور ايفانوفيتش : وكيف تريد أن يكون ؟ فلاح . . . وهناك سيدات وماريا فاسيلييفنا . . .

ليونيد فيودوروفيتش : إذن ، كلامك في محله . . .

تيودور إيفانوفيتش : بهذه المناسبة ، أحبّ أن أقول لك : إن ، « تيموثيه » الحوذي جاء واشتكى لي ، قال إنه لا يستطيع أن يحافظ على الجياد نظيفة بسبب الكلاب .

ليونيد فيودوروفيتش ، شارد اللب ، وهو يضعُ الأشياء على الطاولة : أيّةُ كلاب ؟

تيودور ايفانوفيتش : أحْضِرتْ اليوم ثلاثة كلاب سلوقية لباسيل ليونيدتيش ، فوُضعتْ في غرفة الحوذيين .

ليونيد فيودوروفيتش ، متضايقاً : أخبرْ بذلك آنا بافلوفنا ، ولتصنعْ ما تشاء ! أما أنا فلا وقتَ لديّ .

تيودور ايفانوفيتش : أنت تعرف جيداً ضعفَ السيدة . . .

ليونيد فيودوروفيتش : طيّب ! لتفعلْ كما تشاء ! أما هو فليس لنا منه سوى المكدّرات . . . ولا وقتَ لديّ . . .

المشهد – ١٢ –

« الأشخاص أنفسهم ، وسيمون الذي يدخل مرتدياً معطفاً طويلا بلا كميّن ، ويبتسم » .

سيمون : أمَرْتَني بالمجيء ؟

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ، نعم ! أرني يديك . جيّد ! هيا ، يا صديقي ، افعل ما فعلْته قبل قليل ، اجلسْ ولا تفكّرْ في شيء .

سيمون : ما جدوى التفكير ؟ التفكير أسوأ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : صحيح ! صحيح ! كلما تناقصَ شعورنا قويَ سلطاننا . لا تُفكّر في شيء وأسلمْ نفسَكَ لهواها ؛ نمْ إذا اشتهيتَ أن تنام ؛ وامشِ إذا اشتهيت أن تمشي . أتفهم ؟

سيمون : وكيف لا أفهم ؟ ليس الأمر بالصعب على الإطلاق . . .

ليونيد فيودوروفيتش : وعلى الخصوص ، لا تَضْطربْ من شيء ، لأنك قد تدهش أنت نفسك . وأعلم أن عالم الأرواح اللامرئيَ يعيش كما نعيش نحن .

تيودور ايفانوفيتش ، مصحّحاً له : إحساساتٌ لا مرئيةٌ ، أتفهم ؟

سيمون ، ضاحكاً : وكيف لا أفهم ؟ الأمرُ ، بحسب ما تقولون ، بسيطٌ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : قد يقعُ لك أنِ ترتفع في الهواء أو أي شيء آخر ، فلا تَخَفْ شيئاً . . .

سيمون : ولمَ الخوف ؟ كل ذلكِ ممكن . . .

ليونيد فيودوروفيتش : أذن سأُحضِرُ الجميعَ . كل شيء جاهز ؟

تيودور ايفانوفيتش : كل شيء ، على ما أرى .

ليونيد فيودوروفيتش : وألواح الاردواز :

تيودور ايفانوفيتش : هِي تحت ، وسآتي بها .

(يخرج)

المشهد — ١٣ —

« ليونيد فيودور وفيتش وسيمونِ » .

ليونيد فيودوروفيتش : مَليحٌ ! أذنْ لا تضطربْ ؛ واعملْ على راحتك.

سيمون : أأستطيع ان أخلع معطفي ، فذلك أرْوَحُ لي .

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، لا ! لا تَفعلْ هذا !

(يخرج)

المشهد — ١٤ —

سيمون ، وحده : قالت لي أيضاً أن أفعلَ الشيءَ نفسه وهي ، من جهتها ، ستَرْمي بالأشياء . كيف لا تخاف هي ؟

المشهد — ١٥ —

« سيمون وتانيا التي تدخل بغير حذاء ، وفي فستان بلون الستائر . سيمون يضحك » .

تانيا ، تأمره بالصمت : كفى ! اسكتْ ؛ قد يسمعوننا . خُذْ ! هذه أعواد الكبريت التي ستفرك بها أصابعَك ، مثل المرة السابقة . (تفرك له أصابعه) . ألم تَنْسَ شيئاً ؟

سيمون ، يعدّ على أصابعه : بَلّ الفوسفور وتحريك اليدين أولا ؛ وثانياً ، صَرْف الأسنان ؛ وثالثاً . . . نسيتُ .

تانيا : لكنّ هذا هو أهم شيء ! تذكّرْه جيدا . حالما يقع العقد على الطاولة سأدق الجرس ؛ فامدُدْ حينئذٍ ذراعَيْك هكذا ، وحرّكْهما دون أن تبالي بمعرفة مَنْ تَضْرب . (تضحك) . وفي الوقت نفسه دَمْدِمْ هكذا . واضربْ وكأنك تفعل ذلك وأنت تحلم . وحينما أبدأ بالعزف على القيثارة ، تظاهرْ بأنك تستيقظ ، وتَمَطّ هكذا ، عرفتَ ؟ ألن تَنْسى ذلك ؟

سيمون : لا ! ولكن هذا مضحكٌ جدا .

تانيا : وإياك أن تَضْحك . وإذا ضحكتَ فليس ذلك كارثة ،

على كل حال . سيظنّون أنك تضحك في نومك . لكن لا تنمْ حقيقةً ، عندما يطفئون الأنوار !

سيمون : لا تخشي شيئاً ، سأقرص أذنيّ ! . . .

تانيا : انتبهْ إذن ، يا عزيزي سيمون ! افعلْ ذلك كله ولا تخشَ شيئاً ، وسيوقّع العقدَ . سترى . ها هم .

(تختبىء تحت الأريكة) .

المشهد — ١٦ —

« سيمون ، تانيا ، غروسمان ، الأستاذ ، ليونيد فيودوروفيتش ، السيدة البدينة ، الطبيب ، ساخاتوف ، السيدة ، سيمون يقف قرب الباب » .

ليونيد فيودوروفيتش : تفضّلوا يا جميع المتشكّكين ، فمع أن وسيطنا جديدٌ إلا أنني أعوّل اليوم على ظواهر عظيمة الدلالة .

ساخاتوف : هذا شائق ، شائق جدا !

السيدة البدينة : لكنه حسن الهيئة !

السيدة : حسن كخادم في المطبخ ، نعم ؛ لكن هذا كل شيء . . .

ساخاتوف : النساءُ لا يؤمنّ أبدا بأعمال أزواجهن . ألا تُعْجَبين بشيء إطلاقاً ؟

السيدة : بالتأكيد ، لا ! كابتيشيتش ، في الحقيقة ، يملك شيئاً خاصاً ، أما هذا ، يا إلهي ! فماذا يطلعُ منه ؟

السيدة البدينة : لا ، عفوا ، آنا بافلوفنا ! لا يجوز أن نتكلّم هكذا عن هذه الأشياء . عندما لم أكنْ متزوجّةً بعد ، حامت ، ذات مرة ، حلماً مثيرا ، تعلمين أن من الأحلام ما لا يُعْرَفُ أين يبدأ وأين ينتهي . ولقد حامت بالضبط حاماً مشابهاً . . .

المشهد – ١٧ –

« الأشخاص أنفسهم ، باسيل ليونيديتش وبيتّريشتييف يدخلان » .

السيدة النبيلة : وانكشفت لي أشياء كثيرة في هذا الحام . الشبابُ الآنِ (تشير إلى باسيل ليونيديتش وبيتّريشتييف) .
ينكِرون كل شيء !

باسيل ليونيدتيش : أنا ، أبدا . . . لا أنكرُ شيئاً ! أيه ماذا ؟

المشهد – ١٨ –

« الأشخاص أنفسهم ، تدخل بيتسي وماريا كونستا نتينوفنا . وتشرعان في الحديث مع بيتّريشتييف » .

السيدة البدينة : أيمكننا أن ننكر ما فوق الطبيعي ؟ يُقال إن ذلك لا يتّفق مع العقل . لكن العقل قد يكون أحمق . ماذا ؟ لقد سمعتم بما جرى في شارع « سادوفايا » كان ذلك يظهر في كل مساء . إن أخا زوجي – ماذا يقولون في الروسية ؟ هناك كلمة غير اخي الزوج » في الروسية ، ولست أفلح أبدا في تذكّر الأسماء الروسية(١) – ذهبَ

---

(١) في اللغة الروسية كلمات خاصة لتمييز أخي الزوج من أخي الزوجة ، وهو مالم تستطع السيدة البدينة أن تحفظه .

إذن ثلاث ليالٍ متوالية ، ورغم ذلك فانه لم يستطعْ أن يرى شيئاً . ولذلك أقول . . .

ليونيد فيودوروفيتش : مَنْ يَبقى إذنْ هنا ؟

السيدة البدينة : أنا ! أنا !

ساخاتوف : أنا .

آنا بافلوفنا ، للطبيب : أتَبقى هنا ؟

الطبيب : لا بدّ من أن أرى ولو مرةً واحد ما الذي يجده الكسي فلاديميروفتش في ذلك كله . ولا يمكننا أيضاً أن ننكر شيئاً دون براهين .

السيدة : إذن ، يجب حتماً أن آخذ منه في هذا المساء بالذات .

الطبيب : تأخذين ماذا ؟ آه ! نعم ، المسحوق . نعم ، خذي منه إذا شئت . خذي منه . على كل حال ، سآتي لزيارتك .

السيدة : نعم ، أرجوك ! (بصوت عالٍ) . عندما تنتهون ، سادتي وسيداتي ، فأنا أدعوكم لتستريحوا من انفعالاتكم عندي ، وفي الوقت نفسه سننهي لعبة « الهويست » .

السيدة البدينة : موافقة !

ساخاتوف : نعم ! نعم !

(السيدة تخرج) .

المشهد — ١٩ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا السيدة » .

بيتسي ، لبيتّريشتييف : قالتْ لكَ : ابق : إني أعدكَ بأشياء خارقة للعادة . أتراهن ؟

ماريا كونستاتيننوفنا : أتؤمنين بذلك ؟

بيتسي : اليوم أؤمن به .

ماريا كونستاتينوفنا : وأنتَ أتؤمن بذلك ؟

بيتّريشتييف : لا ، لا أؤمن به .

يُنشد : لا أثق بالوعود الكاذبة .

لكن إن أمرتْني بذلكِ اليزابيت ليونيدوفنا . . .

باسيل ليونيدتيش : لِنَبقَ ، يا ماريا كونستا نتينوفنا ! ايه ماذا ؟ سأبتكر شيئاً مُذْهلاً !

ماريا كونستاتينوفنا : لا ، لا تُضْحكْني ؛ أنت تعلم أنني لا أستطيع أن أتمالك نفسي .

باسيل ليونيدتيتش ، بصوت عالٍ : أنا باقٍ !

ليونيد فيودوروفيتش ، بقسوة : لكني أرجو الذين يبقون ألاّ يحوّلوا ذلك إلى مزاح ؛ فهذه أشياء جادّة .

بيتّريشتييف : أتسمَعُ ؟ إذن ، لِنبقَ ! فوفو ، اجلسْ قربي وانظرْ ، ولا تخفْ .

بيتسي : أنت تضحك ، لكنك سترى ما الذي سيجري .

باسيل ليونيديتش : وإذا كان هناك ، بالفعل ، شيء ما . ايه ماذا ؟

بيتّريشتييف ، يرتجف : أوه ! أنا خائف ، أنا خائف ، يا ماريا كونستانتينوفنا ؛ أنا خائف وساقاي الصغيرتان ترتعدان .

(بيتسي تضحك)

ليونيد فيودوروفيتش : اجلسْ ، اجلسْ ! اجلس ، يا سيمون .

سيمون : بأمرِكَ .

(يجلس على طرف كرسيّ) .

ليونيد فيودوروفيتش : اجلسْ جيدا .

الأستاذ : اجلسْ كما يجلس الناس ، في وسط الكرسي ، وعلى راحتك تماماً .

ليونيد فيودوروفيتش ، رافعاً صوته : أرجو الذين يبقون أن يلزموا الهدوءَ وأن ينظروا إلى المسألة بجدّ ! فقد يكون لذلك نتائج مزعجة . أتسمعَ ، يا فرفو ؟ إذا لم تبق هادئاً فالأفضلُ أن تخرج .

باسيل ليونيديتش : امرك ، سيدي .

(يختبىء وراء ظهر السيدة البدينة) .

ليونيد فيودوروفيتش : الكسي فلاديمير وفيتش : أأنت الذي ينوّمها ؟

الأستاذ : لا ، لماذا أنا ؟ ما دام انطون بوريسوفيتش هنا . وهو أكثر خبرةً عملية ، وأكثر قوةً مني بهذا الصدد .

غروسمان : يا سادة ، الحق أنني لستُ من مستُحضري الأرواح ؛ درستُ النوم المغناطيسي فقط ، صحيح أنني درستُ النوم المغناطيسي في كل تجلّياته ، لكنّ ما يُسمّى استحضار الأرواح أجهلُه جهلاً كلّياً . فعندما أنوّم شخصاً أستطيعُ أن أتوقع ظواهر النوم المغناطيسي التي

أ عرفها : السُبات ، الخمول ، الخَدَر ، فقدان الألم ، التخشّب . أما هنا فيُطلب منا دراسة ظواهر من نوع آخر . ولذلك يكون من المرغوب فيه أن نعرف ما الظواهر المنتظرة وما قيمتُها العلمية .

ساخاتوف : إنني أشاطر السيد غروسمان الرأيَ كاتّياً ، فمثل هذه التفسيرات ستكون مثيرةً للاهتمام .

ليونيد فيودوروفيتش ، للأستاذ : أنا واثق ، يا الكسي فلاديميروفيتش أنك لن تبخل علينا بهذه التفسيرات .

الأستاذ : موافق . يمكنني أن أعطي هذه التفسيرات إذا رغبتم في ذلك . (للطبيب) في أثناء هذا الوقت ، أتريد بأن تسجل حرارة الشخص ونبضَه ؟ سيكون تفسيري سطحياً ، ومقتضباً بالضرورة .

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ، مقتضبٌ .

الطبيب : على الفور ! (يخرج ميزان حرارة ويعطيه سيمون) هيا ! يا فتاي ! (يضع ميزانَ الحرارة) . هكذا ، شدّ عليه تحت ذراعك .

سيمون : نعم ، يا سيدي .

الأستاذ ، ينهض ، ويلتفتُ إلى السيدة البدينة ثم يعود إلى الجلوس : يا سادتي ، الظاهرة التي سندرسها تُعْرَض ، على العموم باعتبارها جديدةً من جهة ، وباعتبارها ، من جهة ثانية ، متجاوزةً لحدود القوانين الطبيعية . وهذا غير صُحيح . إن هذه الظاهرة قديمة قدمَ العالم ، وهي ليست فوق

الطبيعة وإنما تخضع لنفس القوانين الخالدة التي تحكم كل ما هو موجود . وقد كانت هذه الظاهرة تُعَرَّف عادةً على أنها اتّصال بعالم الأرواح . وهذا التعريف غيرُ صحيح أيضاً . إذ ان عالم الأرواح ، بحسب هذا التعريف يعارضُ العالم ، المادي ؛ وليس هذا صحيحاً . فهذا التعارضُ غيرُ موجود . ذلك أن هذين العالمين مترابطان ترابطاً وثيقاً جدا بحيث يغدو من المستحيل أن نرسم خطّ الفصل بينهما . نحن نقول إن المادة مؤلّفة من جزئيات . . .

بيتريشييف : هذه المادة مُضْجرةٌ جدا .

(همسٌ وضحاك) .

الأستاذ ، يتوقّف ثم يتابع : . . . والجزئيات من ذرات : لكن بما أن الذرات ليس لها مساحة ، فهي ليست سوى نقاط تطبيق القوى ؛ أو بالأحرى ، نقاط تطبيق الطاقة لا القوى ، تلك الطاقة التي هي واحدة ولا تقبل الدمار . شأنها شأن المادة . وبما أن المادة واحدة ، وإنْ تعدّدتْ أشكالُها ، فكذلك الأمرُ بالنسبة إلى الطاقة . ونحن لا نعرف ، حتى هذه الأزمنة الأخيرة ، سوى أربع حالات من حالات الطاقة المتعادلة والتي يمكن أن تتحوّل إحداها إلى الأخرى . نحن نعرف الطاقاتِ : الحركية والحرارية والكهربائية والكيميائية . لكنّ هذه الحالات أبعدُ من أن تستنفد تنوّعَ أشكال الطاقة . وهذه الأشكال متعدّدة ، وما ندرسُه هنا هو شكلٌ من أشكالها ثبتَ حديثاً . عَنَيْتُ الطاقةَ الوسيطية .

(همس وضحك في الركن الذي جلس فيه الشبّانُ . يتوقف الأستاذ ويلقي بنظرة صارمة صَوْبهم ، ثم يتابع) :

والطاقة الوسيطية تَعْرِفُها الإنسانيةُ ، على كل حال ، منذ الأزمنة السحيقة : فالتنبؤات ، والحدوسات ، والرؤى ، وكثيرٌ من الظواهر الأخرى ، ليست سوى تجلّيات لهذه الطاقة . وهذه التجلّيات كانت معروفةً في كل الأزمنة ؛ لكن الطاقة نفسها لم يُعْتَرَفْ بها قبل هذه الأزمنة الأخيرة . كان لا بدّ لذلك من اكتشاف هذا الوسيط الذي تتجلّى عن طريقه الطاقةُ الوسيطية تجلياً طبيعياً جدا . وكما أن الظواهر المضيئة ظلّتْ بلا تفسير حتى الزمن الذي اعتُرِفَ فيه بوجود الأثير ، فكذلك الظواهر الوسيطيةَ بقيتْ غامضةً حتى الزمن الذي اعتُرِفَ فيه بهذه الحقيقة التي لا يُنكِرها أحدٌ اليوم وهي أن الأثير مختلطٌ بمادة أدق وأخفّ من الأثير ، مادةٍ تُفلتُ من قانون الأبعاد الثلاثة .

(يغدو الهمسُ والضحكُ أشد صخباً ، فيرسلُ الأستاذُ نظرةً صارمةً) .

وكما أن الحسابات الرياضية أكّدتْ بما لا يدع مجالاً للنقاش ، وجودَ الأثير الذي لا وزن له والذي يُحدث ظواهر الضوء والكهرباء ، فكذلك أكّدتْ سلسلة من تجارب العبقري « هرمان » وشميت ، وجوزيف شما تزوفين(١) ، بما لا يدع مجالاً للشك ، وجودَ مادة

---

(١) هرمان ، شميث ، شما تزوفين : أسماء من اختراع تولستوي .

تملأ الكونَ ويمكن أن تُسمّى الأثير الروحي . . .

السيدة البدينة : نعم ، الآن ، فهمتُ . كم أنا ممتنةٌ لـ . . .

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ، لكن ألا يمكنُ . . . الاختصار قليلاً ، الكسي فلاديميروفيتش ؟

الأستاذ ، دون أن يجيب : وإذن فكما تشرّفتُ وقلت لكم : إن سلسلةً من الأبحاث والتجارب العلمية بالمعنى الدقيق قد عرّفتنا بقوانين الظواهر الوسيطية . وقد أظهرت هذه التجاربُ أن بعض الأشخاص عندما يكونون في حالة النوم المغناطيسي (وهي حالةٌ تتميّز فقط عن النوم العادي بأن النشاط الفيزيولوجي لا يتناقص كما هو في النوم ، بل يزيد دائماً كما رأينا قبل قليل) ، قلتُ عندما يكون الشخصَ في حالة النوم المغناطيسي ، ينتجُ عن ذلك بعضِ الاضطرابات في الأثير الروحي — اضطرابات شبيهةٌ تماماً بالاضطرابات التي نحدثُها عندما نغطّس جسماً صلباً في جسم سائل . هذه الاضطرابات هي ما نسمّيه الظواهر الوسيطية .

(ضحك وهمس من جديد) .

ساخاتوف : هذا واضحٌ جدا . لكنْ اسمحْ لي أن أطرحَ عليكِ سؤالاً . إذا كان أثرُ تغطيس الوسيط في النوم ، يُحدث ، كما قلت لتوّكَ ، اضطرابات في الأثير الروحي ، فلم تتجلّى هذه الاضطراباتُ دائماً عن طريق العلاقات

بأرواح الموتى ، كما يحدث في جميع جلسات استحضار الأرواح .

الأستاذ : لأن جزئيات هذا الأثير مكوّنةٌ من أرواح الأحياء والأموات ، وأرواح الذين لم يولدوا بعدُ ؛ وكل اهتزاز في هذا الأثير الروحي يُثير بالضرورة حركةً ما في هذه الجزئيات . وبما أن هذه الجزئيات ليست سوى الأرواح البشرية ، فمن الطبيعي أنْ يتّصل بعضُها ببعض .

السيدة البدينة ، لساخاتوف : لكنْ ما الذي يمكن أن يُربكاكَ ؟ الأمرْ بسيطٌ جدا . (للأستاذ) شكراً جزيلاً .

ليونيد فيودوروفيتش : أعتقد أن كل شيء غدا واضحاً الآن ، وأنه يمكننا أن نبدأ .

الطبيب : هذا الفتى في ظروف عادية تماماً : الحرارةُ هي ٣٧,٢° ، والنبض ٧٤ .

الأستاذ ، يتناول دفتره الصغير ويسجّل : تأكيداً لما تشرّفتُ وقلته لكم ، لاحظوا أن حالة النوم المغناطيسي تُحدث ، كما سنرى على الفور ، ارتفاعاً في الحرارة وتسارعاً في النبض .

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ! لكن اسمحوا لي . أود أنْ أجيب فقط عن سؤال سيرج ايفانوفيتش : كيف نَعْرِف أننا على اتّصال بأرواح الموتى ؟ إننا نعلم ذلك بطريقة بسيطة جداً ، لأن الروحَ عندما تأتي تقول لنا ، كما أكلّمك الآن ، مَنْ هي ، ولماذا جاءت ومن أين جاءَت . وهكذا ففي آخر جلسة اتّصلنا بروح أسباني يُدعى دون كاستياوس ،

وقالت لنا كل شيء ، مَنْ كان دون كاستيلوس ، ومتى مات ، كما تحدثتْ عن ندمها لاشتراكها في محاكم التفتيش ! وأخبرتْنا فجأة أنها ستتجسّد مرة ثانية على الأرض ، وأنها لا تستطيع أن تتابع الحديث .

السيدة البدينة ، تقاطعه : آه ! ما أطْرفَ هذا ! ربما وُلد الإسباني في منزلنا وهو الآن صغيرٌ جداً .

ليونيد فيودوروفيتش : هذا ممكنٌ جداً .

الأستاذ : أعتقد أنه قد آن لنا أن نبدأ .

ليونيد فيودوروفيتش : أحببتَ فقط أن أقول . . .

الأستاذ : تأخّر الوقت .

ليونيد فيودوروفيتش : حسناً ! نستطيع أن نبدأ . أتريد أن تنوّم الوسيط ، يا أنطون بوريسوفيتش(١) ؟ . . .

غروسمان : كيف تريد أن أنوّم الشخص ؟ هناك عدةُ طرقٍ . هناك طريقة « بريدا » ، وطريقة الرمز المصري ، وطريقة شاركو .

ليونيد فيودوروفيتش ، للأستاذ : لا فرق بينها ؟

الأستاذ : قطعاً ، لا .

غروسمان : إذن ، سأستخدم طريقتي التي جرّبتُها في اوديسا .

ليونيد فيودوروفيتش : تفضّلْ ، أرجوك .

غروسمان ، يحرّك يديه فوق سيمون الذي يغمض عينيه . ويتثاءب .

---

(١) بوريسوفيتش : هو غروسمان نفسه ، لعله يهودي من أوربا .

يفحصه غروسمان عن قرب : إنه ينام . . . لقد نام . لقد حدث النومَ بسرعة عظيمة . من الواضح أن الشخص دخَلَ في حالة الخدر . الجدير بالملاحظة أن هذا الوسيط حسّاس إلى حدٍّ غير عادي . (يجلس وينهض ، ويعود إلى الجلوس) . نستطيع الآن أن نَخزَه في يديه إذا شئتم .

الأستاذ، لليونيد فيودوروفيتش: هل لاحظتَ أن نوم الوسيط يؤثّر في غروسمان . لقد بدأ يهتزّ .

ليونيد فيودوروفيتش : نعم ، نعم ! نستطيع أن نُطفىء الآن ؟

ساخاتوف : وهل الظلمةَ ضرورية ؟

الأستاذ : الظلمة ؟ لأن الطاقة الوسيطية إنما تتجلّى في الظلمة ، كما أن درجةً معيّنةً من الحرارة هي الشرط لبعض تجليّات الطاقة الكيميائية والحركية .

ليونيد فيودوروفيتش : ليس هذا دائماً . رأيت ظواهر تحدث مع وجود شموع مضاءة ، وحتى في ضوء الشمس .

الأستاذ ، يقاطعه : أيمكن أن نطفىء الأنوار ؟

ليونيد فيودوروفيتش : نعم . (تُطْفأ الشموع) . أيها السادة ، الآن أطلبُ منكم الانتباه .

(تخرج تانيا من تحت الأريكة وتتناول الخيط المعلّق بمصباح جداري) .

بيتريشتييف : لا ، إن ما يُعجبني هو هذا الإسباني الذي اختفى أثناء حديثه ، ورأسُه إلى الأسفل . هذا ما يُسمّى :

« شاك برأسه » .

بيتسي : لا ، انتظرْ . سترى ما سيحدث .

بيتريشتييف : لستُ أخشى سوى شيء واحد هو أن يشرع فوفو بالهمهمة كالخنزير .

باسيل ليونيديتش : أتريد ذلك ؟ سأشرع به ...

ليونيد فيودوروفيتش : يا سادة ، أطابُ إليكم المحافظة على الصمت !

(صمت . سيمون يحك أصابعه بأعواد الكبريت ويحرّكها) .

الضوء ، أترون الضوءَ ؟

ساخاتوف : الضوء ، نعم ، رأيته ، لكن اسمحْ ...

السيدة البدينة : أين ؟ أين ؟ آه ! لم أرَ ! آه ! رأيت ، ايه ! ...

الأستاذ ، بصوت خافت لليونيد فيودوروفيتش : انظرْ كيف يهتزّ (يشير إلى غروسمان الذي يتحرك) . هذا هو التأثير الثنائي !

(يرُى الضوء أيضاً)

ليونيد فيودوروفيتش ، للأستاذ : لكنْ ، هذا هو !

ساخاتوف : مَنْ هذا ؟

ليونيد فيودوروفيتش : اليوناني نيكولا . هذا ضوءُه . أليس كذلك يا الكسي فلاديميروفتش ؟

ساخاتوف : ومَنْ هو هذا اليوناني نيكولا ؟

الأستاذ : هو يوناني كان راهباً في عهد قسطنطين ، في بيزنطة ، وقد زارنا في هذه الأزمنة الأخيرة .

السيدة البدينة : وأين هو ؟ أين هو ؟ لستُ أراه !

ليونيد فيودوروفيتش : لا تمكنُ رؤيتُه بعدُ . . . وهو حسن الاستماع إلياك ، يا الكسي فلاديمير وفيتش ، فاسألْهُ .

الأستاذ ، بصوت متغيرّ : نيكولا ، أهذا أنتَ ؟

(تضرب تانيا الجدارَ مرتين) .

ليونيد فيودوروفيتش ، فرحاً : هو نفسه ، هو نفسه !

السيدة البدينة : يا إلهي ! أريدُ أن أنصرف !

ساخاتوف : لكنْ كيف عرَفْتَهُ ؟

ليونيد فيودوروفيتش : الضربتان ردٌ إيجابي ، وإلا فان يُسْمَع شيءٌ .

(صمت ، ضحاك متصل ، في ركن الشبان . ترْمي تانيا على الطاولة كمّة المصباح وقاماً وممسحة للريش) .

ليونيد فيودوروفيتش ، بصوت خفيض : لاحظوا ، يا سادة : انظروا إلى كمّة المصباح ، وشيء آخر ! يا الكسي ،فلاديمير وفيتش ، هو القلم !

الأستاذ : طيب ، طيب ! إني أراقب ذلك وأراقب غروسمان أيضاً . هل لاحظتَ ؟

(ينهض غروسمان وينظر إلى الأشياء التي وقعتْ على الطاولة) .

ساخاتوف : اسمحوا لي ! اسمحوا لي ! أحب أن أرى إن لم يكن الوسيط نفسه هو الذي يفعل ذلك ؟

ليونيد فيودوروفيتش : أتظنّ ذلك ؟ حسناً ! اجلسْ بجنبه ... وأمسك بيديه . لكن ثقْ بأنه ينام . . .

ساخاتوف يتقدّم ، يلامس برأسه الخيط الذي تمسك به تانيا ، وينحني خائفاً : نعم ، هذا غريب ! غريب !

(يدنو من سيمون ويمسك بذراعه ، سيمون يهمهم) .

الأستاذ ، لليونيد فيودوروفيتش : أرأيتَ الأثر الذي يُحدثه فيه وجود غروسمان ؟ هذه ظاهرة أخرى يجب تسجيلُها .

(يخرج لحظة ليسجّل ملاحظاته ثم يعود من فوره) .

ليونيد فيودوروفيتش : لكن يجب أن نرد على نيكولا !

غروسمان ، يدنو من سيمون ويرفع ذراعه ويخفضها : من الشائق الآن أن نُحدثَ التقلّص ، فالمنوَّم الآن في أعمق نومه .

الأستاذ ، لليونيد فيودو روفيتش : أترى ، أترى ؟ ...

غروسمان : اسمحوا لي . . .

الطبيب : يجب أن تُتْرُك إدارة الجلسة لألكسي فلاديميروفيتش . لأن الأمر صار جِدّاً .

الأستاذ : دَعْهُ ، ها هو ذا يتكلّم وهو نائم .

السيدة البدينة : ما أعظم سروري لأني بقيتُ ! هذا يخيفني ، ولكنني مع ذلك مفتونةُ اللب ؛ لأنني كنتُ أقول دائماً لزوجي ...

ليونيد فيودوروفيتش : القليلَ من الصمت !

(تانيا تمسّ بالخيط رأس السيدة البدينة) .

السيدة البدينة : آي !

ليونيد فيودوروفيتش : ماذا ؟ ماذا ؟

السيدة البدينة : أمسكني بشعري .

ليونيد فيودوروفيتش ، بصوت خافت : لا تخشيْ شيئاً ! أعطيه يدكِ . يده في هذه الحالة باردة ؛ لكني أحبّ هذا .

السيدة البدينة : مخفيةً يدها : لن أعطيه إياها أبداً .

ساخاتوف : نعم ، هذا غريب ! هذا غريب !

ليونيد فيودوروفيتش : الروح هنا ! مَنْ يريد أن يطرح عليها سؤالاً ؟

ساخاتوف : أنا ، إذا شئتَ .

الأستاذ : قلْ !

ساخاتوف : أأنا مؤمنٌ أم لا ؟

(تانيا تضرب ضربتين) .

الأستاذ : الرد إيجابي .

ساخاتوف : اسمحوا لي ! أحب أن أسأل أيضاً . هل في جيبي ورقة عشرة روبلات ؟ (تانيا تضربُ عدة ضربات وتلامس بالخيط رأسَ ساخاتوف) . آه !

(يمسك بالخيط ويقطعه) .

الأستاذ : أرجو الحضور ألا يَطْرحوا أسئلةً مبهمةً أو مازحةً ، فهذا غير مُستحبّ عنده .

ساخاتوف : لكن اسمحوا لي ! في يدي خيطٌ .

ليونيد فيودوروفيتش : خيط ؟ احتفظْ به . هذا ما يقعُ غالباً . لا الخيوط فقط بل وأيضاً أشرطة من الحرير عتيقة كأعتق ما تكون .

ساخاتوف : آه ! لا ! اسمحوا لي ! من أين جاء هذا الخيط ؟ (تانيا ترميه بوسادة) . اسمحوا لي ! اسمحوا لي ! ضربني شيءٌ ليّن على رأسي . تكرّموا باشعال النور ...

الأستاذ : نرجوك ألا تشوّش التجسّد . . .

السيدة البدينة : أرجوك ، ألا تقاطعه ، بحق السماء ! عندي شيء أريد أن أسأل عنه ، أأستطيع ؟ .

ليونيد فيودوروفيتش : بكل تأكيد !

السيدة البدينة : أحب أن أطرح سؤالاً بخصوص معدتي . أحب أن أسأل ما الذي يجب أن آخذه ، هل آخذ الآكونيت أم بيتّ الجيين ؟

(صمت ، همس في جهة الشبّان . وفجأة يصرخ باسيل ليونيدتيش كما يصرخ الطفل على ثدي أمه . ضحكات صاخبة . الشبان يكموّن أنوفهم وأفواههم بأيديهم ليكتموا ضحكهم . تخرج الفتاتان وبيتريشتييف وهم يركضون) .

آه ! لا شك أنه الراهبُ الذي انبعث قبل قابل .

ليونيد فيودوروفيتش ، ثائراً ، بصوت خافت وبغضب : أنت لا

تفعل سوى الحماقات ! إن كنت لا تستطيع أن تجلس جلسة لائقةً فاخرجْ !

(يخرج باسيل ليونيديتش) .

المشهد — ٢٠ —

« ليونيد فيودو روفيتش ، الأستاذ ، السيدة البدينة ، ساخاتوف ، غروسمان ، الطبيب ، سيمون ، تانيا ، ظلمةٌ وصمت » .

السيدة البدينة : آه ! يا للخسارة ! هل ذهبَ نيكولا ؟ بدا لي أنني سمعتُ صراخَ وليدٍ ؟

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، أبداً ! هذه حماقات « فوفو » ، لكن الروح هنا فاسأليها .

الأستاذ : هذا ما يقع غالباً ! فقد ألفنا هذا التهريج وذاك الهزء . وأظنّه موجوداً هنا ، يا ليونيد فيودوروفيتش ، أتحب أن تسأله عن ذلك ؟

ليونيد فيودوروفيتش : لا ، اسأله أنتَ ! . . . فهذه الوقاحة هزّتني هزّا !

الأستاذ : طبيب ! نيكولا ، أما زلتَ هنا ؟

(تانيا تضرب مرتين وتحرك الجرس ، عاد سيمون إلى الهمهمة وملامسة ساخاتوف والأستاذ الذي يشدّه) .

يا لها من ظاهرة غير متوقّعة ! تأثيرٌ مباشر في الوسيط نفسه ! لم يقع هذا قط . راقبْه ، يا ليونيد فيودوروفيتش ،

فليس ذلك مريحاً لي ، إنه يشدّ علي كثيّاً . وانظرْ إن كان غروسمان يهتزّ ! يلزمنا الكثير من الانتباه الآن .

(ترمي تانيا على الطاولة عقد الفلاحين) .

ليونيد فيودوروفيتش : وقعَ شيءٌ على الطاولة .

الأستاذ : انظر ، ماذا وقع ؟

ليونيد فيودوروفيتش : ورقة مطويّة !

(ترمي تانيا بمحبرة)

ومحبرة !

(ترمي تانيا بريشة)

وريشة !

(يتابع سيمون همهمته وخربشته) .

الأستاذ : اسمحوا لي ، اسمحوا لي ! هذه ظاهرة جديدة تماماً ، فليست الطاقة الوسيطية هي التي تعمل بل الوسيط نفسه . ومع ذلك افتحوا الدواةَ وضعوا الريشة قرب الورقة ، فسيكتبُ .

(تانيا ، وراء ليونيد فيودو روفيتش ، تضربه بالقيثارة على رأسه) .

ليونيد فيودوروفيتش : ضربتني على رأسي . (ينظر إلى الطاولة) . الريشة لا تكتب ، والورقُ ما زال مطوياً .

الأستاذ : انظر بسرعة إلى الورقة . لا شك أن قوة غروسمان أحدثت اضطرابات .

ليونيد فيودوروفيتش ، يخرج لحظةً ويعود مباشرةً : غريب . فهذه

الورقة هي العقد الذي رفضت هذا الصباح أن أوقّعه للفلاحين والذي أعَدْتُه إليهم . لعله يريد أن أوقّعه .

الأستاذ : بالتأكيد ، بالتأكيد . لكن اسأل : نيكولا ، أتريد ذلك ؟

(تانيا تضرب ضربتين) .

أتسمعُ ، الأمرُ واضح !

(يتناول ليونيد فيودوروفيتش الريشةَ ويخرج ، تانيا تضرب وتعزف على القيثارة والاكورديون وتندسّ تحت الأريكة . يعود ليونيد فيودوروفيتش . يتمطّى سيمون ويسعل) .

ليونيد فيودوروفيتش : لقد استيقظ ، نستطيع أن نضيء الشموع .

الأستاذ ، بحيوية : دكتور ! دكترر ! أرجوك ، الحرارة والنبض ! سترونْ أن الحرارة ارتفعتْ !

ليونيد فيودوروفيتش ، مضيئاً الشموع : ما رأيكم ، أيها السادة المتشكّكون ؟

الطبيب ، يدنو من سيمون ويضع له ميزان الحرارة : هل نمتَ يا فتى؟ ضَعْ هذا ، وأعطني يدك .

(ينظر إلى ساعته) .

ساخاتوف ، هازاً كتفيه : أستطيع أن أؤكّد أن الوسيط لم يَفْعل كل ما وقَعَ . والخيط ؟ أريد تفسيراً للخيط ! ...

ليونيد فيودوروفيتش : الخيط ! الخيط ! لقد صادفْنا هنا من قبل ظواهر أكثر خطورة من ذلك .

ساخاتوف : لا أدري . وعلى كل حال ، فأنا أحتفظ برأيي .

السيدة البدينة ، لساخاتوف : آه ! لا ! كيف يجوز لك أن تقول : أنا أحتفظ برأيي . والطفل الصغير بجناحيه ، ألم تَرَه ؟ في البداية ظننته وَهْماً ، ثم رأيت بوضوح بعد ذلك ...

ساخاتوف : لا أستطيع الكلامَ إلا على ما رأيت ، ولم أَرَ ذلك .

السيدة البدينة : اوه ! مالَكَ ؟ كان واضحاً ، مع ذلك ! وإلى اليسار ، راهبٌ بلباس أسود انحنى عليه !

ساخاتوف ، يدير لها ظهرَه : أية مبالغة هذه !

السيدة البدينة ، للطبيب : لا بدّ أنك رأيته ! كان من جهتك .

(يتابع الطبيب جسَّ النبض دون أن يُصغي إليها . لغروسمان) .

وهذا الضوءُ حول الوجه ... وذلك التعبير البالغ العذوبة والرقّة ، شيءٌ سماويّ ...

(تبتسم بحنان) .

غروسمان : رأيتُ وميضاً فوسفورياً ... ورأيتُ الأشياءَ تغيّر مواضعَها ... ولم أر شيئاً غير ذلك .

السيدة البدينة : أوه ! مالَكَ ؟ أنت تقول هذا لأنك من مدرسة شاركو ولأنك لا تؤمن بالحياة بعد الموت ! أما أنا فلا أحد ، لا أحد يستطيع أن ينتزع مني إيماني بالحياة الأخرى ! (غروسمان يدير لها ظهره) . لا ، لا ! قولوا ما تشاؤون ، لكني قد قضيت لحظة من أسْعد لحظتين قضيتهما في حياتي :

اللحظة التي سمعتُ « سارازات(١) » يعزف فيها ، وهذه اللحظة . نعم ! (لا أحد يُصغي إليها ، تدنو من سيمون) . قلْ لي ، يا صديقي ، بماذا كنتَ تحسّ ؟ أكان ذلك مؤلماً .

سيمون، ضاحكاً : هكذا !

السيدة البدينة : لكن ذلك على كل حال ، مُحتملٌ ؟

سيمون : هكذا (لليونيد فيودوروفيتش) . هل يجب أن أنصرف ؟

ليونيد فيودوروفيتش : امضِ ! امضِ !

(يخرج سيمون) .

الطبيب ، للاستاذ : النبض هو ذاته ، لكن الحرارة هبطتْ .

الأستاذ : هبطتْ ؟ (يبقى متفكّراً ، ثم يحزر السبب) . نعم ، طبعاً ! إن التأثير المضاعف لا بدّ أن يحدث بعض التداخل .

ليونيد فيودوروفيتش ، يتكلم في الوقت نفسه الذي يتكلّم فيه الآخرون : لستُ آسفاً إلا على شيء ، هو أنه لم يكن هناك تجسّدٌ كامل . لكنْ مع ذلك ... تفضّلوا ، أيها السادة ، إلى غرفة الاستقبال .

السيدة البدينة : ما أدهشني أكثر من غيره هو أنني رأيته يرفع جناحيه ويصعد في الهواء .

غروسمان : لو اقتصرنا على النوم المغناطيسي وحده لأمْكننَا أن نحدث صَرَعاً تاماً ، ولكان النجاحُ مطاقاً .

---

(١) سارازات : لاعب الكمان الإسباني المشهور (١٨٤٤ – ١٩٠٨) وقد لقي نجاحاً عظيماً أثناء جولاته في روسيا وأمريكا .

ساخاتوف : هذا شائقٌ لكنه ليس مقنعاً تماماً . هذا كل ما أستطيع أن أقوله .

(يخرج الجميع ، ما عدا تانيا وليونيد فيودوروفيتش ، وهم يتابعون حديثهم) .

المشهد — ٢١ —

« ليرنيد فيودوروفيتش ، يدخل تيودور ايفانوفيتش والعقد بيده » .

ليونيد فيودوروفيتش : ليتك رأيتَ ، يا تيودور ! أية جاسة ! مدهشة ! وقد نتجَ عنها أنه يجب أن أتنازل عن الأرض للفلاحين بالشروط التي يَعْرِضونها .

تيودور ايفانوفتش : آه !

ليونيد فيودوروفيتش : طبعاً (يريُه العقد) . تصوّرْ أن العقد الذي أعدّتْه لهم قد وُجدَ على الطاولة ! ووقّعتْه .

تيودور ايفانوفيتش : لكنْ كيف جاءَ إلى هنا ؟

ليونيد فيودوروفيتش : آه ! كما ترى عيناك ! لقد جاء !

(يخرج ويتبعه تيودور ايفانوفيتش) .

المشهد — ٢٢ —

تانيا ، وحدها ، تخرج من تحت الأريكة وتنفجر ضاحكة : آه ! يا أصدقائي ! كم خفت عندما قَبَضَ على الخيط . (تُطابق

صرخةً) . لكن اللعبةَ نجحتْ مع ذلك ؛ لقد وقّع !

(يدخل غريغوري) .

المشهد — ٢٣ —

« تانيا وغريغوري . »

غريغوري : أنتِ اذنْ التي كانت تضحكُ عليهم ؟

تانيا : هل يخصُّك هذا ؟

غريغوري : أتظنّين أن السيدة ستُثْني عليكِ من أجل ذلك ؟ آه ! لا ! الآن قُبِضَ عليكِ ! وسأروي جميع ألاعيبك إذا لم تفعلي ما أريدُه !

تانيا : لن أفعل ما تريد ، ولن تستطيع شيئاً .

ستار

الفصل الرابع

منظر الفصل الأول

المشهد — ١ —

« خادما تشريفات ، بالثوب الرسمي ، تيودور ايفانوفيتش وغريغوري » .

الخادم الأول ، وهو أشيب السالفين : هذه هي الزيارة الثالثة التي نقوم بها اليوم . ومن حسن الحظ أن يسكن الأشخاصُ الذين يستقبلون في اليوم ذاته ، الحيِّ ذاته . كان يوم الاستقبال عندكم ، في الماضي ، هو يوم الخميس .

تيودور ايفانوفيتش : ثم غيرناه إلى يوم السبت حتى يقع في يوم استقبال آل غولوفكين وآل « غرادي فون غرابيه » ...

الخادم الثاني : الجميلُ عند آل شيرباكوف أنه عندما يكون هناك حفلة راقصة ، تُقَدَّم للخدم وليمتُهم .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، لأميرة ، الأميرة الشابة وبيتسي ينزلْنَ الدرجَ . تنظر الأميرة إلى دفترها الصغير وإلى ساعتها ، ثم تجلس على الصندوق . يضع غريغوري في قدمها الحذاء الواقي » .

الأميرة الشابة : لا ، أرجوكِ ، تعالي . وإلاّ ، إذا رفضْتِ أنتِ ، وإذا رفضَ دودو ، فان نستطيع إذ ذاك أن نفعل شيئاً .

بيتسي : لا أدري ؛ إذ يجب أن أذهب حتماً إلى منزل آل شوبين . ثم هناك التدريبات .

الأميرة الشابة : سيكون لديك متّسعٌ من الوقت ؛ لا ، أرجوك . لا تُخلّي بوعدك . ستحضر فيديا ، وسيحضر كوكو .

بيتسي : عفْتُ كوكو هذا .

الأميرة الشابة : ظننتُ أني سأجدهُ هنا . فهو عادةً دقيقٌ دقةً ...

بيتسي : اوه ! سيأتي بالتأكيد .

الأميرة الشابة : عندما أراه معك يُخَيّلُ إلي أنه طالباك للزواج قبل هنيهة ، أو أنه سيطلبك بعد هنيهة .

بيتسي : نعم ، أكبرُ الظنّ أنني سأُحْمَلُ على ذلك حملاً . وهذا أمرٌ غيرُ مستحبّ !

الأميرة الشابة : مسكين كوكو ، فهو عاشق !

بيتسي : اسكتي ! فالناس . . .

(تجلس الأميرة الشابة على ديوان وتتهامس هي وبيتسي ، في حين يضع غريغوري في قدمها حذاءها الواقي) .

الأميرة الشابة : إلى اللقاء إذن ، هذا المساء !

بيتسي : سأحاول .

الأميرة : قولي لوالدك : إنني لا أصدّق شيئاً ، لكني سآتي مع ذلك لأرى وسيطَه الجديد . لِيُعْامنْي . إلى اللقاء ، يا حلوتي .

(يتعانَقْنَ . تخرج الأميرة وابنتُها . تصعد بيتسي الدرجَ عائدةً) .

المشهد — ٣ —

« خادما التشريفات تيودور ايفانوفيتش ، غريغوري »

غريغوري : لا أحبّ أن أُنْعِلَ العجائزَ أحذيتهن ! فهن لا يستطعْنَ أن يَنْحنين ولا يرين الأرض بسبب بطونهن ، وهن يدسسْن دائماً أقدامهن جانباً . الأمر مختلف عندما تكون المرأة شابةً ! بل إنه من المستحبّ أن يمسك المرءُ بيده قدمها الصغيرة !

الخادم الثاني : وهذا أيضاً يميّز بين النساء .

الخادم الأول : ليس لنا نحن ،أن نميّز بينهن .

غريغوري : ولمَ لا ؟ ألسنا بشراً ؟ هنّ اللواتي يتصوّرن أننا لانفهم شيئاً . فعندما كانتا تثرثران قبل قليل رَمَتاني بنظرة وقالتا : الناس !

الخادم الثاني : وما معنى هذا ؟

غريغوري : آه ! معناه : « لا تتكلّمي فهم يفهمون ! » وأثناء الغداء أيضاً ،وأنا قد فهمتُ . أنت تقول : إن بيننا وبينهم فرقاً ... لا فرقَ بيننا .

الخادم الثاني : الفرقُ كبيرٌ لمن يفهم . .

غريغوري : لا فرقَ بيننا : أنا اليوم خادم وربما أصبحتُ غداً خيراً منهم . وهؤلاء السيدات يتزوجن أيضاً بالخدم ؛ ألم يحدثْ هذا ؟ أودّ أن أدخّن .

(يخرج)

المشهد — ٤ —

الأشخاص أنفسهم ما عدا غريغوري .

الخادم الثاني : هذا الشاب جريء !

تيودور إيفانوفيتش : هو فتى تافه ! لا يملك الاستعدادات اللازمة للخدمة : كان خادماً في مكتب ففسد . وقد نصحتُ بعدم استخدامه . لكنه أعجب السيدة . فهو حسن الهيئة عندما يُرى في العربة . . .

الخادم الأول : لو شاورني لشغّلتُه عند معلّمنا الكونت ، فهذا سيضعه عند حدّه . إنه لا يحب المتعجرفين . إذا كنتَ خادماً فابقَ خادماً ! الزمْ طبقتاك . أما هذا التكبّر فهو لا يلائمنا .

المشهد — ٥ —

« الأشخاص أنفسهم بيتر يشتيبيف ينزل الدرج على عجل ويسحب سيجارة » .

بيتريشتيبيف ، متفكّراً : نعم ، نعم ، جزئي الثاني يشبه « ك » ؛ واالكل . . . نعم نعم ، نعم . (يُقبل عليه كوكو

كانجن ؛ وهو يضع نظّارة بلا ساعد) . آه ! يا صغيري كوكو من أين جئتَ ؟

كوكو : من عند آل شيرباكوف . وأنتَ أما تزال في حماقاتك .

بيتريشتييف : لا اسمعْ الأحجية . . جزئي الأول يشبه « كين » ؛ وجزئي الثاني يشبه « لك » والكل يطرد العجول .

كوكو : لا أدري . ليس لديّ وقتٌ .

بيتريشتييف : وإلى أين أنت ذاهب ؟

كوكو : كيف ،إلى أين أنا ذاهب ؟ يجب علي أن أذهب إلى منزل آل ايفين ، وفيها سنتدرّب على الغناء ؛ ثم إلى منزل آل شوبين ، ثم إلى التدرّيبات . وأنتَ أيضاً ، ستحضر التدريبات .

بيتريشتييف : بالتأكيد ، لن أغيب . عنها . احزرْ هذه : أنا كنت المتوحش والآن أنا متوحّش وجنرال .

كوكو : وجلسة الأمس كيف جرَتْ ؟

بيتريشتييف : هلكْنا من الضحاك ! استخدموا أحدَ الفلاحين وسيطاً ، وجرى ذلك في الظلمة خاصة . كان « فوفو » يصرخ كالطفل والأستاذ يقدّم شروحاته ، وماريا فاسيلييفنا تعلّق على ذلك . هلكْنا من الضحاك ! خسارة أنك لم تحضرْ . . .

كوكو : أنا أخاف ، **يا عزيزي !** أنت تستطيع أن تتخلّص بنكاتِكَ ؛ أما أنا فيكفي أن أقول كلمة واحدة حتى

تُؤَوّلُ تأويلاً يُظهرني كأني أطاب الزواج ! وهذا لا يلائمني على الإطلاق . على الإطلاق ، على الإطلاق !

بيتريشتييف : وأنتَ تَقَدّمْ إلى الزواج بِفعْلٍ ،فهذا لا يُلزماك شيئاً . اذهبْ إلى « فوفو » ثم نذهب معاً إلى التدريبات .

كوكو : لا أفهم كيف تنسجم مع أحمق كهذا ؟ ما أغباه ! أبله حقيقي .

بيتريشتييف : أما أنا فأحبه . أحب فوفو .

(يدخل غرفة باسيل ليونيديتش) .

المشهد — ٦ —

« خادما التشريفات . تيودور ايفانوفيتش . كوكو كانجن بيتسي ترافق سيّدة . كوكو ،يحيّيها تحية ذات معنى » .

بيتسي : تمدّ يدها إلى كوكو ثم تخاطب السيدة : ألستما متعارفين ؟

السيدة : لا .

بيتسي : البارون كانجن . (لكوكو) . لمَ لمْ تأتِ أمس .

كوكو : كان ذلك مستحيلاً . ما كنتُ أستطيع الوصول في الوقت المناسب.

بيتسي : خسارة ، كان ذلك ممتعاً ! (تضحك) كنتَ سترى ما التجلّيات التي حدثتْ ! وأحجيتُنا هل هي بخير ؟

كوكو : اوه ! نعم ! أشعار « جزئي الثاني » جاهزة . « نياك » نظم الأشعار ،وأنا ألّفتُ الموسيقا .

بيتسي : ما هذه الأشعار ؟ أنشدْها لي !

كوكو : عفواً ! كيف ؟ . . . آه ! نعم ! الفارسُ يغنّي لنانا :

(يغني)

ما أجْملَ الطبيعةَ !

نانا الحلوةُ

تَسْكبُ الأمل في نفسي

نا ، نا ، نا ، نا ، نا ، نا .

السيدة : الجزء الثاني هو « نا » . وما الجزءُ الأول ؟

كوكو : وجزئي الأول ، جزئي الأول « آري » ، وهو اسم متوحّشة .

بيتسي : « آري » متوحشة تريد أن تفترس حبيبَها .

(تنفجر ضاحكةً . تمشي . ثم تقف وتغنّي) :

آه ! الشهيّة . . .

كوكو ، مقاطعاً: تعذّبني !

بيتسي ، مستأنفةً : أودّ لو آكل أحداً ،

وأنا أمشي ، وأطوف . . .

كوكو : دون أن أعثر على شيء .

بيتسي : ولا أعلم مَنْ آكُلُ .

كوكو : وأرى في الأفق شراعاً .

بيتسي : يَدْنو حاملاً جنرالَيْن .

كوكو : نحنُ جنرالان

جَمعَ بيننا الشقاء ،
ورمى بنا فوق هذه الجزيرة .

السيدة : رائع .

بيتسي : أترينَ كم هي سخيفة !

كوكو : كل روعتها هنا .

السيدة : من قامَ بدور « آري » ؟

بيتسي : أنا . وقد فصّلتُ ثوباً . ولكن ماما قالت لي : إنه غير محتشم لكن فستان الحفلات الراقصة لا يزيد احتشاماً عنه . (لتيودور ايفانوفيتش) . هل ساعي « بوردييه » هنا ؟

تيودور ايفانوفيتش : نعم ، يا آنسة ، وهو في المطبخ .

السيدة : والآربنا ؟

بيتسي : سترينَ ذلك ، لا أريد أن أُفسد عليكِ متعتك . إلى اللقاء .

السيدة : إلى اللقاء .

(يتبادلون التحية ، تخرج السيدة) .

بيتسي ، لكوكو : تعال إلى غرفة ماما .

المشهد — ٧ —

« تيودور إيفا نوفيتش ، خادما التشريفات ، يعقوب خارجاً من غرفة الخدمة يحمل صينيّة ملأى بفناجين الشاي والحلوى ، ويجتاز غرفة الانتظار لاهثاً » .

يعقوب ، لخادمي التشريفات ، ثم لتيودور ايفانوفيتش : طاب يومكم ، طاب يومكم ! (يحييه الخادمان) . يجب أن تطلب إلى غريغوري ميخايلوفيتش أن يساعدني قليلاً ، فأنا مرهَق .

(يخرج)

المشهد — ٨ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا يعقوب » .

خادم التشريفات الأول : هذا واحدٌ يُجهد نفسه .

تيودور ايفانوفيتش : إنه فتى طيب . لكنه لا يُعجب السيّدة . وهي ترى أنه لا يظهر بالمظهر الحسن . ومن سوء حظه أن الجميع حمّلوا عليه أمس بالذات ، لأنه ترك الفلاحين يدخلون المطبخ . أخشى أن يصرفوه من العمل . ومع ذلك فهو فتى طيّب .

الخادم الثاني : أي فلاّحين ؟

تيودور ايفانوفيتش : فلاحون جاؤوا من قريتنا ، من مقاطعة كورساك ليشتروا أراضي . كان الوقت متأخّراً . ثم إنهم من موطن خازن الخمور وأحدهم أبو خادم غرفة الخدمة . فأُدخلوا حينئذ المطبخ . ولسوء الحظ كان الحضورُ هنا ، أمس ، مشغولين بقراءة الأفكار : لقد خُبّيء شيءٌ في المطبخ وجاء جميع السادة إلى المطبخ ورأتْ السيدةُ الفلاحين . كان ذلك رهيباً ! قالت : « كيف

يجيء هؤلاء الناسُ من الشارع حاملين جميع أنواع الأمراض المعدية . وتُدخلونهم المطبخ ؟ » إنها تخاف العدوى خوفاً عظيماً .

المشهد — ٩ —

« الأشخاص أنفسهم غريغوري » .

تيودور ايفانوفيتش : غريغوري ، اذهبْ وساعد يعقوب ايفانوفيتش. وسأبقى وحدي هنا ؛ إنه لا يستطيع الاستغناء عن مساعدتك.

غريغوري : إنه لا يُحسن العمل .

(يخرج)

المشهد — ١٠ —

« الأشخاص أنفسهم ما عدا غريغوري » .

الخادم : إنها لبِدْعةٌ جديده تلك العدوى ! سيّدتكم ، اذن ، تخاف منها أيضاً ؟

تيودور ايفانوفيتش : أكثر من النار ! فلا عملَ لدينا ، في هذا الوقت سوى الغسيل والتدخين والرشّ !

الخادم الأول : ومن أجل ذلك إذن كان الهواء ثقيلا إلى هذا الحدّ هنا . (بحرارة) . أين سنصلُ مع جنون العدوى هذه ؟ لقد نسوا الله من جرّائها ! وهكذا فعندنا ، مثلاً ، عند أخت سيّدنا ، الأميرة « موسّولوفا » ، أشرفت الفتاة على الموت . فماذا كان ! أبى والداها وأمها أن يدخلا

غرفتها . لم يقولا لها وداعاً . مع أن ابنتهما كانت تبكي وتناديهما لتقول لهما وداعاً فلم يدخلا غرفتها ! لقد وجد الطبيب علةً معدية لا أدري كنهها . لكن الخادمة والممرّضة عالجتاها مع ذلك ، ولم يُصبْهما سوءٌ : فما تزالا حيّتين تُرزقان .

المشهد — ١١ —

« الأشخاص أنفسهم . باسيل ليونيديتش وبيتريشتييف يدخلان والسيجارةُ بين الشفتين » .

بيتريشتييف : هيّا ، إذن ! سآتي بكوكو !

باسيل ليونيديتش : صاحبُك كوكو أباه . إنه فتى تافه ! وهو لا يهتّم بشيء . لا همّ له سوى التنزّه . إيه ماذا ؟

بيتريشتييف : انتظرْني مع ذلك . سأَستأذن .

باسيل ليونيديتش : طيّب ! سأنظر إلى الكلاب في غرفة الحوذيّ . فبينها ساوقي ضارٍ قال الحوذي عنه : إنه أوشك أن يفترسه ! ايه ماذا ؟

بيتريشتييف : مَنْ الذي افترسَ الآخر ؟ هل الحوذي هو الذي أكل الكلب ؟

باسيل ليونيديتش : أوه ! أنتَ دائماً . . .

(يرتدي ثيابه ويخرج) .

بيتريشتييف ، متفكّراً : ما . . . كذ . . . . توش . نعم ! . . . نعم ! .

(يصعد الدرجَ) .

المشهد – ١٢ –

« خادما التشريفات تيودور ايفا نوفيتش ؛ يعبر يعقوب غرفة الانتظار راكضاً في بداية المشهد وفي نهايته » .

تيودور ايفانوفيتش ، ليعقوب: وماذا هنالك أيضاً ؟

يعقوب : هناك نقصٌ في قطع الخبز المدهونة بالزبدة . توقعتُ ذلك .

(يخرج)

خادم التشريفات الثاني : أو ان الولد هو الذي يمرضَ عندنا . فيرُسلُ على الفور إلى الفندق مع مربّياته فيموت فيه وأمه غائبة .

الخادم الأول : صحيح ، إنهم لا يخافون الخطيئة ! أعتقدُ أنا ، أننا لا يمكن أن نختبىءَ من وجه الله ، اينما كنّا .

تيودور ايفانوفيتش : وأنا أعتقد ذلك أيضاً .

(يصعد يعقوب الدرج وهو يركض ، حاملا الخبز والزبدة) .

الخادم الأول : لاحظْ أيضاً أن الإنسان إذا خاف العدوى من الجميع ، فما عليه ! إلا أن يحبسَ نفسه بين أربعة جدران ، وكأنه في سجن !

المشهد – ١٣ –

« الأشخاص أنفسهم تانيا ثم يعقوب » .

تانيا تُحيّي الخادمين : طاب يومكما ! (الخادمان يُحيّيانها) . أحب أن أقول لك كلمتين تيودور ايفا نوفيتش .

تيودور ايفانوفيتش : حسناً ! ماذا تريدين أن تقولي ؟

تانيا : ما يزال الفلاحون هنا يا تيودور ايفا نوفيتش .

تيودور ايفانوفيتش : لكنْ لماذا ؟ لقد سلّمتُ سيمون العقدَ .

تانيا : بالنسبة إلى العقد ، لقد سلّمتُهم إياه . وهم لا يطلبون إلا شيئاً : هو أن يدفعوا المالَ الذي معهم .

تيودور ايفانوفيتش : وأين هم ؟

تانيا : هم ينتظرون تحت ، قرب مدخل الدرج .

تيودور ايفانوفيتش : حسناً ! سأخبرُ بذلك .

تانيا : ثم إن لي طلباً عندكَ يا تيودور ايفا نوفيتش ؟

تيودور ايفانوفيتش : وما هو ؟

تانيا : لم أعدْ أقوى على البقاء هنا ، يا تيودور ايفا نوفيتش ، أطلبْ لي من السيدة أن تَدَعني أسافر .

(يدخل يعقوب راكضاً) .

تيودور ايفانوفيتش : ما بكَ ؟

يعقوب : يلزمُهم أيضاً سماور وبرتقال .

تيودور ايفا نوفيتش : اطلبْ هذا من الخادمة (يتوارى يعقوب وهو يركض) . لماذا تريدين ذلك إذن ، ياتانيا ؟ هذا غير ممكن الآن .

يعقوب ، مسارعاً : لا يوجد ما يكفي من البرتقال .

تيودور ايفانوفيتش : خذْ ما بقي . (يخرج يعقوب) . لم تُحْسني اختيار اللحظة المناسبة . أنت تَرَيْن البابلاة !

تانيا : لكنك تعلم جيداً يا تيودور ايفا نوفيتش ، أن هذه البلبلاة لا تنتهي أبداً ؛ والقضية مهمة بالنسبة إليّ . فبما أنك أحسنتَ إليّ من قبلُ كنْ لي يا تيودور ايفا نوفيتش أباً ثانياً ، واختْر اللحظةَ المناسبة ، واطاب منها ذلك . وإلا فسوف تغضب ولن تعيدَ إليّ جواز سفري .

تيودور ايفانوفيتش : لكِنْ لمَ أنتِ مستعجلة إلى هذا الحد ؟

تانيا : ماذا تريد مني أن أفعل يا تيودور ايفا نوفيتش . فالقضية منتهية الآن وسأبحث عن اشبينة لي ، وسأخبرها بالأمر وسأستعد ، وسنحتفل بالعرس في نهار الأحد الذي يلي عيد الفصح . كاتمْها بشأني أيها الأب الثاني ، تيودور ايفا نوفيتش .

(تخرج تانيا . ينزل من فوق سيّدٌ مسنّ ، ويخرج دون أن يقول شيئاً مع الخادم الثاني) .

المشهد — ١٤ —

« تيودور ايفا نوفيتش خادم التشريفات الأول ، يعقوب » .

يعقوب : آه ! يا تيودور ايفا نوفيتش ، الأمر لا يُطاق ! إنها تريد أن تَصْرفني الآن ! قالت لي : « أنت تكسر كل شيء ولم تعتنِ بفيفي ، وتركتَ الفلاحين يدخلون المطبخ بالرغم من أوامري ! » وأنت تعلم جيداً أن الغلطةَ

ليست غلطتي ! تانيا هي التي قالت لي : « خُذْهم إلى المطبخ » ؛ وكيف كان يُمكنني أن أعلم أن ذلك ممنوع .

تيودور ايفانوفيتش : أهي قالت لك ذلك ؟

يعقوب : قالتْه لي للتوّ . أنقذْني يا تيودور ايفا نوفيتش ! . . . لقد أخذت أسرتي تنتعش وإذا فقدتُ عملي فمَنْ يدري متى أجد غيره ؟ أرجوك إذن ! . . .

المشهد — ١٥ —

« تيودور ايفا نوفيتش ، خادم التشريفات الأول . السيدة ، تقود كونتيسة عجوزاً تضع شعراً مستعاراً وأسناناً صناعية . الخادم الأول يُلبس الكونتيسة ثيابَها » .

السيدة : قطعاً ، بكل تأكيد ! لقد تأثرتُ تأثراً عميقاً !

الكونتيسة : لولا صحتي ، لأكثرتُ من زياراتي لك .

السيدة : أحثّكِ على استشارة « بيير بيتروفيتش » . إنه فظّ . لكنْ لا أحد يُلاطفك مثله . بالنسبة إليه كل شيء بسيط جداً واضح جداً !

الكونتيسة : لا تعوّدت طبيبي .

السيدة : انتبهي لنفسك !

الكونتيسة : شكراً ، ألف شكر .

المشهد — ١٦ —

« الأشخاص أنفسهم ، غريغوري ينطلق إلى خارج غرفة الخدمة ، مشوّشاً ، منفعلاً ؛ ووراءَه يركضَ سيمون » .

سيمون : خُذْ . . . كان عليك أن تدعَها وشأنها !

غريغوري : سأعلّمك ، يا نذل ، كيف تضربني ! آه ! يا حقير !

السيدة : ما هذا ؟ لعلكما في حانة ! . . .

غريغوري : هذا الخسيس جعل حياتي لا تُطاق !

السيدة ، متضجّرة : لكنْ ، هل جُننتما ! (للكونتيسة) **شكراً ، ألف شكر ! اللقاء نهار الثلاثاء** .

(الكونتيسة وخادم التشريفات الأول يخرجان) .

المشهد — ١٧ —

« تيودور ايفا نوفيتش ، السيدة ، غريغوري ، سيمون »

السيدة : ما الأمر ؟

غريغوري : مع أنني لستُ سوى خادم ، فان لي كبريائي ، ولن أسمح لفلاح تافه أن يُهينني .

السيدة : ماذا جرى ؟

غريغوري : ما جرَى هو أن سيمون أخَذ يتكبّر منذ أن صارَ يَجْلِس مع السادة ، وأخَذ يضربني .

السيدة : كيف ؟ لماذا ؟

غريغوري : لا أدري لماذا ؟

السيدة لسيمون : ما معنى هذا ؟

سيمون : ما عليه إلا أن يكفَّ عن ملاحقتها .

السيدة : ماذا تَقْصد ؟

سيمون ، مبتسماً : يريد أن يقبّل تانيا ، الخادمة ، وهي ترفض ذلك . فنحّيتُه عنها ، هكذا ، برفق .

غريغوري : آه ! طيّب ! يسمّي فعْلَه « تَنْحية » . ! كاد يهشم أضلاعي . ومزّق لي ثيابي . لو تعلمين ما الذي قاله لي . . قال : إن القوّة التي تملّكتني أمس ، تتملكني اليوم » وأخذ يشدّ علي .

السيدة ، لسيمون : كيف تجرؤ على المقاتلة في بيتي ؟

تيودور ايفانوفيتش : اسمحي لي أن أعرض الأمرَ عليك ، يا آنا بافلوفنا . يجب أن أقول لك إن سيمون يحبّ تانيا ؛ وأنها خُطِبتْ إليه ؛ وبما أن غريغوري ، والحقُ يقال ، لا يتصرف تصرّفاً لائقاً . . . فلا بد أن سيمون شعر بالإهانة .

غريغوري : أبداً لا . بل من الحنق علي ، لأنني كشفتُ حيلَهم .

السيدة : أية حِيَل ؟

غريغوري : أثناء الجلسة . كل ألاعيب الأمس عملتْها تانيا ، لا سيمون . رأيتها بعيني تَخْرجُ من تحت الأريكة .

السيدة : ماذا ؟ تخرج من تحت الأريكة ؟

غريغوري : أستطيع أن أقسم على ذلك بشرفي ! وهي أيضاً التي حملتْ العقد ورَمَتْهُ على الطاولة . ولولاها لما وُقّع العقد ، ولما تمّ بيعُ الأرضِ للفلاحين .

السيدة : رأيتَها أنت نفسك ؟

غريغوري : بعينيّ هاتين . تفضّلي وادعيها . فإن تُنكر .

السيدة : ادْعُها .

(يخرج غريغوري) .

المشهد -- ١٨ --

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا غريغوري . ضجةٌ خلف المسرح . صوت الحاجب : « لا يمكن ! لا يمكن ! » ثم يُشاهَدُ الحاجبُ والفلاحون الثلاثة الذين يقتحمون غرفة الانتظار . يدخل أولاً الفلاح الثاني ، ثم الأول ، وأخيراً الثالث الذي يتعثّر ، ويقع ويُخفي أنفه بيده » .

الحاجب : لا يُمكن ، انصرفوا !

الفلاح الثاني : آه ! ما جئنا نرتكب شراً ؛ جئنا لندفع المبلغ .

الفلاح الأول : طبعاً ! . . . لأن الصفقة تمّتْ بعد التوقيع ، فلا نريد شيئاً سوى أن ندفع ، ومع كل امتناننا .

السيدة : انتظروا ، انتظروا ، قبل أن تشكروا ! لم يكن الأمرُ سوى خدعة ، ولم تنته القضيةُ بعدُ ، ولم يتمّ البيعُ . ليونيد ! ادعُ لي ليونيد فيودوروفيتش .

(يخرج الحاجب) .

المشهد -- ١٩ --

« الأشخاص أنفسهم ، يدخل ليونيد فيودوروفيتش ، لكنه يهمّ بالانسحاب حين يرى زوجته والفلاحين » .

السيدة : لا ، لا ! تفضّلْ إلى هنا . قلتُ لك : إنه لا ينبغي بيع الأرض بالدَيْن ، والجميع قالوا لكَ ذلك ! لكنك انخدعتَ كأَبله البلْه .

ليونيد فيودوروفيتش : يعْني ؟ . . . ماذا ؟ لا أفهم . أية خدعة ؟

السيدة : يجب أن تَستَحي من ذلك ! شعرُك أشيب وتنخدع كما ينخدع الصبي ، وتدع الناس يهزؤون منك !

تأبى أن تعطي ابنك ثلاثمائة روبل ليحافظ على مكانته في المجتمع ، وتُغشَش ، كما يُغَشّش الغبي ، بالآلاف .

ليونيد فيودوروفيتش : لكن اهدئي ، يا آنيت .

الفلاح الأول : نريدُ فقط أن نسلّم المبلغ ؛ أي . . .

الفلاح الثالث : مخرجاً المال : دعونا نذهب بجاه المسيح !

السيدة : انتظروا ! انتظروا !

المشهد — ٢٠ —

« الأشخاص أنفسهم ، غريغوري ، تانيا » .

السيدة ، بقسوة ، لتانيا : هل كنتِ أمسِ مساءً ، أثناء الجلسة ، في غرفة الاستقبال الصغرى ؟

(تتنهد تانيا ، وتنظر إلى تيودور ايفا نوفيتش ،وليونيد فيودوروفيتش وسيمون) .

غريغوري : لا مجال للإنكار مادمتُ قد رأيتُكِ !

السيدة : قولي ، أكنتِ فيها ؟ اعترفي ! لن أمسّك بسوء ؛ أريد

فقط أن أفحم هذا (تشير إلى ليونيد فيودوروفيتش) . أنت رميتِ العقدَ على الطاولة ؟

تانيا : لا أدري بِمَ أجيب . لا أبغي إلا شيئاً واحداً : أن تَدَعوني أذهب إلى بيتي .

السيدة ، لليونيد فيودوروفيتش : أرأيت ! إنهم يضحكون عليك !

المشهد — ٢١ —

« الأشخاص أنفسهم . تدخل بيتسي في بداية المشهد : وهي لا تُرى في أول الأمر » .

تانيا : دعيني أذهب ، يا آناباڤلوفنا !

السيدة : لا ، يا عزيزتي ! ربما خسّرتنا عدة آلاف من الروبلات ! لقد بيعت أرضٌ لا ينبغي أن تُباعَ .

تانيا : دعيني ، يا آنا بافلوفنا !

السيدة : لا ! ستتحمّلين مسؤولية ذلك ! فليس الغشّ مُباحاً . سأشتكي إلى قاضي الصلح .

بيتسي ، تتقدّم : دعيها تذهب ، يا ماما ؛ وإذا شئتِ أن تُلاحقيها فلاحقيني أنا أيضاً في الوقت نفسه . أنا دبّرتُ كل شيء معها البارحة مساءً .

السيدة : إن كنتِ مشتركة ، فلا يمكن أن ينتج عن ذلك سوى السوء .

« الأشخاص أنفسهم والأستاذ » .

الأستاذ : طاب يومُكِ ، آنا بافاوفنا ! طاب يومكِ ، يا آنسة ! جئتُ إليكم ، يا ليونيد فيودوروفيتش ، حاملاً تقرير المؤتمر الثالث عشر لمستحضري الأرواح ، في شيكاغو . خطبة « سميث » فيه مدهشة .

ليونيد فيودوروفيتش : آه ! هذا مشوّق !

السيدة : وأنا ، سأروي لكم شيئاً أكثر تشويقاً ! أعلمُ أنك أنت وزوجي قد ضحكت عليكما هذه الصبيّةُ ! بيتسي تُلقي اللومَ على نفسها ، لكنها لا تفعل ذلك إلا لكي تَغيظني . ضحكتْ عليكما صبيّةٌ لا تعرف القراءة والكتابة ، ومازلتما مؤمنيْن – لم يكن ،أمس، أية ظاهرة ، وهي التي عملتْ كلَّ شيء .

الأستاذ ، خالعاً معطفه : وكيف ذلك ؟

السيدة : بكل بساطة : هي التي كانت تعزف على القيثارة في الظلمة ؛ هي التي كانت تضرب زوجي على رأسه ، والتي عملت كل حماقاتكم . لقد اعترفت لتوّها بذلك !

الأستاذ ، مبتسماً : لكنْ علام يدلُّ هذا ؟

السيدة : يدلّ على أن وسيطيّتكم أكذوبة ؛ على ذلك يدلّ .

الأستاذ : ألأنّ هذه الفتاة أحبّت أن تخدعنا ، ينْتج عن ذلك أن علم الوساطة أكذوبة ، كما أردت أن تقولي ؟ (مبتسماً) .

نتيجة غريبة ! ربما كان بنيّةِ هذه الفتاة أن تخدعَ . وهو ما يقع غالباً . بل لعلها قد فعلتْ شيئاً من ذلك . لكن ما فعلتْهُ هي التي فَعَلَتْهُ ، وما كان تجلياً للطاقة الوسيطية كان تجلياً للطاقة الوسيطية . بل من المحتمل جداً أن ما فعلته هذه الفتاة حرّض وآثار ، إن أمكنني القول ، تجلّيّ الطاقة الوسيطية ، وأعطاها شكلها النهائي .!

السيدة : محاضرة أخرى !

الأستاذ ، بقسوة : تقولين . إن لهذه الفتاة ، وربما لهذه الآنسة الفاتنة ، يداً فيما جرى ؟ لكنْ ما الضوء الذي رأيناه جميعاً ؟ وانخفاض الحرارة في حالةٍ ، وارتفاعها في حالةٍ أخرى ؟ واضطراب غروسمان واهتزازه ؟ ماذا ؟ هل هذه الفتاة هي التي صنعتْ ذلك كله ؟ هذه وقائع ! لا ، يا آنا بافلوفنا ، هناك أشياء يجب أن تُدرَسَ وأن تُفهم فهماً جيداً قبل الكلام عليها .

ليونيد فيودوروفيتش : والطفل الصغير الذي رأتْه بوضوح ماريا فاسيلييفنا ؟ وأنا أيضاً رأيتُه ! لا ، لا يمكن لهذه البنت أن تفعل ذلك !

السيدة : تظنُّ نفسَكَ ذكياً ، وما أنتَ سوى أحمق !

ليونيد فيودوروفيتش : طيّب ! سأنصرف . تعال إلى مكتبي ، يا الكسي فلاديمير وفيتش .

(يتّجه إلى مكتبه ، يتبعه الأستاذ ويهزّ كتفيه) .

الأستاذ : آه ! ما أبعدَنا حتى الآن عن أوروبا !

المشهد — ٢٣ —

« السيدة ، الفلاحون الثلاثة ، تيودور ايفا نوفيتش ، تانيا ، بيتسي ، غريغوري ، سيمون ، يدخل يعقوب » .

السيدة ، خلف ليونيد فيودوروفيتش: خُدِع كما يُخدَع الغبي ، وهو لا يرى شيئاً . (ليعقوب) . ماذا تريد ؟

يعقوب : كم مدعواً تأمرين أن تُعَدَّ لهم المائدةُ ؟

السيد : كم مدعواً ؟ تيودور ايفا نوفيتش . خذْ منه هذه الأواني الفضيّة ، واطردْه حالاً ؛ فهو سببُ مصائبي جميعاً . سيقبرني هذا الرجل ! لقد كاد يقتل كابي أمس ، مع أن هذا الكاب لم يفعل به شيئاً ! وهو أيضاً الذي أدْخل الفلاحين الملوّثين إلى المطبخ ! وها هم ما يزالون هنا ! هو الذي فعل كل شيء ! ليخرجْ ليخرج في الحال ! ليُعْطَ حسابه . (لسيمون) . وأنت ، إذا سمحتَ لنفساك بعد الآن أن تُثير الضوضاء في بيتي فسأعاتّماكَ . . . أيها الفلاح الحقير !

الفلاح الثاني : إذا كان فلاحاً حقيراً فلا داعي للاحتفاظ به . أعطيه حسابه وكفى !

السيدة ، تصغي ، وتحدّق في الفلاح الثالث : انظرْ إليه ، فعلى أنفه بثور ! بثور ! هو مريض ، هو بؤرة عدوى ! لقد أمرتُهم البارحة ألا يسمحوا لهم بالدخول ! وما يزالون هنا ! اطردْهم !

تيودور ايفانوفيتش : لن تأمري إذن بقبول المال ؟

السيدة : المال ؟ خذ المالَ ! لكن اطردْهم ، وخصوصاً هذا المريض ! اطردهم فوراً ! إنه متعفّن كلياً !

الفلاح الثالث : أنت مخطئةٌ ، يا سيدتي ، أُقسم لكِ ! اسألي عجوزي إن كنتُ متعفّناً . بل أنا كالبلور .

السيدة : ويجرؤ على الكلام ! اخرجْ ! اخرجْ ! يفعلون كلَّ شيء عن عمد ! لا ، أنا مرهقةٌ ! أحضروا بيير بيتروفيتش !

(تخرج على عجل وهي تتأوه ؛ يخرج يعقوب وغريغوري) .

الفصل — ٢٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا السيدة ويعقوب وغريغوري » .

تانيا ، بيتسي : يا آنسة ، يا حمامتي ، ماذا أفعل الآن ؟

بيتسي : لا أهمية لذلك ، لا أهمية كذلك ! تستطيعين أن تسافري معهم ؛ وسأدبّر الأمر .

(تخرج)

المشهد — ٢٥ —

« تيودور ايفا نوفيتش ، الفلاحون الثلاثة ، تانيا ، الحاجب » .

الفلاح الأول : لكنْ كيف نفعل الآن ، أيها المحترم ، من أجل دفع المبلغ ؟

الفلاح الثاني : دعْنا نسافر .

الفلاح الأول ، وهو لا يعلم أين يضَع المال : لو كنتُ أعلمُ ذلك لما قبلتُ أبداً . . . فما يجري يهدّ الجسم أكثر من المرض .

تيودور ايفانوفيتش ، للحاجب : خُذْهم إلى غرفتي . ففيها آلةٌ للحساب . وسأتسلّم المالَ فوق .

الحاجب : هيّا ، هيّا !

تيودور ايفانوفيتش : اشكروا تانيا ، فلولاها لما حصلتُمْ على الأراضي .

الفلاح الأول : لا شك ! وعدتْ ووفتْ بوعدها .

الفلاح الثالث : هي جعلتْنا على ما نحن عليه ؛ وإلا فماذا كنّا ؟ كانت أرضنا صغيرة ، ولا مكان فيها للدجاجة ! إلى اللقاء يا حلوة ! إذا جئتِ القرية فتعالي لتأكلي عسلاً !

الفلاح الثاني : انتظرْ ريثما أعود إلى منزلي ؛ سأبدأ بالإعداد للعرس وبصنع الجعة ! على أن تأتي .

تانيا : سآتي ، سآتي ، (تطلق صرخة الفرح) . سيمون ، ما أجمل ذلك !

(يخرج الفلاحون) .

المشهد — ٢٦ —

تيودور ايفانوفيتش : ليحفظْكِ الله ! وبعدُ يا تانيا ، إذا ما تزوجتِ وزرتُكِ في بيتكِ ، فهل تَستقبلينني ؟

تانيا : يا عزيزي تيودور ايفا نوفيتش ، سنَستقبلكَ مثل والدنا الحبيب .

ستار

بطرس العشَّار (١)

دراما في خمسة فصول

١٨٩٤

(١) العشار : في العنوان دعي « العشار » ؛ وهو عشار الإنجيل (لوقا ١٨ : ٩ – ١٤) ؛ وفي النص دعي « الخباز » . ومن الصعب التوفيق بين هاتين الصفتين ؛ ولعل تولستوي قد فهم « العشار » بالمعنى الأوسع ، أي : الخاطىء التائب .

الفصل الأول

« تجري الأحداث في القرن الثالث ، في سورية » .

المشهد — ١ —

« ساحة أمام منزل سرياني ثريّ . المتسوّلون : امرأتان وثلاثة رجال ؛ يمرّ سكان المدينة ؛ المتسوّلون يتسوّلون فيُعْطَوْن دراهم ؛ ينضمّ حاجٌ إلى المتسوّلين » .

الحاج : طابَ يومكم ، أيها الرفاق .

المتسوّل الأول : من أين أنت قادمٌ ؟

الحاج : من القاهرة ، وهل الناسُ هنا من ذوي الإحسان ؟

المتسوّل الأول : اوه لا ! الحالُ سيئة ! الأغنياء قلّة قليلة .

الحاج : كيف « قلّة قليلة » ؟ وهذه المساكن البديعة ؟ (يشير بيده إلى بيت جميل) . لا بدّ أن يكون صاحبُه غنياً ؟ .

المتسوّل الأول : نعم ! صحيح ! هذا غنيّ جداً . لكنه يُؤْثرُ أن يَشْنق نفسه على أن يُعطي صَدَقةً .

المتسوّل الثاني : كلُّ الناس هنا يَعْرفون بطرس الخبّاز ؛ منذ أن سكنتُ هذه المدينة — أي منذ ثلاثين سنة — لم أسمعْ أنه أعْطى كسرةَ خبز . لا ! حتى ولا كسرةَ خبز .

المتسوّل الثالث: وزوجتُه ؟ وابنتُه ؟ أهما يشبهانه ؟

المتسوّلة الثانية : لا ، ابنتُه مع ذلك أفضل ؛ خادمتهم قالت لي ذلك .

المتسوّلة الأولى: ليس على الأرض مَنْ هو أبخلُ من بطرس هذا ؛ إنه لا يعطي أحداً درهماً .

الحاج : كيف ؟ لا يعطي شيئاً أبداً ؟ من عَرَفَ كيف يسأل فهو يَحْصل دائماً على ما يريد .

المتسوّل الأول : حاولْ قليلاً وسترى !

الحاج : سأُحاولُ بالتأكيد . ليس من إنسانٍ لا يعطيني عندما أتشبّثُ به وأُلحفُ في السؤال .

المتسولتان والمتسولون ، جميعهم في آن واحد : لن تَنْجح .

الحاج : أتريدون أن تراهنوا ؟

المتسوّل الأول : إذا شئت ! لكنْ ما الرهان ؟

(يتجمّع الجميع حول الحاج) .

الحاج : أُراهنُ بثلاثة دراهم .

المتسوّل الأول : قبلتُ الرهان ، اضربْ يدَك هنا ! (يضربُ كل منهما يدَ الآخر وهما يضحكان) . هات الدراهم .

(يُخرج كل من الحاج والمتسول الدراهمَ ويسلّمانها إلى المتسوّلة الأولى) .

المتسوّلة الثانية : انظروا ! ها هو ذا بعينه ! إنه يَحْمل أرغفةَ الخبز للأمير .

(يصل بطرس ووراءه عبدٌ يحمل سلةً مملوءة بالأرغفة الذهبيّة الشهيّة ؛ يتّجه الحاجُ نحو بطرس) .

الحاج : بجاه المسيح ! أعْطِ الحاجَ المسكين ! ارحمْني بجاه المسيح ؛ أكاد أموتُ جوعاً .

بطرس ، يكلّم خادمَه دون أن يتوقّف ، يتبعُه الحاج ويتشبّث . بقدمه وبطرف ردائه . يدفعه بطرس بقسوة ويلتفت إليه : ارجعْ ، يا كلب !

الحاج : أيها السيّد المبجّل ! اوه ! يا مطعمَ الفقراء ! ارحمْني !

بطرس : ارجعْ ! انصرفْ !

الحاج ، يعود من الجهة الثانية ويرتمي على قدميه : أوه ! يا مطعمُ الفقراء ! بجاه السماء ! أتوسّل إلياك أن ترحمني .

بطرس : ارجعْ ! افسح الطريق ! وإلا قتلتكَ !

(ينحني ويلتقط حجراً كبيراً من الأرض . ويهمّ بضرب الحاج) .

الحاج ، بصوت مؤثر : ارحمنْي ! ارحمني ! ارحمني ! ارحمني ! أرجوك ! ارحمنْي !

بطرس : دعْني أمرّ . ارجع ! حذارِ ! انْصرفْ !

(يتعبّا ، فيتناول بحركة غاضبةٍ رغيفاً من السلة ويرميه إليه . يأخذ الحاج الرغيفَ ويجري نحو المتسولين وقد بدا عليه الفرح) .

الحاج : آه ! آه ! رأيتمُ ! نجحتُ ! ربحتُ الرغيف ! هذه هي صدقةُ بطرس . (يُري الرغيفَ الجميل) . هاتي الدراهم .

المتسوّل الثاني : أنتَ محظوظٌ ! لقد ربحتَ ! يجب أن نشرب نخباك .

ستار

الفصل الثاني

المشهد – ١ –

داخل منزل . في المقدّمة تجلس زوجةُ بطرس وابنتُه . في صدر المسرح سريرٌ ينام عليه بطرس ؛ هو يَهْذي » .

بطرس : آه ؟ مِنْ هؤلاء اللصوص ! خَرَّبوا بيتي ! أسرفوا في الطحين ! ادفعْ هذا المبلغَ ! ادفع المالَ ! اذبَحْ لي هذا الملاكَ ! الزهورُ تَعزْف الموسيقا ! وداعاً ، أنا أموت .

زوجةُ بطرس: مرّ عليه حتى هذا المساء ثلاثةُ أيام وهو في هذه الحالة ؛ يبدو أنه لا يتحسّن ؛ على ألاّ تكون هذه هي النهاية .

(تدْخل من الباب مُلْهَمَةٌ ، صاحبةُ رؤيا) .

المُلهمة : طاب يومُكِ ، يابنتي ! أنتِ تبكين دائماً ؟ تظنين أنك ستدفنين زوجك ؟ لا تَخْشي ! لا تخافي ! لا خَطَر عليه من الموت ! لن يموت ، لم يَجْهزْ بعد . جمّع المالَ أثناء ثلاثين سنةً من حياته ؛ ولا بدّ له من ثلاثين سنة حتى يُنفقه . في هذه اللحظة فقط يغدو جاهزاً للموت !

زوجة بطرس: أنت تَنْطقين بحماقات ، يا ايدوسيا ! أأنتِ جائعة ؟ أتريدين أن تأكلي ؟

الملهَمة : أنا بغنى عن الأكل ! لستُ جائعةً ! أنا بغنى عن الجوع ! يا عجوز ، أنتَ نائمٌ ؟ أأنت نائم ؟

(تدخل ابنةُ بطرس . ينهض بطرس لحظةً على فراشه ويُصيخ السمع) .

المُلْهِمة : لا يمكن للغني أن يدخل الجنّة . أنتَ لا يمكنك أن تَدْخلها ؛ عبثاً تتشبّث وتُلحف في السؤال ! لن تمرّ ! ستَهْبط إلى الجحيم !

المشهد — ٢ —

« يدخل طبيب ، الزوجة والملهمة ، يَنْقز بطرس على سريره ويصرخ » .

بطرس : جئتَ لتَخْنقني ! ماذا تريد ؟ لا أحبّ أن أراك !

الطبيب : اهدأْ ، يا بطرس ، سيزول السوءُ عنكَ ! ستشفى .

(يمسك به من يده ويُجلسه على سريره) .

الملهمة : يا له من أحمق ! يا له من أحمق ! أحمق ! لستَ تفعل سوى الحماقات ! ستُفسد عليّ عملي ! أُفضّلُ أن أنصرف على أن أرى هذا !

(تهربُ راكضة) .

الطبيب ، مخاطباً زوجة بطرس : أمسكيه ! (يتسمّع إلى صدر بطرس ويتكلّم بينه وبين نفسه) . هنا ، لا شيء ! عجباً ، هو يبدأ هنا ! آه ! هذا هو ! هذا هو ! إني أسمعُ شيئاً ، يجب أن يكون هنا ! هو هنا حقاً ! سأطرد ذلك كله . (يخاطب بطرس) . ستشفى ، اهدأ ، واطمئنّ ! ستشفى عمّا قريب ! (يُخرج من جيبه قارورة صغيرةً ، ويُمسك

برأس بطرس ، ويسقيه من القارورة ، ويريها قارورةً أخرى يُعطيها إياها) . وبهذه افركي جسمَه كلّه .

(يخرج الطبيب بعد أن انتهى ؛ تتبعه زوجةُ بطرس) .

المشهد – ٣ –

« بطرس وحده مضطجع ؛ لايُسمَعُ شيء ؛ صمتٌ ؛ وفجأة ينهض بطرس ويجلس على سريره » .

بطرس : لكنْ ما هذا ؟ أحسّ أنني سأموت ! هذا هو الموت ! أحسّ أنني أموت . هوذا الملاكُ الذي جاء يطلب روحي ! قالَ لي الساعةَ : إنني سأَشفى . لكنْ أيَّ شفاءٍ قَصَدَ ؟ هذا هو الموت ! الموتُ الذي يَنْتظرني ! يا إلهي ! ما الذي يَنْتظرني فوق ؟ ما الذي تُخبِّئُه لي السماءُ ؟ أصحيحٌ أن الأغنياء لا يجوز لهم أن يَدْخلوا ملكوت السموات ؟ أصحيح أنني سأُكرَه على دَفْع ثمن قسوتي وبخلي ؟ إني لم أرحمْ قطّ الأرامل واليتامى والمرضى والبائسين ! أهذا صحيح ؟ أهذا ممكنٌ حقّاً ؟ وكيف أَمكنَ أنني لم أفهمْ ذلك قط . كان الأفضل أن أوزّع مالي كله بدلاً من أن تحماني شياطينُ الموت السود . ها هي آتية ! إني أسمعها ! صارت هنا ! إنها تُنشبُ مخالبها كلها في روحي (يرفع رأسه وينظر إلى الأعلى) . ها أنا أَلمح الميزان العظيم الذي ستُوزن عليه سيئاتي وحسناتي . عجباً ! إني أراها ! ها هي تضعُ في كِفّةٍ كلَّ المال الذي سرقتُه ، الذي أخذْتُه من الأراملَ والْيتامى ؛ وها هي أيضاً الأجرة التي لم

أدْفَعْها للعمال ، والإهانات والشتائم والضربات التي أذنبتُ بها . انتهى الأمرُ ! قُضِيَ عليّ ! طفحتْ كفّةُ الميزان ؛ وها هي الكفة تنخفض وتَهْبط وتسقط ، وتبلغ الحضيضَ . إني أرى الشياطين فرحةً ! الشياطين تبتهج ؛ قُضي الأمر ، لقد هلكتُ ! آه ! آه ! آه ! أراها تبحث عمّا تضعُه في الكفّة الأخرى ؟ ماذا ! ما هذا ؟ ماذا أرى ؟ لا ، هذا غيرُ ممكن ؟ هذا سخيف ! تريدُ أن تهزأ بي ! ماذا ، رغيفٌ ؟ رغيفٌ لا غير ؟ لا شيء إلا هذا الرغيف الحقير ! عرفتُه : إنه الرغيف الذي رمَيْتُه لذلك المتسوّل الذي أخرجني عن طوري . يا للسماء ! ماذا جرى ؟ ماذا أرى ؟ الكفّةُ التي وُضعَ فيها هذا الرغيف البسيط تَميلُ ؛ إن الخبزَ هو الأثقلُ ، إنه أثقل من كل سيئاتي ! فهمتُ الآن معنى الرحمة . فهمتُ الآن وَزْنَ الرحمة . يا إلهي ، رُدَّ عني الموتَ ، الآن بعد أن فهمتُ . فأنا أعرف ما يَنْبغي أن أفعله ، وما سأفعلُه . سأقسم أموالي كلها بيني وبين الفقراء . لن أحتفظ بشيء .

(يرتمي على فراشه وينام) .

ستار

الفصل الثالث

المشهد — ١ —

« يمثّل المسرح واجهةَ بيت بطرس . على مطاع الدرج ، يُرى بطرس وقد أحاط به جمهورٌ غفير من المتسولين ومن الناس المختلفي الأنواع . يوزّع ويقسم بطرس المال الذي يُخرجه من كيس كبير . »

المتسوّل الأول : يارجل أنتَ أخذتَ نصيبَك ! هذه هي المرة الثانية التي تأخذُ فيها نقوداً ! رأيتُكَ بعيني !

(يهجم على المتسول الآخر ويدفعه .)

المتسول الثاني : أنت تكذب . وقد رأيتك ، أنتَ نفسك : هذه هي المرة الثالثة التي تأخذ فيها .

امرأة : دَهَسْتموني !

صوتٌ في الجمهور : أنتَ ! أخذتَ ! لا تَبقَ هنا .

المتسوّل الثالث مخاطباً بطرس وهو يتباكى : أَعطِني ، من فضلكَ ، أعطني أنا ! أنا ! لي خمسة أطفال صغار ! ارحمْ صغاري !

(تسمع شكاوي شتّى واحتجاجات .)

بطرس : خذوا ! خذوا ! ها أنا أُعطيكم كلَّ شيء ! خذوا ! عندي ما يكفي الجميع ! ما يكفي الناس جميعاً ! لا تتخاصموا ، من

فضلكم ! أطلبُ إليكم ألا تتشاجروا ، ألا يَشْتم بعضُكم بعضاً ! شدّ ما نشرتُ السوء من حولي ! شدّ ما شتمتُ الناس ! فلا تَفْعلوا ، أنتم ، ذلك بعد الآن . سامحوني بجاه المسيح !

المشهد – ٢ –

« تصل زوجةُ بطرس راكضةً ؛ تقف ، وتنتزع الكيسَ من يديْ بطرس وتتشبثّ به ، وباليد الأخرى تهز بطرس وتصرخ به »

زوجة بطرس : ماذا تَفْعل هنا أيها اللص ؟ قبضتُ عليك بِفَعْلتكَ ! تُريد أن تُلجئنا إلى الفاقة ! تريد أن تجعل منا متسوّلين ؟ أمس كنتَ شحيحاً مُفرطَ الشح ! كنتَ بخيلا خسيساً ! وإذا بك تَنْتقل من الضدّ إلى الضدّ ! أصبحتَ الآن مبذراً مسرفاً . يالص ! أنتَ ما تزالُ مريضاً ! قسماً ، لقد جُننتَ !

(بعد أن انتزعتْ منه كل النقود التي حاولتْ أن تجمعها ، تُهينُه وتدفعه إلى بابّ مدخل بيتهما ؛ وتَزْعق بالجمهور أن ذلك انتهى وأن عليه أن ينصرف . وما ان يُغْلَق الباب ، حتى يتهامس الناس وهم ما يزالون مندهلين ،ويتفرّقون .)

المشهد – ٣ –

« بطرس الخبّاز يخرج وهو يتكلّم مع اليعازر، عبده الأمين »

بطرس : هل سمعتَ ؟ عِدْني بأنك ستفعل ما سأطلبُه منك ؟

اليعازر : سأفعلُ كلَّ شيء ! كلّ ما طلبْتَه مني لأنني أحبك ،

في الوقت الحاضر ، أكثر مما أحبُّ أبي وأمي . أُحبُّك لأنني أرى فيك روحَ الله .

بطرس : هذا وَعْدٌ منكَ ؟ وعدْتَني بذلك ؟ أتقسم ؟

اليعازر . مؤدياً القسم وراءه : بعقيدتي ! بشرفي ! أعدك بذلك ، وأقسم عليه !

بطرس : طيّب ، صدّقْتُكَ ! أنا أثقُ بك ! وهذا هو الموضوع : أنت تعرفُ أسرتي . تعرفها جيداً ، وتعلم أنها تمنعني من توزيع أموالي على الفقراء . ليس لي أن أحكم عليهم وقد أذعنتُ لحُججهم . ليس لي الحق في أن أعتدي على مصالحهم العائلية . ليس لي أن أناقض مشيئتهم أو أعمل ضدّها ، ومع ذلك فليس بوسعي أن أستمرّ في الوضع الذي أنا فيه . لم أعدْ أحتملُ ! أعرفُ أين واجبي. أدركتُ ذنوبي. انفتحت عيناي. يجب أن أفتدي نفسي ! أن أكفّر عن ذنوبي . يجب أن أخدم الله ! يجب أن أطيع الله ! الله هو الحقيقة ! الحقيقة الوحيدة ! جاء في الكتاب المقدّس : « بعْ أملاكك، ووزّعْها على الفقراء » . لكنني لا أستطيع أن أفعل ذلك . أودّ أن أتبع كلامَ الكتاب المقدّس ، لكنّ ذلك غيرُ مسموحٍ لي ، هم يمنعونني من ذلك ، ويحظرونه علي . أسرتي تحرّم علي أن أبيع أملاكي وأوزّع أموالي . ليس بوسعي أن أتصرّف بثروتي . لم تعد ثروتي ملكاً لي . لكن لي الحقّ في أن أتصرّف بنفسي — (ينظر إلى اليعازر كالملهَم .) ولمّا لم يَبْقَ لي شيء أعطيه من مالي أو أراضيّ ، لم يبقَ لي سوى

هذا الحل : أن أبيعَ نفسي للناس . هذه هي مشيئتي . ستذهبُ بي إلى سوق النخاسة . فاربطْ يديّ . (يمد بطرس يديه لا ليعازر .) خُذْني إلى سوق النخاسة وبِعْني كما لو كنتَ عبداً لك . بِعْني كأنني مالٌ لكَ . فاذا بِعْتني وَزِّعْ المال الذي تتسلّمه على الفقراء .

اليعازر : يامعلم ! يامعلم ! لايمكنني أن أفعل هذا أبداً !

بطرس : لقد أقْسمتَ ، مع ذلك ، يا اليعازر ! فماذا تفعل بقسمك ؟ وَعَدْتَني بذلك وأقسمتَ عليه .

اليعازر : يامعلم ! لا تطلبْ ذلكَ مني ! لا تَجْعلني . أتألمّ ! أعتِقْني من قسمي ! ما تطلبُه مني مُرعبٌ .

أنا أسامحك ! واشفقُ عليك ! فسامِحني واشفقْ عليّ !

بطرس : أهذا وقتُ الشفقة ! لمَ لمْ تشفقْ عليّ من قبل ، عندما كنتُ أسيء ، وعندما كنتُ أرتكبُ السيئات ، عندما كنتُ أسير مباشرة إلى هلاك نفسي ، عندما كنتُ أمضي إلى هلاكي الأبدي ، دون أية معونة ؟ في هذا اليوم جئتَ تشفق علي ؟ اليوم الذي اخترتُه لافتداء نفسي ، لخلاصي .

اليعازر ، مُرْهَقاً ، خامد العزم ، راضخاً للواقع ، وهو يطلق زفرة عظيمة : لتكنْ مشيئتُكَ ، يا معلم !

زوجة بطرس تدخل : عودا ، عودا ! حسبكما ثرثرة ! عودا بسرعة !

(تخرج)

ستار

الفصل الرابع

سوق النخاسة

المشهد – ١ –

« عبيد رقيق مقيدون في كل مكان : رجالٌ ونساء يمسكهم أصحابهم بالسلاسل : المالك الأول مع عبدين ، المالك الثاني مع عبدٍ عجوز وفتى . ووسط هؤلاء يبدو اليعازر مع بطرس مقيداً . يتناقش المشترون فيما بينهم ، ويجسّون العبيد ليقدّروا أثمانهم »

المشتري الأول : كم تطلبُ بتلك ؟ ما آخرُ سعرٍ عندك ؟

(يشير إلى فتاة حسناء باصبعه ذات الخاتم الثمين .)

التاجر الأول : مئتا درهم .

المشتري الأول : وماذا تُحْسِنُ لقاء هذا المبلغ ؟ فأنتَ لا تُعطيها بمبلغ زهيد !

التاجر الأول : تُحسن الرقصَ والغناء .

المشتري الأول : هذا غيرُ كافٍ . أتُحسن الطبخَ ؟

تاجر الرقيق الأول : إن كنتَ تبحثُ عن طاهيةٍ فهي لا تُناسبُك ! الأصحّ أن تختار عجوزاً .

المشتري الأول : في هذه الحالة ، أنا في غنىً عنها . وأنا أتركها لكَ .

المشتري الثاني ، مقتربا من الشيخ والفتى الذي يجسّه ويقلّبه ويخاطب بائع الرقيق الثاني كم تطلبُ بهذين ؟

التاجر الثاني : مئة وثلاثين درهماً .

المشتري الثاني : مَنْ تريد أن يُعطيك هذا المبلغ ؟ اللعنةُ عليهما . فلستَ تبيعهما بالرخص . (يلمس بيده يد الشيخ وذراعه .) لم يَبْقَ في هذا قوىً ، أما ذاك فليس له بعدُ شيءٌ منها . إنه فتى صغير . هذا آخرُ سعرٍ عندك . (يداعب العبد الشاب) كنْ معقولاً لنتّفقَ . الصفقةُ تتوقّف عليك . ما قولُكَ؟

بائع الرقيق الثاني : هذا آخر سعرٍ عندي . قلتُ كلمتي . ولستُ أكاسر أبداً . إذا كنتَ لا تقبل به فاتركْهما لمشترٍ آخر .

المشتري الثاني : في هذه الحالة ، ليس هذان هما ما أَنْشُد . أنا في غنى عنهما . (يدنو من بطرس واليعازر وهو يتكلم ويخاطب بطرس بعجرفة ظاهرة .) وأنتَ ، ما العمل الذي يمكنك القيامُ به ؟ أأنت قويّ البنية ؟ أنا بحاجة إلى واحد قويٍّ ، شديد المراس ، مقاوم لجميع أنواع التعب . أأنت ذلك الرجل ؟

(يتجادل اليعازر وبطرس في هذه الأثناء ؛ ويُسْمَعَ اليعازر وهو يهمس بصوت خفيض .)

اليعازر : لا أستطيع ، سامحْني ؛ لا أستطيع ، هذا فوق طاقتي . بطرس ، وباللهجة نفسها ، يُجيبه موبّخاً : تذكّر قسمَكَ ! لقد أقسمتَ ! (ويجيب هو نفسه المشتري الثاني .)

أنا صالح لكل شيء ، وبوسعي أن أفعل كلّ شيء ، وأن أقوم بأشقّ الأعمال ، بحسب مشيئتك المطلقة . وفوق ذلك ، فأنا أعرف الكتابة والحساب .

المشتري الثاني ، مخاطباً اليعازر : كم تَطْلُبُ به ؟ ما سعرُك ؟

بطرس ، يهمس في أذن اليعازر : قلْ له : إنك تَنْوي بيعي بمئة درهم .

اليعازر ، مردداً بجهد : أبيعُه ، أتنازل عنه بمئة درهم ! مئة درهم !

المشهد — ٢ —

« يُرى مصريان يقتربان »

المصري الأول ، مخاطباً المشتري الثاني : لأيّ عمل تطلبُ رقيقاً .

المشتري : أطلب واحداً لعمل قاسٍ وشاق . أطلب رجلاً يتحمّل المصاعبَ فيُقَدم لي هذا الرقيق الذي يَعْرف القراءة والكتابة ؛ إن رجلاً من هذا النوع لا يمكن أن تكون له أية فائدة عندي ؛ هذا لا يُحسن احتمال عناء التعب .

المصري الأول : هذا يناسبني تماماً . هذا يلائمني . ففي مهنتي كبائع للأحجار الكريمة ، أنا بحاجة إلى رجلٍ يكون نظيفاً وأميناً في الوقت نفسه .

بطرس للمصري الأول : خُذْني ، يامعلم ، فستكون راضياً كلّ الرضا . خُذْني . اشترِني . سأخدمك كابنك ، كما يخدم الابنُ اباه .

المصري الأول لبطرس : أعجبتني . وسأشتريك . (مخاطباً اليعازر) . أعجبني هذا . قُلْ لي : ما ثمنُه ؟

اليعازر ، يُذعن ، مُضْنىً ؛ يَمدُّ يده ويَخْفض رأسه : مئة درهم . ليستً مئةُ الدرهم كثيرةً بمثل هذا الرجل . (ينهار اليعازر ويبكي وهو يُمْسك المال بيده :) لا أستطيع . هذا فوق طاقتي . لم أعد أحتملُ . ماذا فعلتُ ؟

بطرس ، مقبّلاً اليعازر : الوداع . لا تَنْسَ . وَزّعْ المالَ كله كما قلتُ لك : لا تَنْسَ : المال كله ! كله ! لقد أقسمتُ على ذلك !

اليعازر : ياسيّدي ، اغفرْ لعبدك المتواضع ! اغفرْ لخادمك ! اغفر لي ما فعلْتُ ! اغفرْ لي ، يامعلّم ! سأفعل بحسب مشيئتك. سأفعل كلّ شيء لتَرْتاحَ نفسُك . وداعاً ، يامعلّمي العزيز .

بطرس : اسكتْ ! كفى نحيباً . الوداع ، اليعازر ! الوداع !

(يبتعد بطرس ، يقتاده المصري ، بينما يظل اليعازر وحده مع ألمه ينتحبُ)

ستار

الفصل الخامس

المشهد — ١ —

« تجري الأحداث في مصر . البوابُ الأخرسُ يُدخل الطبيب والتجار من باب الدخول ، ويُفهمهم بالإشارات أن معلّمه سيأتي بعد قليل »

الطبيب : يريد أن يقول لي : إن معلّمه في البيت ، وأنه سيأتي ، ولذلك أشار إلينا بالدخول . هيّا ! ليس لنا إلا أن نَصبِرْ ! فَلْندخُلْ !

المشهد — ٢ —

« لا يلبث أن يصل المصريُّ الأول الذي يخاطب التّجار »

المصري الأول : يُفْرِحُني أن أراكم عندي . وأنا أستقبلكم بأعظم السرور . اجلسوا أرجوكم . لا بدّ أنكم تعبتُم ، وجُعتُم . ولن ترفضوا لي وجبةً سريعةً متواضعة ؟

تاجر : شكراً ، وتشرّفْنا . شكراً لضيافتك ! نشكركَ لفضلكَ علينا . صديقي ، وهو طبيب سوري ، وأنا نفسي وصلنا من سورية وجئنا لمسألةٍ عاجلةٍ في هذه المدينة . نحن سعداء جداً أن يكون مضيفنا بهذا اللطف ، ويُفرحنا أن نتعرّف بك.

المصري الأول ، ينادي ويصفق بيديه : ميثودا . ميثودا . ! تعال ، تعال بسرعة ! (يخاطب ضيوفه) تفضّلوا واجلسوا .

المشهد — ٣ —

« يدخل بطرس ، في لباس الرقيق الخادم ؛ وإذْ لمحَ الطبيب وعرفه يَرْتعب لحظةً ويشيح بوجهه . »

بطرس : ماهي أوامركَ ، يامعلّم ؟

المصري الأول : هاتِ لضيوفنا الأعزاء خبزاً ونبيذاً وعنباً . هم قادمون من سورية ، من بلدك ! أتَعرِفُهم ؟

بطرس ، مرتبكاً : لا ، لستُ أعرفُهم ، ولم أرهم قط .

(يتشاغل حولهم ثم يتوارى .)

الطبيب ، يخاطب المصريَّ الأول ، صاحب البيت : هل زرتَ سورية ؟ أتعرفُ مدينتنا ؟

المصري الأول : نعم ، أعرف سورية ؛ ذهبتُ إلى مدينتكم منذ نحو ثماني سنوات . نعم ، منذ نحو ثماني سنوات . والواقع أنني حصلتُ على هذا العبد الذي رأيتموه الساعة ، في الوقت الذي كنتُ فيه هناك .

الطبيب : إن هذا المثيرٌ ! مصادفة عجيبة ! حدثٌ غريب ! وهذا يتوافق مع شيء مُذهل حدث في مدينتنا ، في هذا التاريخ بالذات . نعم ، في هذا التاريخ بالتحديد ، حَدَثَ حدثٌ لم يستطعْ أحدٌ ، حتى الآن ، أن يفهمه أو يفسّره .

المصري الأول : أيمكن أن نَعْرِف هذا الحدث ؟ وفيمَ كان هذا

الحدثُ الذي ذكرتَه لي شديدَ الغرابة بحيث ترك مثل ذلك الانطباع في مدينتكم ، ارو لي هذه القضيّة . ماذا جرى ؟ إني أتحرّق شوقاً إلى سماعها .

الطبيب : القضيّة ، هذه هي : في ذلك الزمان ، كان بطرس الخبّاز أحد أغنى الناس في المدينة — في مدينتنا — وأحد كبار الأثرياء في سورية ، ومن أغنى أصحاب الأملاك والأراضي الشاسعة ، لكنه كان في الوقت نفسه أبخلَ رجل في البلاد . وفجأة آمن — آمن بحسب الشريعة المسيحية — واستولتْ عليه حماسةٌ عجيبة ، فأخذ يوزع أمواله على الفقراء . ولما عارضتْ أسرتُه هذا التبذير الذي لم تعرف سببه ، خططّ لبيع نفسه كما يُباع الرقيق وتوزيع ثمن شخصه على فقراء مدينته التي ولد فيها . ثم لم يسْمع أحدٌ عنه شيئاً ، لقد اختفى بسرعة غريبة .

التاجر : ولقد بحثتْ زوجتُه عنه ، لكن دون جدوى ؛ إذ لم يره أحدٌ . وهي تُرسل كلّ يوم الرسل للعثور عليه . لكن هذا الجهد يذهب سدى لإن جميع الرسل يعودون صفْر الأيادي . ولا يستطيع أحد أن يعلم ما الذي أصابه .

المصري الأول : يالها من قصة مُدهشة ! يالهذا الإخلاص الرفيع ! يالإنكار الذات ! وكم عمرُه ، ياترى ؟ وماهيئته ؟ قولوا لي تقريباً لكي أتمكّن من مساعدتكم . ارسموا لي صورتَه ، أعطوني أوصافَه ؛ وهكذا سيكون ذلك أسهلَ عليّ .

(عند ذلك يظهر بطرس حاملاً وجبةً خفيفةً تتألّف من

الخمر والفواكه .)

الطبيب : عمرُه في نحو الخمسين ، قامتُه متوسّطة ، وبدانته متوسطة أيضاً . وكان أقرب إلى النحافة منه إلى السُمنة . إنه يُشبه هذا العبد .

(يشير بيده إلى بطرس . في هذه اللحظة يُصاب بطرس بالذهول ، فيغطّي وجهه بيديه ويخرج على عجل .)

ما أوسَمَ وجهَ هذا العبد . لا شك أنك مسرور منه .

المصري الأول : ليس هذا عبداً عادياً . هذا العبدُ من ذهب ، بالنسبة إلي! إنه صديقٌ ، على الأصح . فمنذ أن جئتُ به إلى بيتي ، إلى خدمتي ، ازدهرت أعمالي ، ووفّقْتُ في كل شيء . وقد عَرَضْتُ عليه ، غير مرة ، أن أعتقه ، أن يفتدي نفسه، لكنه رفض . ولم أفهمْ لماذا ، لكني لم أسألْه قط عن ذلك . إنه عبدٌ لكني لا أعتبره كذلك . إنه خادم أمين . وهو أفضل من عَرَفْتُ وأشرفُ مَنْ عرفتُ . (ينادي .) ميثودا . ميثودا ! تعال ! تعال حتّى أقدّمك لهم .

(يعود بطرس ولا يجرؤ على أن يتقدّم .)

الطبيب ، يخاطب التاجر : انظرْ ، انظرْ إليه جيّداً ما أشبهه ببطرس الخبّاز .

(عندما يسمع بطرس هذه الكلمات واسمهُ ، وعندما يرى أنهم عرفوه ، يندفع إلى الباب)

الأخرس : كان قديساً ! كان قديساً ! رأيت ذلك بعيني . رأيت إشعاعَ النور الذهبي يلفّه كأنّه بهالةٍ عندما خرج إلى الشارع .

المصري الأول : هذه معجزة ! ها هو الأخرس يتكلمّ !

التاجر والطبيب ، يهتفان معاً : لقد عـرَفْناه ! هذا هو ! هذا هو بعينه ! لقد ذهب لكي لا يكرّمه أحدٌ .

ستار

الجثة الحية

دراما في ستة فصول واثنتي عشرة لوحة

١٩٠٤

فيدور فاسيليفيتش بروتا سوف
ليزا ، زوجته
ميشا ، ابنهما
آنا بافلوفنا راحمانوفا ، أم ليزا
ساشا ، أخت ليزا
آنا دميتريفنا كارينين
فيكتور ميخايلوفيتش كارينين ، ابنها
الأمير سيرج ابريسكوف
افريموف
ستاهوف
بوتكفيتش — أصدقاء فيديا
كوروتكوف
ايفان بيتروفيتش الكسندروف
بيتوشكوف
الغجري ، ايفان ماكاروفيتش
ناستازيا ايفانوفنا ، زوجته
ماشا ، ابنتهما
آرتمييف
قاضي التحقيق
بيتروشين : محام
غجر ، موسيقيون ، ضباط
محامون عامون في قصر العدل
خدم الخ

الفصل الأول

اللوحة الأولى

« شقّة بروتاسوف ، في بطرسبرج ، صالة طعام صغيرة » .

المشهد — ١ —

« آنا بافاوفنا ، المرضع » .

« آنا بافلوفنا ، سيّدة مسنّة ، على شيء من القوة ، بيضاء الشعر . تجلس وحدها وتتناول الشاي ؛ والسماور على الطاولة . تدخل المرضع وفي يدها غلاّية » .

المرضع : أيمكنني أن أطلب منكِ شيئاً من الماء للشاي ؟

آنابافلوفنا : طبعاً ، خذي . وكيف حالُ الطفل ؟

المرضع : هو مضطرب جداً ، من غير شك . ماذا تريدين ! عندما تُرضع الأمهات أطفالهن بأنفسهن ، فلا بدّ أن تكون الأمورُ هكذا دائماً . الأم لها همومها والطفلُ يُعاني منها . وكيف يكون الحايبُ سايماً إذا كانت السيدة لا تنامُ الليل ولا تكفّ عن البكاء ؟

أنا بافاوفنا : لكنْ ، ألم تغدُ أكثر هدوءاً الآن ؟

المرضع : أوه ! الهدوءُ بعيدٌ عنها ! منظرهُا يُرثى له ! منذ هينهة أخذت تبكي وهي تكتب .

المشهد — ٢ —

« المرأتان وساشا » .

ساشا ، داخلة ، للمرضع : ليزا تناديك .

المرضع : أنا ذاهبة إليها ، أنا ذاهبة إليها .

(تخرج)

آنا بافلوفنا : قالت لي المرضع : إن ليزا لا تكفّ عن البكاء . فمتى سنراها هادئةً من جديد ؟

ساشا : أنت غريبة ! يا ماما ! لقد انفصلتْ قبل حين عن زوجها ، والد ابنها . . . وتريدينها هادئة ؟ . . .

آنا بافلوفنا : ليس هذا ما عَنَيْتُه . . . لكن ما كان قد كان . . . وإذا كنتُ ، وأنا أمّها ، لم أوافق فقط أن تترك ابنتي زوجها ، بل كنت سعيدة أيضاً بذلك ، فلأنه يستحقّ ذلك الترك ويجب ألاّ تحزن ، بل على العكس يجب أن تفرح ، لأنها تخلّصت من مثل هذا الزوج السيّء ... من مثل هذا الكنز !

ساشا : لمَ تتكلّمين هكذا ، يا ماما ! أنتِ تعلمين أن هذه ليست الحقيقة . و « فيديا » ليس زوجاً سيئاً ، على العكس ! إنه رجلٌ مدهشٌ ، رائع بالرغم من جميع عيوبه .

آنا بافلوفنا : مدهشٌ ، بالفعل . فما أن يقع المالُ بين يديه ، سواء أكان ماله أم مال الآخرين . . .

ساشا : هو لم يمسّ مال الآخرين قط . . .

آنا بافلوفنا : لا فرق ! . . . مال امرأته ! . . .

ساشا : لكن بما أنه تنازل عن ثروته كلها لامرأته . . .

آنا بافلوفنا : كان مضطراً لأن يفعل ذلك ، لأنه كان يعلم أنه سيبدّدها كلها . . . كانت ستَضيعُ كلها من يديه .

ساشا : بدّدها أم لم يبدّدها . . . أقول إن المرأة لا يجب أن تنفصل عن زوجها ، ولا سيما عن زوج مثل فيديا .

آنا بافلوفنا : إذن ، برأيك أنه كان يجب الإنتظار حتى يبدّد كل ثروته ، وحتى يأتي إلى المنزل بعشيقاته الغجريات ؟

ساشا : ليس له عشيقات . . .

آنا بافلوفنا : من المؤلم أنكن جميعاً ، ما عداي ، قد خضعتنّ لسحره . أما أنا فإني أعرفه وهو يعلم ذلك . لو كنت مكان ليزا لتركته قبل سنة ، لا الآن .

ساشا : بأي ابتهاج تَحْكين عن ذلك ! . . .

آنا بافلوفنا : بابتهاج ؟ . . . أبداً ، صدّقيني . ومن الشاقّ على الأم أن ترى ابنتها مطلّقة . لكنْ أليس كل شيء أفضل من أن تتحطّم حياتُها الفتيةُ ؟ ولذلك أحمد الله على أن ليزا صمّمت في نهاية الأمر ، وأن كل شيء قد انتهى .

ساشا : لعل كل شيء لم يَنْتهِ بعد . . .

آنا بافلوفنا : بشرط أن يوافق على الطلاق !

ساشا : وما الفائدة من ذلك ؟

آنا بافلوفنا : ما الفائدة من ذلك ؟ الفائدة أنه سيكون من الممكن ، باعتبارها شابة ، أن تُبنيَ حياتَها من جديد .

ساشا : اوه ! ماما ، كيف يجوز لك أن تقولي هذا ؟ ياللفظاعة ! لا ، لن تحبّ ليزا رجلاً آخر !

آنا بافلوفنا : ولماذا ، بما أنها ستغدو حرّةً ؟ إن الكثير من طالبي الزواج ، ممّن هم أفضل ألف مرة من فيديا ، سيعتبرون أنفسهم سعداء بأن يتزوّجوا منها .

ساشا : اوه ! كيف يجوزُ لكِ أن تتكلّمي هكذا ، يا أمي ! أعلمُ أنك تفكّرين في فكتور كارينين .

آنا بافلوفنا : بالطبع أفكّر فيه . إنه يحب ليزا منذ عشر سنوات ، وهي تبادلُه هذا الحبَّ !

ساشا : نعم ، إنها تحبه ؛ لكن لا لتتزوّج منه . إنها صداقة الطفولة.

آنا بافلوفنا : نحن أدرى بهذا النوع من الصداقة . . . لكن إذا لم يكن بينهما عائق . . .

(تدخلِ الخادمة) .

المشهد — ٣ —

« آنا بافلوفنا ، ساشا ، الخادمة » .

آنا بافلوفنا : ما الأمر ؟

الخادمة : أرسلتْ السيدةُ مع أحد الخدم رسالة إلى فيكتور ، ميخايلوفيتش فبعث يقول : إنه سيأتي بعد لحظة .

آنا بافلوفنا ، مندهشة : عجباً ! في اللحظة ذاتها التي كنا نتحدث فيها عنه ! لا أعلم لمَ استدعتْه . (لساشا) . وأنتِ ، أتعلمين ذلك ؟

ساشا : أعلم ذلك . . . أو لا أعلمه .

آنا بافلوفنا : بينكما أسرارٌ دائماً ؟

ساشا : ليزا ستأتي ، وستُخْبرك .

آنا بافلوفنا ، هازّةً رأسها ، للخادمة : يجبُ تسخينُ السماور . خذيه ، يا دونياشا .

(تأخذ الخادمةُ السماور وتخرج) .

آنا بافلوفنا ، لساشا التي نهضت وتهيّأت للخروج : أرأيتِ ، الحقُّ معي ؛ أرسلتْ فوراً تستدعيه .

ساشا : نعم ، لكنْ لعل ذلك لشيءٍ آخر ؟

آنا بافلوفنا : لأي سبب إذن ؟

ساشا : لكنها لا تهتمّ الآن بكارينين أكثر مما تهتم بالمرضع العجوز .

آنا بافلوفنا : سنرى ؛ إني أعرفها ، فاذا كانت تطلب حضوره فذلك لأنها تَشْعر بالحاجة إلى العزاء .

ساشا : آه ! ماما ، ما أسوأ معرفتك بها إذا كنتِ تظنين . . .

آنا بافلوفنا : سترينْ . . . على كل حال أؤكّد لك أنني جدُّ مسرورة .

ساشا : حسناً ! لِننتظرْ

(تخرج وهي تدندن) .

آنا بافاوفنا ، وحدها ، هازّة رأسها : هذا حسنٌ . . . كل شيء يسير سيراً حسناً . نعم . . .

المشهد – ٥ –

« آنا بافلوفنا ، الخادمة ؛ ثم فيكتوركارينين » .

الخادمة ، داخلةً : وصَلَ فيكتور ميخايلوفيتش .

آنا بافلوفنا : حسناً ! أدْخليه ، وأخبري السيدة .

(تخرج الخادمة من الباب الذي يؤدّي إلى الشقّة) .

كارينين ، داخلاً ومحيّياً آنا بافاوفنا: أرسلتْ إلي اليزا فيتا اندريفنا بطاقة ترجوني فيها المجيء ؛ وقد سُررتُ كثيراً بذلك ، ولا سيّما أني كنتُ عازماً على المجيء هذا المساء . أرجو أن تكون صحة اليزافيتا اندريفنا حسنة !

آنا بافلوفنا : أجلْ ،صحتُها حسنة ، وستأتي على الفور ؛ لكن الطفل هو المتوجّع قليلا . (بحزن) اوه ! لقينا الكثير من المشقات . . . على كل حال أنت تعرف كل شيء ؟ .

كارينين : نعم ، كنتُ حاضراً أمس الأول ،عندما وصلتْ رسالتُه . . . لكن هل هذا نهائيٌّ حقا ؟

آنا بافلوفنا : نعم ، بالتأكيد ! فمن المؤلم جداً معاناة هذه الأحزان من جديد .

كارينين : تعرفين المثل : « يجب أن نقيس سبع مرات قبل أن نقطع ...» وخصوصاً هنا حيث يجب القطعُ في اللحم الحي .

آنا بافلوفنا : صحيح ، لكن بما أن وحدتهما كانت متفككةً منذ زمن بعيد، فقد حدثَ التمزّق بصورة طبيعية . فيديا ذاتُه يعترف أن من المستحيل عليه التراجع بعد أن جرى ما جرى .

كارينين : ولماذا ؟

آنا بافلوفنا : وكيف يمكنه ذلك بعد كل تلك النذالات ؟ لقد أقسم انه إن عاد إلى حياة التهتّك فهو مستعد للتنازل عن جميع حقوق الزوج ، ولإعادة الحرية الكاملة إلى زوجته .

كارينين : لكن ، ما معنى حُرية المرأة التي ارتبطت بالزواج ؟

آنا بافلوفنا : والطلاق ؟ . . . وَعَدَ بالطلاق ونحن نصرّ على أن يفي بوعده .

كارينين : نعم ، لكن اليزافيتا اندريفنا كانت تحبّه كثيراً .

آنا بافلوفنا : لكنّ حبها أبْلَتْهُ التجاربُ حتى لم يبق منه إلا القليل ! كان يَجْمع الرذائلَ كلها : السكرَ والغدر والخيانة . . . أيمكن لامرأةٍ أن تحبّ مثل هذا الزوج ؟ . . .

كارينين : الحبُ قادرٌ على كل شيء .

آنا بافلوفنا : تقول : الحب ! لكن هل يمكن للمرأة أن تحب كائناً ضعيفاً لا تشعر بأية ثقة فيه . إليكَ ماحَدَثَ : (تلقي بنظراتها نحو الباب وتسارع إلى الكلام حتى تتسنى لها روايةُ كل شيء) . كانت أعماله مترديّةً ، وكانت جميع ممتلكاته مرهونةً ، ولم يكن يملك فلساً واحداً ... ولا ما يدفع به الفوائد . حينئذٍ أرسل إليه عمتُه ألفي روبل

لدفع تلك الفوائد ، فاذا به يمضي بذلك المال ولا يعود .
وتظل زوجتُه مع ابنها المريض تنتظر . . . وتصل أخيراً
رسالةٌ يطلب فيها أن تُرْسَلَ إليه ثيابُه .

كارينين : نعم ، نعم ، أعلم . . .

(تدخل ليزا وساشا) .

المشهد — ٥ —

« آنا بافلوفنا ، ليزا ساشا ، كارينين » .

آنا بافلوفنا : ها إن فيكتور ميخايلوفيتش استجاب لدعوتك .

كارينين : نعم . . . وقد أوقفني بعضُهم قليلاً . . .
(يُحيّي الأختين) .

ليزا : أشكركَ . أنا بحاجة إلى خدمة كبيرة . ومنك وحدك
أستطيع أن أطلب ذلك .

كارينين : سأفعل كلَّ ما أستطيعُه .

ليزا : أنتَ على علمٍ بكل شيء ، أليس كذلك ؟

كارينين : نعم ، أعلمُ كل شيء .

آنا بافلوفنا : أنا أدعكما . (لساشا) . لندعْهما وحدهما .
(تخرج هي وساشا) .

المشهد — ٦ —

(ليزا ، كارينين » .

ليزا : نعم ، كتب إلي رسالةً يقول لي فيها : إنه يعتبر كل شيء

منتهياً . (تحبس دموعها بجهد) . وقد جُرِحتُ كثيراً ، كثيراً . . . وبالاختصار قبلتُ فسخ الزواج . . . وأجبته أني قبلت الانفصال .

كارينين : وأنتِ الآن نادمةٌ على ذلك ؟

ليزا : نعم ، أدركتُ أنني أسأتُ التصرف . كلُّ شيء ولا فسخ الزواج . على كل حال ، أتريد أن تسلّمه هذه الرسالة أرجوك ، يا فيكتور ، أعطِه هذه الكلمة . . . و ... قل لي . . . جِئْني به ! . . .

كارينين : مندهشاً : لكنْ كيف ؟

ليزا : اشرحْ له أني أتوسّل إليه أن ينسى كل شيء وأن يعود ! ... ستقول لي : تستطيعين أن توصلي الرسالة بالبريد ؛ لكنني أعرفُه . ستكون بادرتُه الأولى لطيفةً ، كما كانت دائماً ؛ ثم إنه سيتأثر وسيغيرّ رأيه ، وسيَعْدل عمّا عَزَمَ عليه في بداية الأمر .

كارينين : سأفعل كلّ ما يسعني فعلُه .

ليزا : أنت مندهش لأنني توجهتُ إليك من أجل » .

كارينين : لا ! لكن ، مع ذلك . . . الحقيقة . . . أني مندهش ...

ليزا : ألستَ حاقداً عليّ ؟

كارينين : وهل يمكن أن أحقد عليك من أجل أي شيء ؟

ليزا : إنما توجّهتُ إليك لأ نني أعرف حبّك له .

كارينين : له ولكِ . إن حبي كما تعلمين ، لا يبتغي إلا سعادتك ، لا

سعادتي . . . إذن ، أنا أشكركِ لأنكِ وثقْتِ بي . . وسأبذل وسعي .

ليزا : أعلمُ ذلك . وسأقول لكَ كلَّ شيءٍ . كنتُ اليوم عند آل أفريموف لكي أكتشف المكان الذي فيه زوجي . قيل لي إنه ذهب إلى بيوت الغجر . أنا خائفةٌ من هذا الجموح . . . فاذا لم نكبح من هذا الجموح في اللحظة المناسبة ضاعَ الرجلُ . . . ولذلك فان التدخل ضرورةٌ ملحةٌ . . . إذن ، قل لي ، سوف تذهب لإحضاره ، أليس كذلك ؟

كارينين : بكل تأكيد . . . وعلى الفور .

ليزا : امضِ وابحثْ عنه وقلْ له : إني نسيتُ كل شيء وإني أنتظره .

كارينين ، ينهض : لكنْ أين أبحثُ عنه !

ليزا : هو عند الغجر . . . لقد ذهبتُ إلى هناك . . . وصلتُ إلى المدخل ، وكدتُ أعطيه رسالتي ، لكني عزمْتُ ، بعد التفكير ، على أن أطلب منكَ هذه الخدمة الكبيرة . . . وهذا هو العنوان . احملْه على العودة ،وعلى نسيان الماضي . . . افعل هذا حبّاً به وصداقة لنا .

كارينين : سأفعل كل ما هو ممكن .

(يُحييّ ويخرج) .

المشهد — ٧ —

« ليزا وحدها ، ثم ساشا » .

ليزا : لا ، لا ، لا أقْدر على ذلك . . . لا . . . . أبداً . . .

ساشا، داخلةً : وبعدُ ، هل أرسلتِه ؟ (تومىء ليزا برأسها إيماءة الإيجاب) . وقَبلَ ؟

ليزا : طبعاً . . .

ساشا : ولمَ توجّهتِ إليه ؟ لستُ أفهم . . .

ليزا : وإلى مَنْ غيره كان يمكن أن أتوجّه ؟

ساشا : لكنكِ تعامين أنه مُغْرمٌ بكِ ؟

ليزا : لعله كان كذلك فيما مضى ، لكنه لم يعدْ كذلك ... ثم لم يكن لي خيارٌ . أتظنين أن فيديا سيعود ؟

ساشا : أنا واثقة من ذلك ، لأن . . .

المشهد — ٨ —

« ساشا ، ليزا ، آنا بافلوفنا ، تدخل آنا بافلوفنا فتسكت ساشا ».

آنا بافلوفنا : أين فيكتور ميخايلوفيتش ؟

ليزا : لقد ذهبَ .

آنا بافلوفنا : كيف ، ذهب ؟

ليزا : نعم ، طلبتُ منه خدمةً .

آنا بافلوفنا : ما تلك الخدمة ؟ . . . أهي سرٌ أيضاً ؟

ليزا : أبداً لا ! طلبتُ إليه أن يُسلّم بنفسه فيديا رسالتي .

آنا بافلوفنا : كنتُ أظن أن كل علاقة بينكما قطعتْ إلى الأبد . . .

ليزا : لا ، لا أستطيعُ الانفصالَ عنه . . .

آنا بافلوفنا : كيف ؟ كل شيء سيبدأ من جديد ؟

ليزا : لقد حاولتُ ، وبذلت مجهوداً ؛ لا أستطيع ؛ أنا مستعدة لقبول كل شيء بدلاً من أن أترك زوجي .

آنا بافلوفنا : تريدين إذن أن تُرْجعيه ؟

ليزا : نعم .

آنا بافلوفنا : تَنْوين أن تُدخلي منزلَكِ من جديد هذا الكائن الكريه ؟

ليزا : أرجوك ، يا ماما ، ألاّ تتكلّمي هكذا على زوجي .

آنا بافلوفنا : على مَنْ كان زوجكِ .

ليزا : لا ، على زوجي الآن .

آنا بافلوفنا : مبذّر وسكيرٌ وفاسقٌ ! ولا تستطيعين أن تنفصلي عنه ؟

ليزا : لماذا تعذّبينني ؟ يكفيني ما لقيتُ من الألم . . . كأنكِ تتعمّدين إزعاجي .

آنا بافلوفنا : آه ! أنا أعذّبكِ ؟ حسناً ! سأنصرف ؛ ليس بوسعي أن أكون شاهدةً على ذلك كله (تسكت ليزا) آه ! فهمتُ ! أنا أضايقك ، أنا زائدة عن اللزوم ؛ ولست أفهم شيئاً من طريقتكِ في التصرف ، ومن أساليبكِ اليوم . . . . فقبل قليل كنتِ عازمةً على فصم الزواج ، ثم إذا بكِ تَسْتقدمين رجلاً يحبّكِ . . .

ليزا : كلاّ ، أنت مخطئة . . .

آنا بافلوفنا : كيف ، كارينين طاب يدكِ ، وهو الذي أرسلته ليأتي بزوجكِ ! . . . ألكي تثيري غَيْرتَه ؟

ليزا : مهلاً ، يا ماما ، يا للفظاعة ! من فضلك ، دعيني !

آنا بافلوفنا : عظيم . اطردي أمك واستبدلي بها زوجك الفاسق . لكنني لن انتظر حتى يعود إلى هنا. الوداع . . . وليباركك الله ! تصرّفي كما يحلو لك .

(تخرج وهي تصفق الباب) .

ليزا ، متهالكة على مقعد : ما كان ينقصنا سوى هذا ! . . .

ساشا : لا قيمة لذلك ! سيُسَوّى كل شيء . . . لا بد أن ننجح في تهدئة خاطر ماما . . .

آنا بافلوفنا ، ماضية: دونياشا ! . . . حقائبي ! . . .

ساشا ، تابعة أمها ، موجهة إلى أختها : ماما ، اصغي إليّ . . .

اللوحة الثانية

غرفة عند الغجر

المشهد — ١ —

« فيديا ، افريموف ، موسيقي ، ضابط ، ماشا ، الغجر ، الجوقة تغني « كون افيلا »(١) . فيديا بالقميص ، مستلق على الأريكة ، على بطنه . افريموف يجلس على الكرسي مفرشحاً تجاه المغنّي الأول في الفرقة . يجلس ضابط قرب الطاولة التي وُضعت عليها زجاجات الشمبانيا والأقداح ، وعند الطاولة نفسها يجلس موسيقي ينقل موسيقا الغجر ويضع علامات موسيقية لها .

(١) كون افيلا : أغنية غجرية فرحة .

افريموف : فيديا ، هل نمتَ ؟

فيديا ، ينهض : لا تتكلم . . . والآن ، « لم يكنْ نجمةَ المساء (١) .

غجرية : مستحيلة ، يا فيدور فاسيليفيتش ؛ ستغني الآن ماشا وحدها .

فيديا : ليكنْ ! . . . وبعدها « لم يكن نجمة المساء » .

(يعود إلى الاضطجاع) .

الضابط ، للغجر : « ساعة الموت (٢) !

غجرية ، تخاطب افريموف : أتقبلُ ؟

افريموف : ليكنْ .

الضابط للموسيقي : ماذا ؟ هل نقلتَ اللحنَ ؟

الموسيقي : غريب ! ففي كل مرة تغيّر المفتاح الموسيقي وتغني بطريقة مختلفة . انظري قليلاً (يرى الغجرية ورقته فتنظر إليها) اهذا هو اللحن ؟

الغجرية : نعم ، هذا هو ! . . . ممتاز ! . . .

فيديا ، ناهضاً : لن يُفلح في تسجيل علامات هذه الموسيقا ! . . . أو إذا اتّفق له ونجح في نقل اللحن وأدخله في الاوبرا

---

(١) لم يكن نجمة المساء : أغنية غجرية باكية أولها : « اه لم يكن نجمة المساء ، ذلك الفجر المنطفىء » .

(٢) ساعة الموت : أغنية حب غجرية .

فسيفسدُ كل شيء . . . هيا يا ماشا ، تقدّمي ! . . . خذي قيثارتك لساعة الموت . . (ينهض ويجلس قبالتها ، ويحدّق فيها . ماشا تغني) . مرحى ! آه ! يا لماشا ! والآن : « لم يكن نجمة المساء » .

افريموف : لا ، انتظرْ قليلاً . . . أغنيتي أنا أولاً ، المأتميّة . . .

الضابط : ولمَ مأتميّة ؟

افريموف : لانني إذا متُ ، أتفهمُ ، إذا متّ حقاً وسُجِّيتُ في نعْشي . . . عند ذاك سيؤتى بالغجر ، أتفهم ، وسوف أطلب ذلك ، في الوصيّة ، من زوجتي . وفي اللحظة التي سيبدؤون فيها بغناء « شيل مي فيرستا »(١) فسوف أثِبُ من نعشي . . . أرأيت هذا ؟ (للموسيقي) . هذا ما يجب أن تنقله . حسناً ! هيّا ! (يغنّي الغجر) . ماذا ؟ كيف تجد هذا ؟ والآن : « يا فتياني الطيبين » ! .

(يغنيّ الغجر ، يخطو افريموف بعض الخطوات الراقصة ، يتابع الغجر غناءهم مبتسمين ويصفّقون بأيديهم على ايقاع الغناء . وحين تنتهي الأغنية يجلس افريموف) .

الغجر لأفريموف : مرحى ، يا ميخائيل اندريفيتش ! أنت غجري حقيقي .

فيديا : والآن ، « لم يكن نجمة المساء ! » (يأخذ الغجر في الغناء)

---

(١) شيل مي فيرستا : أغنية غجرية تبدأ على النحو التالي : سرت مائة فرسخ ، أنا الفتى الطيب فلم أجد السعادة في أي مكان .

آه ! ها هي ذي ! أليست عجيبة ؟ . . . إني أتساءل في أي عالم يجري كل ما يُعبّرُ عنه في هذه الأغنية ؟ وهل هذا جميل ! ولماذا يستطيعُ الإنسان أن يبلغ مثل هذه النَشْوةَ دون أن يتمكن من المحافظة عليها ؟

الموسيقي ، يكتب : نعم ، هذا طريفٌ جداً .

فيديا : لا ، ليس طريفاً ، هذا هو الحقيقي .

افريموف : حسناً ! استريحوا قليلاً الآن .

الموسيقي : هذا بسيط من حيث الموضوع ، لكن الايقاع . . .

فيديا ، يُشير بيده ، يدنو من ماشا ويجلس قربها : اوه ! ماشا ماشا ، كم تهزّين روحي !

ماشا : حسناً ! وماذا طلبتُ منك ؟

فيديا : ماذا ؟ . . . نقوداً ! . . . (يخرج حفنة من القطع النقدية ، من جيبه) . دونكِ النقود : خذي !

(تأخذ ماشا النقود وتدسها في داخل صدرها) .

فيديا ، للغجر : انظروا ! إنها تفتح السماءَ لي ، وهي لا تفكّر بغير الهدايا . . . . .. (لماشا) أنّى لك أن تفهمي ما تفعلين !

ماشا : ولمَ لا أفهمُ ؟ ليس ذلك صعباً : إذا أحببْتُ أحداً ، بالغتُ في إرضائه ، وغنّيتُ غناءً أفضل .

فيديا : أنتِ إذن ، تحبينني ؟

ماشا : لا شك .

فيليا : رائع ! (يقبّلها . يخرج الغجر رجالاً ونساءً ، تاركين الأزواج معا ، افريموف مع كلاتيا ، الضابط مع غاشا . يتابع الموسيقيّ كتابة موسيقاه ؛ يَنْقُرْ غجري على قيثارته موسيقا « الفالس ») . لكنني متزوج ، وأنتِ ، أنتِ من الفرقة . . .

ماشا : الفرقة ، لا شك ، أنا منها ، لكن قلبي لي . . . أُحبُّ مَنْ أشاء . . . وأكرهُ الذين لا يعجبونني .

فيليا : آه ! ما أسعدني ! وأنتِ هل أنتِ سعيدة ؟

ماشا : بالتأكيد ! فعندما يكون الزبُنُ لطفاء نتسلّى نحنُ أيضاً !

(يدخل غجري) .

الغجري ، لفيديا : هناك سيّدٌ يسأل عنك .

فيديا : مَنْ ذلك السيد ؟

الغجري : لا أعلم . . . سيدٌ حُسن الهيئة ، وعليه معطف من فرو السمور . . .

فيديا : سيّد عظيم الشأن ؟ أدْخِلْه !

افريموف : مَنْ تراه الذي يبحث عنكَ هنا ؟

فيديا : أنّى لي أن أعلم ! من تراه يهتم بي ؟

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم . كارينين الذي يدخل وينظر حوله » .

فيديا : عجباً ! فيكتور ! أنت الشخص الذي ما كنت أتوقّع

مجيئه . اخلعْ معطفك . ما الأبله السارة التي جاءت بك إلى هذا المكان ؟ حسناً ! اجلسْ ، هذه : « لم يكن نجمة المساء » .

كارينين : أحب أن أحدّثك على انفراد ..

فيديا : عمّ ؟

كارينين : أنا آت من عندك ؛ كلفتني زوجتك حمل هذه الرسالة ، ثم . . . .

فيديا ، يأخذ الرسالة ، يقرؤها ، يقطّب حاجبيه ، ثم يبتسم برقة : اسمعْ ، يا كارينين ، أتعرف ماذا تحتويه الرسالةُ ؟

كارينين : أعتقد أنني أعرف محتواها وأحب أن أقول لك بهذه المناسبة . . .

فيديا : طيب ! طيب ! لا تتصوّرْ أني سكران وأ لا أشعر بالمسؤولية . . . ربما كنتُ كذلك ، لكنني أرى بوضوح شديد في هذه القضية ! وما الذي كُلِّفتَ قولَه لي ؟

كارينين : طُلبَ إليّ أن ألقاك وأن أقول لك : إنها تنتظرك وترجوك أن تنسى كل شيء وأن تعود .

فيديا ، يُصغي دون أن يقول كلمة ناظراً إلى كارينين في وجهه : لستُ أُدرك مع ذلك لم كنتَ أنتَ . . .

كارينين : ارسلتْني اليزافينا اندريفنا لأبحث عنك وقالت لي . . .

فيديا : نعم .

كارينين : وأنا أتوسل إليك لا باسم زوجتك فقط بل باسمي أيضاً : تعال معي . . . . . .

فيديا : أنتَ خيرٌ مني ! سخيفٌ ما قلتُه . . . فليس من الصعب أن يكون المرءُ خيراً مني . . . أنا بائسٌ ! في حين أنك أنتَ نبيل ، نبيل القلب جداً . ولذلك اتخذتُ قراري . . . . ثم ليس هذا هو السبب الحقيقي . . . لا أريد ولا أستطيع ، بكل بساطة . . . ثمّ كيف أعود إلى هناك ؟

كارينين : تعال أولا إلى بيتي . . . وسأنبىءُ بعودتك القريبة ، وغداً . . .

فيديا : وماذا يكون في غدٍ ؟ ستظل أبداً كما هي وسأظلّ كما أنا (يتّجه إلى المائدة ويشرب) . عندما يؤلمك سنّك فالأفضل أن تقتلعه فوراً . كنتُ قد قلتُ لها : إنني إذا لم أفِ بوعدي مرة أخرى ، فينبغي أن تتركني ، ولم أفِ بوعدي . . . فانتهى كلُّ شيء !

كارينين : انتهى بالنسبة إليك ، لا بالنسبة إليها .

فيديا : كيف ، أنتَ الذي يحاول الإبقاءَ على وحدتنا ؟ (يهمّ كارينين بأن يقول شيئاً ، لكن ماشا تدنو في هذه اللحظة ، فيقطع عليه فيديا كلامه) . أتريد أن تستمع إلى ماشا وهي تغني « الكتّان » ؟

(يتجمّع الغجر)

ماشا ، بصوت خافت : يجب أن نحتفل به . ما اسمُه ؟

فيديا ، ضاحكاً : افعلي ! اسمه فيكتور ميخايلوفيتش . (الغجر يغنون ، كارينين يصغي وهو متضايق جداً ؛ ثم يسأل كم ينبغي أن يعطيها) . أعطها خمسة وعشرين روبلا . (يعطيها كارينين) . ممتاز . والآن ، « الكتان»(١) . (يغنّي الغجر ، ينظر فيديا إلى الجهات كلها) . عجباً . انسلّ كارينين ؟ ... اوه ! لا ردّه الله !

(يبتعد الغجر) .

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا كارينين » .

فيديا ، جالساً بجنب ماشا : أتعلمين من هو ؟

ماشا : سمعتُ اسمه .

فيديا : هذا رجلٌ ممتاز . جاء يبحث عني ليردّني إلى بيتي ، إلى زوجتي . إنها تُحبنّي على ما أنا فيه ، يا للجنون ! وانظري ما الذي فعلتُه بحبها !

ماشا : هذا سيّء ! يجب أن تعود إليها ، يجب أن تشفق عليها .

فيديا : أتظنين ذلك واجباً ؟ أنا لا أعتقد ذلك .

ماشا : بالتأكيد ! إذا كنتَ لا تحبّها فلا واجب عليك .

فيديا : كيف تعرفين ذلك ، أنتِ ؟

---

(١) الكتان : أغنية شعبية روسية مرحة .

ماشا : صدقني أنني أعرف .

فيليا : قبّليني إذن ! ... (مخلطباً الغجر) . « الكتان » مرةً أخرى ، وهذه آخر مرة ! (يغني الغجر) . آه ! ما أسعدني ! ما أحلى ألا يصحو الإنسان ! أن يموت هكذا !

ستار

الفصل الثاني

اللوحة الأولى

« في منزل ليزا بعد خمسة عشر يوماً .

المشهد — ١ —

« كارينين ، آنا بافلوفنا ، ساشا ، كارينين وآنا بافلوفنا جالسان في صالة الطعام . تدخل ساشا »

كارينين : ما الخبر ؟

ساشا : قال الطبيب : إن الخطر زال ، بشرط ألاّ يتبرد . . .

آنا بافلوفنا : لكن ليزا فاقدةٌ قواها .

ساشا ، **متابعةً** : وقال إنه مصاب بخناق كاذب غير مؤذ (مشيرة إلى السلة) . ما هذا ؟

آنا بافلوفنا : هذا عنب جاء به فيكتور .

كارينين : ألا تريدين أن تذوقيه ؟

ساشا : نعم ، ليزا تحبه كثيراً . لقد غدتْ عصبيةً جداً . . .

كارينين : يا عذراء ! . . . لم تنم طوال ليلتين ، ولم تأكل شيئا . . .

ساشا ، **بابتسامة** : لكنكَ ، أنت نفساك . . .

كارينين : اوه ! ! أنا « شيءٌ آخر !

(تدخل ليزا والطبيب) .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم . ليزا والطبيب » .

الطبيب ، بتعاظم : هذا كل شيء ! . . . غيّروا الكمادة كل نصف ساعة ، إنْ لم يكنْ نائماً . . . وإذا كان نائماً فلا تُزْعجوه . . . لاتدهنوا حنجرته . واحرصوا على أن تكون الحرارة مناسبة في الغرفة .

ليزا : وإذا أُصيبَ بالاختناق ، مرة أخرى ؟ . . .

الطبيب : غير ممكن ، غير ممكن إطلاقاً ! . . . لكنْ إنْ وقع ذلك فما عليكم إلا العودة إلى الرش وإلى المسحوق . . . مرة صباحاً ومرةً مساءً . سأكتبُ وَصفتي . . .

آنا بافلوفنا : دكتور ؟ . . . ألا تقبل منا فنجان شاي ؟

الطبيب : لا ! شكراً جزيلاً . فالمرضى يطلبونني .

(يجلس إلى الطاولة بينما تأتيه ساشا بورقة وريشة) .

ليزا : ليس هذا خناقاً إذن ، بالتأكيد ؟

الطبيب : اوه ! بكل تأكيد لا .

كارينين ، لليزا : والآن ، خذي قليلاً من الشاي ، أو الأفضل أن تستريحي بسرعة . انظري قليلاً إلى وجهك .

ليزا : أنا الآن مرتاحة — وذلك بفضلك يا صديقي ، يا صديقي الحقيقي . (تشدّ على يده ، تنهض ساشا وتبتعد وهي متكدّرة) كم أشكركَ !

كارينين : علامَ ، يا إلهي ! . . . لستُ أستحقُّ الشكر ! . . .

ليزا : الذي بقي ليلتين كاملتين دون أن ينام ؟ الذي جاء بهذا الطبيب العظيم من الكلّية ؟

كارينين : أحسنُ مكافأة لي أنّ ميشا نجا من الخطر . . . . وهي ، على الخصوص ، طيبتُك معي .

(يشدّ على يدها من جديد ويضحك حين يرى أنها تركتْ في يده شيئاً من المال) .

ليزا ، مبتسمة : آه ! هذه أجرة الطبيب . . . يضايقني دائماً أن أدفع للطبيب أجرته .

كارينين : ويضايقني أنا أيضاً . . .

آنا بافلوفنا : ما الموضوع ؟ ماذا يضايقكما ؟

ليزا : أن أعطي الطبيبَ أجرته ؛ إنه يُنقذ لي مَنْ هو أغلى من حياتي ، وأعطيه في مقابل ذلك بعض القطع النقدية ؛ هذا يضايقني .

آنا بافلوفنا : هاتي ، سأعطيه أنا أجرته . . . أنا أُحسنُ القيام بهذه المهمة . . . الأمر جدّ بسيط !

الطبيب ، ينهض ويُناولها وصفته : هذا المسحوق إذن في ملعقة من الماء المغلي ، وحرّكيه جيداً و . . .

(يتابع كلامه ، كارينين قرب الطاولة يشرب الشاي . تنزل آنا بافلوفنا وساشا إلى مقدّمة المسرح) .

ساشا : أشمئزُّ عندما أراهما معاً ! كأنها مغرمةٌ به !

آنا بافلوفنا : أما أنا فلا يدهشني ذلك .

ساشا : هذا مُقرفٌ ! . . .

المشهد — ٣ —

« ليزا ، كارنيين ، ساشا » .

ليزا : يا لمجنوني المسكين ! . . . ما ألطفه ! . . . ما ان تحسّن قليلاً حتى عاد إلى الابتسام والتثاؤب . . . سأعود إليه . . . سأترككما على مضض .

كارينين : لكن خذي على الأقل فنجان شاي ؛ كُلي شيئاً .

ليزا : أوه ! لست بحاجة إلى شيء الآن ، أحسّ أنني أعود إلى الحياة ، بعد كل ذلك القلق . . .

كارينين : أنتِ تَرَيْن الحالةَ العصبية التي وصلتِ إليها ! . . .

ليزا : لا ، أنا سعيدة ! . . . أتريد أن ترى المريض الصغير ؟

كارينين : بالتأكيد . . .

ليزا : اتبعْني إذن .

(يخرجان) .

المشهد — ٤ —

« آنا بافلوفنا ، ساشا ؛ ثم ليزا وكارينين » .

آنا بافلوفنا ، عائدةً إلى الغرفة ، ومخاطبةً ساشا : لم هذا التجهّم ؟ لقد دسست المال برفق في يده فأخذه دون تردد . . .

ساشا : هذا مشين ! . . . أخذَتْه إلى غرفة الطفل كأنه زوجها أو خطيبها .

آنا بافلوفنا : ماذا يضيرُك من هذا ؟ لم تَظْهرين بهذا المظهر ؟ لعلك تنوين الزواج منه ؟

ساشا : أنا ، أتزوج هذا الطويل ! لم يَخْطرْ لي ذلك ببال ! أتزوّج من أي شخصٍ كان ولا أتزوجه ! لكنّ الذي يثير اشمئزازي هو أن أراها تتعلق بغريب هذا التعلّقَ بعد حبّها لفيديا .

آنا بافلوفنا : غريب ؟ . . . لكنه صديق الطفولة !

ساشا : إن نظراتهما ، والبسمات التي يتبادلانها تشيران بما يكفي إلى أن كلاّ منهما يعشق الآخر . . .

آنا بافلوفنا : وما المدهشُ في ذلك ؟ هذا رجل أدّى لها خدمات كبيرة أثناء مرض ابنها ، وشاركها همومها ، وأبدى عطفه تجاهها . . . وهي ممتنّة له ؛ ثمّ لماذا لا تحب فيكتور ، لماذا لا تتزوّجه ؟

ساشا : لكن ذلك سيكون فظيعاً ! . . . كريهاً ، كريهاً حقاً !

(يعود كارينين وليزا . يُحيّي كارينين المرأتين ويودّع بصمت . تنصرف ساشا وقد استولى عليها الغضبُ الشديد) .

ليزا ، لأمها : لكنْ ، ما بها ؟

آنا بافلوفنا : لا أدري .

(ليزا تتنهّد تنهداً عميقاً) .

اللوحة الثانية

مكتب عمل أفريموف .

المشهد — ١ —

« أفريموف ، فيديا ، ستاهوف ، عظيم اللحية ؛ بوتكيفيتش ، أمرد ، كوروتكوف ، فضولي » .

كوروتكوف : وأنا أقول لكم إنه لن يكون مُجلّياً . . . أما «حُسناء الغابة(١) » فهي فريدةٌ في أوروبا ! أراهن ! . .

ستاهوف : دَعْنا ، يا شيخ . أنت تعلم أن لاأحد يُصدّقك ، ولا أحد يراهنك . . .

كوروتكوف : أكرّرُ عليك ما قلتُه : إن « بارود » لن يكون مجلّياً !

افريموف : أما آن لكم أن تنتهوا من نقاشكم ! هيا ، اتّفقوا وخذوا رأي فيديا ؛ يمكننا أن نثق به .

فيديا : الجوادان جيّدان ؛ كل شيء يتوقّف على الفارس .

ستاهوف : « غوسيف » نذلٌ . تجب مراقبتُه .

كوروتكوف ، بصوت عالٍ : لا !

فيديا : حسناً ، سأوفّق بينكم . مَنْ الذي ربح السباق ؟

كوروتكوف : نعم ، ربحه مصادفة . لكنْ لا خير فيه . ولو لم يُصَبْ « كراكوس » بالمرض . . . لرأيتَ .

(يُريه الخادم الذي دَخَلَ) .

افريموف : ما الأمر ؟

---

(١) « حسناء الغابة » النائمة : جواد من جياد السباق .

الخادم : جاءت سيدة تطلب رؤية فيدور فاسيليفيتش .

افريموف : مَنْ تلك السيّدة ؟

الخادم : لا أدري ، يا سيدي ، لكنها سيدة حقيقية !

افريموف : فيديا ، ها هنا سيدة تسأل عنكَ .

فيديا ، خائفاً : مَنْ هي ؟

افريموف : لا أدري .

الخادم : هل ينبغي أن أدْخلها ؟

فيديا : لا ، سأذهب لأراها .

(يخرج)

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا فيديا » .

كوروتكوف : مَنْ هذه التي تلاحقُه ؟ لعلها ماشا الصغيرة ؟

ستاهوف : مَنْ ماشا الصغيرة هذه ؟

كوروتكوف : الغجرية ماشا ؛ جُنّتْ به ؛ إنها مغرمةٌ به كالهرّة !

ستاهوف : وهي فتاة جميلة تغني غناءً رائعاً . . .

افريموف : أعجوبة حقيقية ! . . . تاتيوشا وهي ! . . . غنّتا أمس مع « بيير » !

ستاهوف : يا له من محظوظ ! . . .

أفريموف : لأن النساء يحببنه ؟ باه ! . . .

كوروتكوف : أنا ، أكره الغجريات . . ليس فيهنّ أناقة !

بوتكيفيتش : آه ! لا تقلْ هذا !

كوروتكوف : أنا ، لكني أتنازل عنهنّ جميعا من أجل فرنسية واحدة . . .

افريموف : أوه ! لكنك أنت متذوّق للجمال مشهور ! . . . سأرى مَنْ هي . . .

ستاهوف ، لأفريموف الخارج : إن كانت ماشا فجىءْ بها لتغنّي .

المشهد – ٣ –

« **الأشخاص أنفسهم** ، ماعدا **أفريموف** » .

ستاهوف : اوه ! الغجريات في أيامنا غير اللواتي كنّ في الماضي ! كانت هناك قديماً واحدةٌ . . . تانيا . . . اوه !

بوتكيفيتش : أنا أتصور أن الأشياء ما تزال كما هي .

ستاهوف : كلا ، ليست الأشياء نفسها . فبدلاً من الأغاني القديمة ، هنّ لا يغنّين سوى الأغاني العاطفية المبتذلة .

بوتكيفيتش : اوه ! ما تزال هناك أغان عاطفية جميلة جداً .

كوروتكوف : أتريد أن تراهن ؟ . . . سأدعوهن للغناء أمامك ولن يمكنك أن تقول إن كان ما يغنّينه أغنية عاطفية أم أغنية عادية !

ستاهوف : آه ! من كوروتكوف هذا ، لا بد له من أن يراهن دائماً !

افريموف ، عائداً : يا سادة ، ليست هذه ماشا ، وبما أنه لايمكن الاستقبال إلا في هذه الغرفة ، فسوف ننتقل إلى صالة « البليار » .

(يخرجون . يدخل فيديا وساشا) .

المشهد — ٤ —

« فيديا ، ساشا »

ساشا : فيديا ، اغفرْ لي إن كانت خطوتي كريهة عليك . . . (خجلة) اصغ ِ إلي ، بجاه الله عليك . (يتهدّج صوتها ، يسير فيديا ذهاباً وإياباً في الغرفة ، تجلس ساشا وتنظر إليه) . فيديا عُدْ إلى بيتك !

فيديا : اصغي ، يا ساشا ، إني أفهمك جيداً . لو كنتُ مكانَك ِ ، يا ولدي العزيز ، لتصرّفتُ كما تتصرفين ، ولبذلت وسعي كي أُصْلح كل شيء . لكنْ لوكنت ِ أنت ِ مكاني ، بقلبك الحسّاس ، مهما يكن الافتراض غريباً ، لو كنت ِ مكاني لتصرّفت ِ كما تصرّفتُ ، ولذهبت ِ حتى لا تكوني عقبة في وجه حياة الآخرين .

ساشا : عقبة ! لكن هل يستطيع ليزا أن تحيا دونك ؟

فيديا : نعم ، يا عزيزتي ساشا ؛ نعم ، يا صغيرتي ! هي تستطيع ذلك ... وستكون أَسْعدَ ، أسعد بكثير ، ممّا لو كانت معي !

ساشا : لا ، أبداً !

فيديا : آه ! تتصوّرين ذلك ! . . . (يأخذ يدها) . على أن أشدّ الأمور خطورةً ، فيما عدا ذلك ، هو أنني لا أستطيع . تعامين أنه يمكننا أن نطوي قطعةً من الكرتون إلى هذه الجهة ثم إلى تلك ؛ تطوينها مائة مرة وهي تقاوم ؛ لكن في المرة الواحدة بعد المائة ستُذعن وستنقطع إلى اثنتين ؛ هذه بالضبط هي الحالة بيني وبين ليزا . فمن المؤلم لي أعظم الألم أن أنظر إليها في عينيها ، وكذلك هي أن تنظر في عيني ، صدّقيني . . .

ساشا : كلا ! كلا !

فيديا : تقولين لا وأنت تعلمين مع ذلك أني على حق !

ساشا : لا أستطيع أن أحكم إلا بحسب نفسي ! لو كنتُ مكانَها ، وأَحبَبْتني كما تحبها الآن . . . اوه ! سيكون ذلك فظيعاً ! . . . فظيعاً بالنسبة إليّ ! . . .

فيديا : نعم ، بالنسبة اليك ! . . .

(صمت ثقيل . كلاهما مضطرب) .

ساشا : إذن ستبقى الأمور كما هي الآن !

فيديا : لا بدّ من ذلك .

ساشا : فيديا ، عُدْ إلى بيتك !

فيديا : شكراً لك ، يا ساشا الطيبة . سأحتفظ أبداً بذكرى عزيزة عنك ، وداعاً ، يا عزيزتي الصغيرة ! دعيني أقبلك !

(يقبّلها في جبينها) .

ساشا ، متأثرة جداً : لا ، لن أقول وداعاً ! لا أصدّق . . . لا أستطيع أن أصدق . . .. يافيديا !

فيديا : حسناً ! اصغي إذن ، لكنْ أقسمي لي ألا تقولي لأحدٍ ما سأقوله لك . أتقسمين ؟

ساشا : اوه ! بالتأكيد !

فيديا : اصغي ، يا ساشا . الحقُّ أنني أنا ، زوجها ووالد ابنها ، لا مكان لي في بيتي . لا ، لا ، لا تقاطعيني . تظنين أنني أغار اوه ! لا إطلاقاً ! فلاحقَّ لي في ذلك أولاً . . . ثم إني لا أملك المبرّرات التي تجعلني أغار . . . فيكتور كارينين هو صديقُها القديم — وهو صديقي أيضاً . وهو يحبّها . . . وهي تبادله الحبَّ . . .

ساشا : لا ! . . .

فيديا : بلى ، هي تحبه ، لكن كما تحب الزوجةُ الشريفةُ والفاضلة التي تعتقد أنْ ليس من حقّها أن تحبّ أحداً غير زوجها . ومع ذلك فالواقع أنها تحبه وستحبّه كـلّياً ، عندما تزول هذه العقبةُ (يشير إلى نفسه) . ... وسوف أُزيلُ هذه العقبة ، يا ساشا ، حينئذٍ يصبحان سعيدين !

(يتهدّج صوتُه) .

ساشا : فيديا ، لا تقلْ هذا !

فيديا : أنتِ تعلمين أن ما أقوله صحيح ! . . . وأنا سأكون سعيداً لسعادتهما . هذا أحسنُ ما يمكن أن أفعله . لن أعود

إلى بيتي ؛ وأنا أعيد إليهما حريتهما . . . قولي لهما ذلك ... ولا تقولي لي شيئاً ، لا تقولي لي شيئاً ! ووداعاً !

(يقبّل ساشا في جبينها ويفتح لها الباب) .

ساشا : أنا مُعْجَبَةٌ بِكَ ، فيديا .

فيديا : وداعاً ، وداعاً ، يا صغيرتي . (وحده) نعم هذا حسن ، هذا جديرٌ بالإعجاب ! (يدق الجرس ؛ للخادم الذي دخل) . اذهب وادعُ السيد ، أرجوك ... (بينه وبين نفسه) . نعم ، لا بدّ من ذلك .

(يدخل افريموف) .

المشهد — ٥ —

« افريموف ، فيديا » .

فيديا : هيّا نلحق بالآخرين .

افريموف : كيف سُوّيت الأمور ؟

فيديا : كأحسن ماتُسوّى ! (يدندن) . « أقسمتُ لي ، قالت لي(١) . . . أين الآخرون ؟

افريموف : هم هنا ؛ في صالة « البليار » .

فيديا : حسن جداً ! . . . فلنكنْ ، نحن أيضاً ، سعداء .

ستار

---

(١) أقسمت لي ، قالت لي أغنية عاطفية روسية .

الفصل الثالث

اللوحة الأولى

مكتب آنا دميتويفنا ؛ ترفٌ فخم رفيع الذوق ؛ التذكارات في كل جانب .

المشهد – ١ –

« آنا دميتريفنا ، خادم ؛ ثم الأمير ابريسكوف . آنا دميتّريفنا كارينين ، أم فيكتور ، سيدة كبيرة بلغت الخمسين ، لكنها تتصابى. توشّي حديثها بالعبارات الفرنسية . الأمير ابريسكوف ، ابن ستين أنيق ، عزب ، له شارب فقط ، نموذج الضابط القديم القوي الشخصية ، حزين الوجه على نحوٍ غير واضح . عند رفع الستار تكون آنا دميتّريفنا وحدها ، تكتب رسالة . يدخل الخادم .

الخادم ، مُعلناً : الأمير سيرج دميترتريفتش .

آنا دميتريفنا : أدخِلْه .

(تنظر إلى المرآة على عجل) .

الأمير ، داخلاً : أرجو ألا أكون قد خرقتُ الأوامر ؟ . . .

(يلثم يد آنا دميتّريفنا) .

آنا دميتريفنا : أنت تعلم أنك تأتي دائماً على الرحب والسعة ! . . .

ولا سيّما اليوم ! هل تلقيتَ بطاقتي ؟

الأمير : نعم ، تلقيّتها ، وها أنا ذا .

آنا دميتريفنا : اوه ! يا صديقي . أخذ اليأسُ ينتابني . **هو مسحورٌ ، مسحورٌ حقاً !** . . . إنه يركب رأسه ويعاند كما لم يفعل من قبل ، ويقابلني بلا مبالاةٍ وقسوةٍ لا مثيل لهما . لا يكاد يُعْرَفُ بعد أن تركتْ تلك المرأةُ زوجها ! . .

الأمير : ما الذي يجري ؟ أين وصلت الأمورُ ؟

آنا دميتريفنا : إنه يُصرّ على الزواج بها مهما كلّف الثمن . .

الأمير : طيّب ، والزوج ؟ . . .

آنا دميتريفنا : وافقَ على الطلاق .

الأمير : عجباً !

آنا دميتريفنا : فيكتور أيقبل هذا ! كل هذا الوحل . هؤلاء المحامون، وكل تلك المحاضر . . . **كل ذلك مُقْرِفٌ** ، لكنه لا يأنف منه ! . . . لم أعد أفهمُه ، مع نعومته ... وخجله ...

الأمير : ما الحيلة ، إنه يحبها ! تعلمين أن الحب . . .

آنا دميتريفنا : لكن الحبّ في زماننا كان صافياً ، كان الحبّ ـ الصداقةَ ، وكانت العاطفة تستمرّ طوال الحياة . . . هذا هو الحب الذي أفهمه ، والذي أُعجَبُ به . . .

الأمير : الجيلُ الجديد لا يَقْنع بمثل هذه العلاقات المثالية ! لا يكفيه **امتلاك الروح** . ولا سلطان لنا عليه ! . . . لكن

ماذ سيجري لفيكتور ؟

آنا دميتريفنا : اوه ! لا تكلّمني عنه ! أكرّر لكَ ، إنه سحرُ . . . تغيّرَ كلّياً . أتعلمُ أني ذهبتُ إلى بيتهم . . . لفَرْط ما رجاني . ذهبتُ إلى هناك فلم أجدْ أحداً . وتركتُ بطاقتي . ثم بعثتْ تسأل إن كنت أريد أن . أستقبلها . وفي هذا اليوم بالذات (تنظر إلى ساعتها) . في الساعة الثانية ، أي في مدى بضع ثوانٍ ، ستكون هنا . وعدتُ فيكتور بأن أستقبلها . . . أنتَ تقدّر حالتي النفسية . . . أنا مشوّشة جدا ... ولذلك رجوتك ، على عادتي ، أن تحضر . أنا بحاجة إلى مساعدتك .

الأمير : شكراً . . .

آنا دميتريفنا : أنت تعلم جيداً أن مصير فيكتور بأكمله يتوقّف على هذه المقابلة . ينبغي لي أن أرفض الموافقة . . . لكن هل استطيع ذلك ؟ . . .

الأمير : ألا تعرفينها على الإطلاق ؟ . . .

آنا دميتريفنا : لم أرها قط . . . لكنني أخشاها ! الزوجة الرقيقة القلب لا تترك زوجها على هذا النحو ، ولا سيّما زوجها البالغ الطيبة . إنه صديق فيكتور وكان يزورنا كثيراً . وكان لطيفاً جداً . لكن مهما تكن الأخطاء التي أخطأها نحوها فلا ينبغي للزوجة أن تهجر زوجها . يجب أن تحمل صليبها حتى النهاية ، ثم إن مالم أفهمه هو أن يقبل فيكتور ، مع عواطفه الدينية ، بالزواج من امرأة مطلّقة ، فكم من

مرة ناقش « سبيتزين » مؤخراً أمامي ، وذهب إلى أن الطلاق لا يمكن أن يتوافق مع مذهب المسيح الحقيقي ! وهو يقبل به اليوم لنفسه . **وإذا كانت قد استطاعتْ أن تفتنه إلى هذا الحد . . .** فأنا أخشاها . . . لكني دعوتُك أطابُ مشورتك ولم أكفَّ عن الكلام . **قلْ** لي : ما رأيك ؟ ... ماذا ينبغي أن أفعل ؟ ... هل كلّمتَ فيكتور ؟

الأمير : نعم ، تحدّثنا . أنا واثقٌ من أنه يحبّها . وهو خاضعٌ لهذا الحب . هذا رجل يُسئمُ نفسَه ببطء ولكنْ بأكملها . وما دَخَلَ قلبَه لا يخرجُ منه ! لن يحبّ امرأةً أخرى ، ودونها لا يستطيع أن يكون سعيداً .

آنا دميتريفنا : تصوّرْ أن ماريا كازانتزيفا كانت ستتزوّجه بفرح ! ... يا لها من فتاة فاتنة ! وكم تحبّه !

الأمير : **هذا كمَنْ ينسى ضيفه.** لا فائدة من التفكير في ذلك . الأفضل ، برأيي ، أن تُسامحي ، بل أن تساعديه على الزواج منها .

آنا دميتريفنا : الزواج من مطلّقة ! ... لكي يلتقي زوج امرأته الأول ؟ إنك تتكلّم على ذلك بهدوء مدهش . هل يمكن لامرأةٍ ، لأمٍّ ، أن تقبل مثل هذا الزواج لابنها الوحيد ؟ وأي ابن؟

الأمير : ما حيلتنا، يا صديقتي المسكينة ! بالطبع ، كان أجْلَبَ للسرور لو تزوج فتاةً تعرفينها وتحبّينها . . . لكن ، بما أن ذلك مستحيل ... لا ينبغي أن يعطي اسمه لغجرية ... أو لامرأة لايُعْرَفُ أصلها . إن ليزا رحما نوفا لطيفة جداً،

وأنا أعرفها ، بفضل ابنة أخي « نياي » ؛ هي وديعة ، طيّبةٌ ، ودود ، فاضلة .

آنا دميتريفنا : فاضلة ! . . . زوجةٌ تترك زوجها ؟ . . .

الأمير : آه ! تغيّرت عليّ ! كيف تُصبحين قاسيةً فجأة وأنت الشديدة التسامح ! إن زوجها من هذه الكائنات التي يُقال عنها : هي عدوّةُ نفسها ؛ وهو عدو امرأته فوق ذلك . إنه رجل ضعيف ، منحطّ ، سكيّر . ولقد بذّر ثروته وثروة امرأته ، مع أن لها ولداً ! كيف تدينين امرأة هجرتْ مثلَ هذا الزوج ! ثم إنه هو الذي هجرها لا هي ...

آنا دميتريفنا : اوه ! أيّ وحل ، أيّ وحل، ولا بد لي من أن أتخبطَ فيه !

الأمير : وأين دينُك ؟ . . .

آنا دميتريفنا : نعم ، نعم ، المغفرة ! « كما نغفر لمن أساءَ إلينا » . **لكن هذا أقوى مني ! . . .**

الأمير : كيف يمكنها أن تعيش مع مثل هذا الرجل ؟ حتى لو لم تحبّ آخر ، عليها أن تهجره ؛ كان ينبغي أن تفعل ذلك من أجل ابنها . . . بل إن زوجها ذاته ، وهو رجلٌ ذكيٌّ وخيِّر عندما يكون عقلُه معه ، قد نصحها بذلك .

(يدخل فيكتور . يلثم يد أمه ويُحيّي الأمير) .

المشهد — ٢ —

« آنا دميتريفنا ، الأمير ، فيكتور »

فيكتور : ماما ، جئتُ على عجلٍ ، وليس عندي سوى كلمة واحدة أقولها لكِ . ستأتي اليزافيتا اندريفنا بعد هنيهة ، ولستِ أطلبُ منكِ إلا شيئاً واحداً ، أتوسّل إليك : إذا كنتِ مستمرةً في عدم الموافقة على زواجي . . .

آنا دميتريفنا : تقاطعه : من دون شك أنا مستمرةٌ في عدم الموافقة عليه ! . . .

فيكتور ، متجهّما : أرجوكِ إذن : لا تحدّثيها عن رفضكِ . . . لا تقولي شيئاً يتعذّر إصلاحُه .

آنا دميتريفنا : أعتقد أننا لن نتحدث عن ذلك ! . . . ومن المؤكد أنني لن أبدأ هذا الموضوع .

فيكتور : ولن تبدأ هي به ؟ أحببتُ فقط أن تتعرّفي عليها .

آنا دميتريفنا : هناك شيءٌ لم أفْهمْه . . . كيف توفّق بين رغبتك في الزواج من السيدة بروتا سوفا ، وزوجُها حيٌّ ، وبين آرائك الدينية التي تَحمْلك على التأكيد بأن الطلاق مناقضٌ للانجيل ؟

فيكتور : ماما ، ما أقسى هذا منكِ ! أنحن معصومون ؟ . . . ألا يقع لنا أن نحيدَ عن مبادئنا عندما ندخل في نزاعٍ مع صعوبات الحياة ؟ لمَ كل هذه القسوة ، يا أمي ؟

آنا دميتريفنا : لأنني أحبك ، لأنني أبْغي سعادتَك . . .

فيكتور ، يلتفت إلى الأمير : سيرج دميتريفيتش !

الأمير : لا شك أنك تبغين سعادته ! . . . لكنْ ، أنستطيع نحن ، بشعرنا الشائب ، أن نفهم الشباب ؟ . . . ولا سيما التي لها أفكارٌ محدّدةٌ عن سعادة ابنها ! كل النساء هكذا .

آنا دميتريفنا : نعم ، نعم ، هذا أمرٌ مفروغ منه . . . أنتما ضدي ...
افعلْ ما تشاء ، يا فيكتور ، فان لك الحقّ في ذلك . . .
أنت بالغ . . . لكن اعلمْ أنك ستقتلني .

فيكتور : تغيّرتِ تماماً ! . . . هذا أكثر من قسوة . . .

الأمير لفيكتور : كفى ، يا فيكتور . أمك أقسى دائماً في أقوالها منها في أفعالها .

آنا دميتريفنا : سأقول لها ما أفكر فيه وما أحسه . سأقول لها ذلك دون أن أجرحها .

الأمير : لا أرتابُ في ذلك .

(يدخل الخادم) .

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، الخادم »

الأمير : ها هي ذي .

فيكتور : سأنصرف .

الخادم : اليزافيتا اندريفنا بروتا سوفا .

فيكتور : سأنصرف ، ماما . . . أتوسل إليكِ مرةً أخرى .

(يخرج ، ينهض الأمير) .

آنادميتريفنا : أدخلْها . . . (للأمير) . لا ، ابقَ .

الأمير : كنتُ أظن أنكما سترتاحان أكثر لو كنتما على انفراد .

آنا دميتريفنا : لا ، قلت لكَ لا . أنا أخشاها . (تضطرب) . يُضايقني

أن أنفرد بها . فاذا شعرت بالحاجة إلى الانفراد بها أومأتُ إليك . . . هذا رهنٌ بالظروف . سأومىء إليك هكذا .

(تشير إشارة) .

الأمير : سأفهم . . . أنا واثق من أنها ستُعجبك ... لكنْ كوني عادلةً على الخصوص . . .

آنا دميتريفنا : كيف تتّحدون جميعاً ضدي !

(تدخل ليزا بلباس المدينة ، وبالقبّعة) .

المشهد — ٤ —

« آنا دميتريفنا ، الأمير ، ليزا » .

آنا دميتريفنا ، ناهضةً : أسفْتُ كثيراً لأني لم أجدكِ في المنزل . لكنكِ لطيفةٌ جداً اذْ جئتِ . . .

ليزا : ما كنتُ أتوقّعُ ... أنا ممتّنة لكِ أنك رغبتِ في رؤيتي .

آنا دميتريفنا : أتعرفين الأمير ؟

الأمير : طبعاً ، تشرّفتُ من قبل بالتعرّف إليها .. (يتصافحان ثم يجلسان) . وقد حدثتْني ابنةُ أخي « نيلي » عنها كثيراً .

ليزا : نعم ، كنا مرتبطتين بالصداقة ... (تلقي بنظرة خجلة صَوْبَ آنا دميتريفنا) . ومازلْنا كذلك . (لآنا دميتريفنا) ما كنتُ أتوقّع أن ترغبي في رؤيتي .

آنا دميتريفنا : كنت أعرف زوجَك جيداً . كان صديق فيكتور ، وكان يتردد كثيراً علينا ، قبل سفره إلى تامبور . ففيها تزوّجك ، على ما أعتقد .

ليزا : نعم ، تزوجْنا هناك .

آنا : وبعد عودته إلى موسكو ، لم يزرنا قط .

ليزا : اوه ! لم يكن يرى أحداً ، تقريباً . . .

آنا دميتريفنا : حتّى إنه لم يعرّفْني باك ِ .

(صمت مرباك) .

الأمير : آخر مرة لقيتك ِ فيها كانت عند آل دينيسوف ؛ كانوا يمثّلون ملهاة ، لطيفة جداً . . . وقمت ِ أنت بدور من أدوارها .

ليزا : لا ... بلى ! تذكّرتُ ، في الواقع . . . (صمت جديد) . اغفري لي ، يا آنا دميتريفنا إن كان ما سأقوله لك ِ غير مستحب ، لكني لا أريد أن أُخفي عنك ِ شيئاً ... إنما جئتُ لأن فيكتور ميخايلوفيتش قال لي . . . لأنه ... رغبت ِ في رؤيتي . . . لكن يجب أن أقول لك ِ كل شيء ... (تنتحب) . إن هذا شاقّ علي ... وأنت ِ ، يا سيدتي ، كريمةُ النفس . . .

الأمير : سأنسحب . . .

آنا دميتريفنا : نعم ، اتركْنا .

الأمير : إلى اللقاء ، سيداتي

(يُحيّي ويخرج) .

المشهد — ٥ —

« آنا دميتريفنا ، ليزا ؛ ثم فيكتور » .

آنا دميتريفنا : اصغي ، يا ليزا . . . لا أعرف اسماك لآخر . . .

ليزا : اندريفنا .

آنا دميتريفنا : سيان ! ليزا ، أنا أرثي لك بصدق ، وأنت قريبةٌ إلى نفسي . لكني أحبّ فيكتور ؛ ولستُ أحبّ غيره في العالم ! . . . وأعرف نفسَه مثلما أعرفُ نفسي ؛ فهو فخورٌ بنفسه ؛ كان فخوراً بنفسه منذ السابعة ؛ فخورٌ لا باسمه أو بثروته ، بل بنقائه وفضيلاته . إنه نقي كالفتاة .

ليزا : أعلم ذلك . . .

آنا دميتريفنا : أنتِ أول امرأة يحبّها ! ولا أكتُمكِ أني أغار من حب ابني . نعم ، أغار منكِ . لكني أمٌّ ، كما أنكِ أم ، وإن كان ابنُك ما يزال صغيراً جداً ، ولم يحن الوقت بعد لكي تفكّري فيه . كنتُ مستسلمةً سلفاً ، كنتُ مستعدةً لأن أهبه لامرأة دون أن أغار منها . . . لكن لامرأةٍ نقيّةٍ نقاءه .

ليزا : وأنا ؟ ... أأنا ... ؟

آنا دميتريفنا : اسمحي لي . . . أنا أعلم . . . الغلطةُ ليست غلطتك ... أنت تعسةٌ . أنا أعرفُه . فهو مستعدٌ ، في الوقت الحاضر ، لأن يتحمّل كل شيء . . . وحتّى فيما بعد لن يقول

شيئاً أبداً ، لكنه سيتألـّم في نفسه . . . فكبرياؤه الجريحةُ ستعذّبه ولن يكون سعيداً أبداً .

ليزا : فكّرتُ في هذا من قبل .

آنا دميتريفنا : يا عزيزتي ليزا . . . أنت امرأةٌ ذكية وخيّرة . وإذا كنتِ تحبّينه ، فأنت تتمنيّن سعادته قبل كل شيء .

وإذن فإن تـَرْضَيْ أن تقيّديه وأن تقوديه إلى الندم ، لأنه سيندم دون أن يقول شيئاً أبداً .

ليزا : أدري أنه لن يقول شيئاً . وقد فكرتُ في ذلك . وطالما تساءلتُ عن هذا الموضوع وحدّثتُه فيه . لكن ماذا بوسعي أن أفعلَ إنْ كان يقول لي : إنه لا يستطيع العيشَ دوني ؟ قلتُ له : « لِنَبْقَ صديقين ، لكنْ ابْنِ لنفسك حياةً مستقلّةً عن حياتي ؛ لا ترتبطْ بي وأنا لستُ نقيةً نقاءَك » . ولم يُرِدْ أن يُصغي إليّ .

آنا دميتريفنا : نعم ، إنه لا يريد . . . في الوقت الحاضر .

ليزا : أقْنعيه ، أنا أقبلُ أن يتركني ... أحبّه وأريد سعادته أكثر من سعادتي . . . لكنْ ساعديني ، ولا تـَكْرهيني ... لِنُحبّه كلتانا ولنسعَ إلى أن نجعله سعيداً .

آنا دميتريفنا : نعم ، يابنتي العزيزة ، أنا أحبّك ... (تقبّل ليزا التي تبكي) . اوه ! لماذا لم يحبك قبل زواجك !

ليزا : هو يؤكد لي أنه أحبّني في ذلك الزمن ، لكنه لم يشأْ أن يحول دون سعادة غيره .

آنا دميتريفنا : اوه ! لكم يحزنني ذلك كله ! لكن لنتحابّ ، وسيساعدنا الله على ايجاد الحلّ .

فيكتور : يا أمي العزيزة ، سمعتُ كلّ شيء ! . . . وكنت أتوقّع ذلك . . . لقد استطاعت أن تستميل قلباك . . . سيسير كل شيء نحو الأفضل .

ليزا : أنا آسفة لأنك سمعتَ . لو كنتُ أعلم لما قلتُ شيئاً . . .

آنا دميتريفنا : لكن لم يتقرّرْ شيءٌ بعد ! كلُّ ما أستطيع قوله ، هو أنني كنتُ سأكون مسرورة لولا هذه الأحداث المحزنة .

(تقبّل ليزا) .

فيكتور : على شرط ألا تغيرّي رأيكِ بعد الآن .

اللوحة الثانية

« مسكن متواضع : سرير ، طاولة عمل ، أريكة » .

المشهد — ١ —

« فيديا ، ثم ماشا »

« فيديا وحده . يُقرع الباب ويُسْمَع صوتُ ماشا قائلا : « لمَ حبَسْتَ نفسَكَ ، يا فيدور فاسيلييفيتش ؟ فيديا ، افتحْ لي » .

فيديا ، وهو يفتح: شكراً لمجيئكِ . . . ضجرتُ ، ضجرتُ حتى الموت .

ماشا : لمَ لم تأتِ إلينا ؟ وشربتَ أيضاً ؟ أين وعدُك ؟

فيديا : تعلمين أنه لم يبقَ معي مالٌ .

ماشا : اوه ! ما أشقاني بحبّي لك !

فيديا : ماشا !

ماشا : ماذا ، ماشا ، ماشا ! لو كنتَ تحبّني لطلّقتَ امرأتك منذ زمن بعيد ... امرأتك تطالبُ ذلك منك أيضاً . . . ومع ذلك فأنتَ لا تتخلّى عنها . . . كأنك لا تريد الطلاق ؟ ..

فيديا : لكنكِ تعلمين جيداً لماذا لا أريدُه .

ماشا : تلك حماقات ! الحقّ مع مَنْ يقول : إنك لا تَصْلح لشيء . . .

فيديا : ماذا أقول لكِ ؟ أأقول أن كلماتك تؤلمني ! لكنك تعلمين ذلك أنتِ نفسكِ .

ماشا : لا شيء يؤلمك .

فيديا : تعامين مع ذلك أنْ ليس في حياتي سوى هذه الفَرْحة وهي حبُّك .

ماشا : آه ! نعم ، حبّي هو حبي ، لكني لا أكاد أرى حبّك .

فيديا : لا تتصوّري أني سأقسم لك بالأَيْمان . فما الفائدة ؟ تعامين جيداً أنني أحبّك .

ماشا : فيديا ، لمَ تعذّبني هكذا ؟

فيديا : مَنْ مِنّا يعذّب الآخر ؟

ماشا ، باكية : أنت شرير .

فيديا ، يدنو منها ويقبّلها : مهلاً ، ما بكِ ؟ دَعينا من هذا ، ولْنعِشْ بدلاً من التباكي ... الدموعُ لا تناسبكِ ، يا حلوتي ماشا . . .

ماشا : أتحبنّي ؟

فيديا : ومَنْ أحبُّ غيرَك ؟

ماشا : أنا وحدي ؟ والآن اقرأ لي ما كتَبْتَه .

فيديا : سيُضْجرك هذا .

ماشا : بما أنك كتبتَ ذلك أنتَ ، فلا بدّ أن يكون جميلاً .

فيديا : حسناً ! اسمعي . (يقرأ) « في أواخر الخريف اتّفقْنا صديقي وأنا على أن نلتقي قرب هضبة بورغين » . كانت غابةٌ صغيرة ، قاسية التّربة ، مغطّاة بالأعشاب الفتية . كان النهار مظاماً ، دافئاً وهادئاً . والضباب . . . » .

(يدخل في هذه اللحظة غجري عجوز هو ايفان ماكاروفيتش ، وغجرية عجوز هي ناستازيا ايفانوفنا . وهما والدا ماشا) .

المشهد — ٢ —

ناستازيا ايفانوفنا ، مسارعة إلى ابنتها : آه ! أنتِ هنا ، أيتها النعجة الجرباء ! . . . احتراماتي ، يا سيدي . (لابنتها) . في أية ورطةٍ ورّطتِنا ، قولي ؟

ايفان ماكاروفيتش ، لفيديا : هذا سيّء ، يا سيدي . أضَعْتَ ابنتنا . نعم ، ما تَفْعلُه سيء وممقوت .

ناستازيا ايفانوفنا : خذي شالك وانسحبي . سأعلّمك كيف تهربين من البيت . . . ماذا سأقول للفرقة ؟ تغامرين مع عاشق لا يملك فلساً ! ومن الذي يستطيع حَمْلَه على الدفع !

ماشا : لستُ مغامرةً . أحبُّ فيدور فاسيلييفيتش وكفى . لم أترك الفرقة ، وسأغني كما كنتُ أغني من قبل ، لكن ...

ايفان ماكاروفيتش : اخرسي وإلاّ اقتلعتُ شعركِ . مَنْ الذي علّمكِ هذه الأمثولة الرديئة ؟ لا أبوك ، ولا أمك ، ولا عمتك . (لفيديا) . ما تَفْعلُه سيّء ، يا سيدي . كنا نحبّك . وإرضاءً لخاطرك كمْ مرةٍ غنّينا بلا مقابل . شفقْنا عليك . وهذا ما تفعلُه ، أنتَ !

ناستازيا ايفانوفنا : أضَعْتَ ابنتنا الوحيدة ، ابنتنا الجوهرة ، فرحة عينينا ! ألقيت بها على الزبل ! أنت لا تَعْرف الله !

فيديا : لا ، يا ناستازيا ايفانوفنا ، أنت تتّهمينني ظلماً . لقد

عاماتُ ابنتك كما تُعامَلُ الأختُ واحترمتُ شرفها . فلا تُسيئي الظنّ . لكني أحبّها ، ولا حيلةَ لي في ذلك .

ايفان ماكاروفيتش : لمَ لم تحبّها عندما كنتَ تملكُ المال ؟ . . . كان يجب أن تعطي الفرقة عشرة آلاف روبل وتحصل على ماشا بكل شرف . لكنك تخطفها سراً ، اليومَ وأنت لم تعد تملكُ فلساً واحداً ، عيبٌ عليك ، يا فيدور فاسيلييفيتش ، عيبٌ عليك !

ماشا : هو لم يخطفْني ، وجئتُ وحدي ، وسوف أعود لو أخذتماني معكما . أحبُّه وكفى ! سيُحطّم حبي أقفالكم . لا أريد . . .

فاستازيا : هيا ، يا صغيرتي ماشا ، لا تركبي رأسَكِ . . . لقد أسأتِ التصرّف ، تعالي . . .

ايفان ماكاروفيتش : كفى كلاماً . امشي (يأخذ ابنته من يدها) . وداعاً ، يا سيدي .

(يخرج الأب والأم وماشا)

المشهد — ٣ —

« فيديا ، الأمير ابريسكوف » .

الأمير ، داخلاً : اعذرْني ، كنتُ شاهداً غير متعمّدٍ لمشهد مؤلم ....

فيديا : مَنْ الذي يُشرّفني . . . (يعرفه) آه ! الأمير سيرج دميتريفيتش .

(يحيّيه) .

الأمير : ... شاهداً غير متعمّد لمشهد مؤلم . كنتُ أود ألا أسمع ؛ لكنْ بما أنني سمعتُ ، رأيت من واجبي أن أقول لك ذلك . أدْخلتُ إلى هذا المكان ، وكان لا بد لي من انتظار خروج هؤلاء الأشخاص ؛ عبثاً ضربتُ على الباب ، فقد كانت الضرباتُ تضيع في ضوضاء الأصوات . . .

فيديا : أرجوك ، اجلسْ . . . أشكرك لأنك قلتَ لي ذلك ، وهذا يُتيح لي أن أشرح لك هذا المشهد . ولا أهمية لرأيك بي . لكنني أحب أن أقول لك أن اللوم الموجّه إلى الفتاة ، إلى المغنّية الغجرية لومٌ غير عادل . إنها نقيّة كالحمامة ، وعلاقاتنا وديّة لا غير ، وإذا كانت هذه العلاقات مطبوعةً بشيءٍ من الشاعرية ، فان شرف الفتاة لم يدنّس من جراء ذلك . هذا ما كنت أحرص على قوله لك . والآن ماذا تريد ؟ فيم أستطيع أن أكون نافعاً لك ؟

الأمير : أولاً .

فيديا : عفواً ، يا أمير ، فوضعي الاجتماعي بلغ الآن حداً لا تكفي فيه علاقاتنا القديمة والمتقطعة لأن تؤهّلني لزيارتك . ولا بد أن تكون هناك قضيّة . فما هي ؟

الأمير : حزرْتَ ، في الواقع . فهناك قضيّة . إلا أنني أرجوك أن تعتقد أن وضعك الحالي لا يغير عواطفي تجاهك في شيء .

فيديا : أنا واثق من ذلك .

الأمير : هذه هي القضية : لقد رجاني ابن صديقتي القديمة آنا دميتريفنا كارينين ، كما رجتْني هي نفسها أن أسألك مباشرةً عن علاقاتك ... اسمحْ لي أن أحدّثك بصراحة ... عن علاقاتك بزوجتك ، اليزافيتا اندريفنا بروتا سوفا ؟

فيديا : علاقاتي بزوجتي ، أو على الأصح بالتي كانت زوجتي ، قد قُطِعَتْ كلّياً .

الأمير : هذا ما كنتُ أظنّه ، ولذلك قبلتُ هذه المهمّة الدقيقة .

فيديا : قُطِعَتْ علاقاتنا ، وأنا أسارع لأقول : إنها قُطِعتْ بسبب غلطتي ، لا غلطتها ... أو بسبب أخطائي التي لا تُحصى نحوها . أما هي فقد ظلت تلك المرأة التي لا مأخذ عليها .

الأمير : إذن كلّفني فيكتور كارينين وأمه خاصة أن أسألك ما نيّتُك .

فيديا ، محتدّاً : نيتي؟ لانيّة لي . أعدتُ لإمرأتي حرّيتها الكاملة، وأكثر من ذلك ، فلن أضايقها أبداً . يمكنها أن تطمئن . أعلم أنها تحب فيكتور كارينين ذلك أحسن لها . أنا أجده مُملاً جداً ، لكنه فتى طيب ، وشريف ، وأعتقد أنها ستكون سعيدة معه ، كما يُقال . **ليباركْهما الله !** هذا كل ما عندي .

الأمير : نعم ، ولكنّا . . .

فيديا ، مقاطعاً: لا تظنّ بي أدنى شعور بالغيرة . قلت عن فيكتور : إنه مملّ وأنا أسحب كلمتي . هو لطيف وشريف وفاضل، على عكسي أنا تقريباً . لقد أحبّ ليزامنذ الطفولة ، ولعلها

ظات تحبّه حين تزوجتني . الحب الذي لانتبينّه هو أعمق الحب . اعتقد أنها احبّته ؛ لكنها لم تعترف لنفسها بهذا الحب، كما تفعل المرأةُ الشريفةُ . على أن ذلك كان يُلقي ظلّه على حياتنا . لكنْ ، لمَ أخصّاكَ بهذا الحديث ؟

الأمير : أتممْ كلامك ، أرجوك . صدّقْني أنني أنْ كنتُ جئتُ إليكَ فذلك رغبةٌ مني في أن أفهم فهماً عميقاً علاقاتك بزوجتك . إني أفهمك ؛ وأرى ، في الواقع ، أن ذلك الظل ، كما قلتَ بوضوح ، أمكن أن يوجد فعلاً .

فيديا : نعم ، لقد وُجد . ولعلي من أجل ذلك لم تكن الحياة الداخلية مع ليزا لتكفيني . ففتشتُ في مكان آخر ، وانسقْتُ وراء أهوائي . لكنْ يبدو أني أحاول تبرير ساوكي ... لا رغبةَ لي في ذلك ، ثم إني لا أستطيع . لقد كنت زوجاً سيّئاً ... أقول : كنتُ ، لأنني ، لا أعتبر نفسي ، منذ زمن بعيد زوجاً لها . وأنا أعدّها حرةً تماماً . هذا ردّي على مهمّتك .

الأمير : لكنك تعرف عائلةَ فيكتور ، وتعرفه هو نفسه . لقد ظات علاقاته باليزافيتا اندريفنا وما تزال علاقات الاحترام الشديد . وكان لا يسعى إلا أن يكون نافعاً لها في الأوقات العصيبة .

فيديا : نعم ، أنا بنفسي قُدْتُهما إلى التقارب . لكن ما العمل ! كان لا بد أن تكون الأمورُ هكذا .

الأمير : أنت تعرف الآراء الارثوذكسية الصارمة التي يجاهر بها هو وأسرته . لست أشاركُهم آراءهم ، إذ أني أكثر تسامحاً في أفكاري ، لكني أحترم تلك الآراء وأتفهّمها ، وأعلم أنه يرى هو وأمه أنْ لا حياة ممكنة مع امرأة خارج الزواج الديني .

فيديا : نعم ، أَعلَمُ كم هو غَ ... (يستَدْرِك) كم هو متشدّد بهذا الصدد . ماذا يلزمُهم ؟ الطلاق ؟ أعلنتُ منذ زمن بعيد أني أوافق عليه . أما أن أتحمّل الخطأ قابلاً بكل أكاذيب الإجراءات(١) ، فذلك قاس جداً .

الأمير : أفهمُك وأشاركك رأيك . لكنْ ما العمل ؟ أظن أنه من الممكن تسوية القضية على هذا النحو ... بيد أن الحقّ معك ؛ أنا من رأيك . هذا فظيع .

فيديا ، يشدّ على يده : شكراً ، يا أميري العزيز . لقد اعتبرتك دائماً رجلاً شريفاً وخيّراً . قلْ لي كيف ينبغي أن أتصرّف ؟ ماذا ينبغي أن أفعل . ضع نفسك مكاني . لستُ أحاول أن أظهر خيراً مما أنا عليه . أنا بائس . لكن هناك أشياء لا يمكنني أن أفعلها من كل قلبي . لا أستطيع أن أكذب .

الأمير : أنا الذي لا يفهمُك . إن لك قدراتك وذكاءك ورقة

---

(١) أكاذيب الإجراءات : تقبل الكنيسة الارثوذكسية الطلاق في حالة الزنى . فلكي يتم الطلاق كان لا بد إذن من التظاهر بالجرم المشهود الذي تتحقق منه الشرطة .

عواطفك . فكيف يمكنك أن تستسلم هكذا للإغراءات ، وكيف يمكنك أن تنسى كل ما تتطلّبه من نفسك ؟ .... كيف وصلتَ إلى ما وصلت إليه ؟ كيف دمّرتَ حياتك .

فيديا ، متغلّباً على انفعاله : ها قد مضت عشر سنوات وأنا أحيا حياة الفجور ، وهذه هي المرة الأولى التي يَعْطِف فيها عليّ رجلٌ مثلك . فلم ألق حتى الآن سوى رفاقي من الماجنين ومن النساء الذين كانوا يرثون لي . . . لكن رجلاً عاقلاً وخيّراً مثلك ... شكراً ! كيف وصلتُ إلى الضياع ؟ هناك الخمر ، في البداية . لا لأني أجد لذةً في الشرب . بل قد راودني دائماً الإحساسُ بأن كل ما يجري حولي غير ما يجب أن يكون فأخجل . وهكذا ، تراني أكلّمك الآن ! وأنا خَجِلٌ . أما أن يكون المرء مارشالاً للنبلاء أو مديراً لمصرف ، فذلك مخجلٌ جداً ، مخجلٌ جداً ... بعد أن نشرب يزول الخجل ... ثم هناك الموسيقا ، لا الأوبرا أو بيتهوفن ، بل موسيقا الغجر ، فهي تسكب في النفس الكثير من الحياة والطاقة . ثم هناك العيون السود الجميلة ، والابتسامة ... لكن كلما خَلَبَ ذلك لُبّنا ازددنا إحساساً بالخجل .

الأمير : والعمل ؟

فيديا : حاولتُ ؛ كان رديئاً دائماً ، وكنت مستاءً دائماً . لكنْ ما جدوى الكلام عليّ ؟ أشكرك .

الأمير : ماذا يجب أن أقول لهم إذنْ ؟

فيديا : قلْ لهم : إني سأفعلُ كل ما يريدانه . يريدان أن يتزوّجا ، وألا يحول شيءٌ دون زواجهما ؟

الأمير : بالتأكيد .

فيديا : سأفعل ما يريدانه ؛ قل لهما : إنني سأفعل ذلك بالتأكيد .

الأمير : متى ؟

فيديا : انتظرْ . لنقلْ في ظرف خمسة عشر يوماً . هذا كثيرٌ ؟

الأمير ، ناهضاً : إذن أستطيع أن أخبرهم بذلك ؟

فيديا : نعم ، تستطيع . وداعاً يا أمير . أشكرك مرةً أخرى . (يخرج الأميرُ ، يجلس فيديا ، ويصمتُ طويلاً ، ثم يقول وهو يبتسم) : حسنٌ ، حسنٌ جداً . . . هذا ما يلزم ، هذا ما يلزم ، هذا ما يلزم .

ستار

الفصل الرابع

اللوحة الأولى

« حجرة صغيرة خاصة في مطعم » .

المشهد — ١ —

« خادم المطعم ، فيديا ، ايفان بيتروفيتش . يُدخل الخادم فيديا ، وخلْفه ايفان بيتروفيتش الكسندروف » .

الخادم : تفضّلْ بالدخول ؟ هنا لن يُزعجاك أحد . سأحمل إليك الورقَ .

ايفان بيتروفيتش : بروتا سوف ... أتسمح لي بالدخول ؟

فيديا ، بوقار : ادخلْ إذا شئتَ ، لكني مشغول ... بل ادخلْ .

ايفان بيتروفيتش : تريدُ أن تردّ على طابهما ؟ سأقول لك كيفَ : لن ألفّ وأدورَ ، فأنا أقول صراحةً ما أفكر فيه وأتصرّف دون تردّد .

فيديا ، للخادم: زجاجة شمبانيا ! ... (يخرج الخادم . يضع فيديا على الطاولة مسدّساً يُخرجه من جيبه) انتظرْ قليلاً .

إيفان بيتروفيتش : ماذا ! تريد أن تقتل نفسك ؟ حسنٌ ، هذا ما يَحقّ لك أن تَفْعله . إني أفهمك . يريدان أن يُذلاّك

وتريد أن تُريَهما مَنْ أنتَ . تَقْتلُ نفسك برصاصة ، وتقتلهما بعظمة نفسك . أنا أفهمك ... أفهمُ كل شيء ... أنا عبقري !

فيديا : طيّب ، طيب ؛ لكن ... (يدخل الخادم مع زجاجة الشمبانيا والورق والحبر . يغطي فيديا المسدس بمنشفته) . افتحْ ! لنشربْ ! (يشربان ، فيديا يكتب) . اسكتْ لحظةً .

ايفان بيتروفيتش : أشْربُ نخب ... رحلتك العظمى ... أنا فوق ذلك كله . لن أوقفكَ . الحياةُ والموتُ سيّان عندي . أموتُ في الحياة وأحْيا في الموت . تريدُ أن تموت لكي يُبكّتَ الضميرُ هذين : امرأتك وصاحبها . وأنا سأَقتلُ نفسي لكي يُدرك العالم ماذا يفقد . لا أريد أن أتردّد أو أن أفكر . آخُذ المسدّس (يمسك بالمسدس) . واحد ، اثنان وينتهي كل شيء . لكنّ ساعتي لم تأتِ بعدُ ، (يضع المسدّس على الطاولة) . على كل حال ، ليس لي أن أعلّمهم . فلْيكلّفوا أنفسهم عناءَ الفهم ... آه ! أنتم الآخرون . . .

فيديا ، يكتب : اسكتْ لحظةً .

ايفان بيتروفيتش : أيها البائسون الذين تزدحمون وتكدّون ولا تفهمون شيئاً ، لا تفهمون شيئاً ، على الإطلاق ! لستُ أكلّمكَ ، وإنما أعبرّ عن أفكاري فقط . ماذا ينبغي للإنسانية أن تفعل ، على الإجمال . لا يُطالَبُ منها شيءٌ

كبير : كلُّ ما يُطابُ منها أن تكرّم عباقرتها . في حين أنها عذّبتهم واضطهدتهم وسحقتهم دائماً . اوه ! أنا لن أكون لعبة بين أيديكم ، أنتم الآخرون ، أستطيع أن أكشف قناعكم ... أيها المراؤون !

فيديا ، ينتهي من الكتابة ، ويشرب ويقرأ : انصرفْ ، أرجوك .

ايفان بيتروفيتش : أنْصَرِفُ ؟ ... طيب ، وداعاً ... لن أوقفكَ . سأفعل مثلك.لكنْ لم يَئِنِ الأوانُ بعد.أريد أن أقول فقط ...

فيديا : كفى ، تقول لي فيما بعد ... أما الآن فاسمع ما يجب فعلُه يا صديقي . أتسمح باعطاء هذا للمعلم (يعطيه نقوداً) واطلب لي رسالة وسفطاً على اسمي .

ايفان بيتروفيتش : طيب ... لكن عِدْني بأن تنتظرني ... فما عليّ أن أقوله لك عظيم الخطورة ... لن يُخبرك به أحد لا في هذه الحياة ولا في العالم الآخر ، على الأقل قبل أن أذهبَ أنا إليه . هل أعطيه كل هذه النقود ؟

فيديا : أعطِهِ ماله . (يخرج ايفان بيتروفيتش ، يتنفّس فيديا الصعداء ، ويُغلق الباب خلفه ، ويتناول المسدس ، ويرفعه ، ويضعه على صدغه ، ويَجْفل ، ويرخيه برفق وهو يتأوه) . لا . لا أستطيع ، لا أستطيع ! (يُقْرع الباب) . مَنْ هذا ؟

المشهد — ٢ —

« فيديا ، ماشا »

ماشا ، خلف الباب : أنا .

فيديا : مَنْ أنتِ ؟ آه ! ماشا .

(يفتح الباب)

ماشا ، داخلةً : بحثتُ عنك في غرفتك ، وعند بوبوف ، وعند أفريموف ، وأخيراً حزرتُ أنك هنا . (ترى المسدّس) . هذا هو الجنون . ما أحمقكَ ... يا لغبائك ! أحقاً أنتَ ... ؟

فيديا : لم أقوَ على ذلك .

ماشا : أنا إذن ، لا حسابَ لي ! أيها الجاحد ! ألم تشفقْ عليّ ؟ يا لها من خطيئة ، فيدور فاسيلييفيتش ، يا لها من خطيئة ! ... هذا جزاء حبّي ...

فيديا : أردت أن أهبهما الحرية ، وعدتّهما بذلك ، لكنني لا أستطيع أن أكذب .

ماشا : وأنا ؟

فيديا : مالَكِ ، أنتِ ؟ تُصبحين حرةً أيضاً . أأحسنُ لكِ أن تتألمي معي ؟

ماشا : طبعاً ، أحسن . لا أستطيع الحياةَ بدونك .

فيديا : هل الحياةُ معي حياةٌ . ستبكين في أول الأمر ، ثم تَحْيين حياتكِ .

ماشا : آه ! لا ، لن أبكيك ! لا ردّك الله إن لم تشفق علي .

(تبكي)

فيديا : ماشا ، يا صغيرتي ، أردتُ أن أفعل ما هو أفضل .

ماشا : الأفضل عندك .

فيديا ، مبتسماً: كيف ؟ الأفضل عندي ، بما أني أردت أن أقتل نفسي ؟

ماشا : بالتأكيد . لكن ماذا يلزمك ؟ قلْ لي .

فيديا : كثيرٌ من الأشياء .

ماشا : لكن ماذا ؟ ماذا ؟

فيديا : يلزمني أولاً أن أفيَ بوعدي ، وهذا وحده كثير . أأستطيع أن أكذب وأقبل بكل تلك القذارات اللازمة لإتمام الطلاق ؟

ماشا : لا شك أن ذلك مُقْرِفٌ ! أنا أيضاً ...

فيديا : وبعد ذلك يجب أن أهَبَ امرأتي وكارينين الحرية . هما طيبّان ، فلِمَ أعذّبُهما ؟

ماشا : لو كانت امرأتُك طيبّة حقاً لما هجرتكَ .

فيديا : لم تهجرْني هي ، أنا هجرتُها .

ماشا : آه ! جيد ! كلُ العيوب فيك ، أما هي فهي ملاك ... وبعد ذلك ؟

فيديا : بعد ذلك أنكِ لطيفةٌ وأنك ولدٌ عزيزٌ ، وأنا أحبّكِ ، فاذا عشتُ كنتُ سبباً لشقائك .

ماشا : هذا لا يخصّك . سأسعى إلى شقائي إن كان ذلك يُعجبني .

فيديا ، متنهداً : وهناك ، على الخصوص حياتي . أليس واضحاً أنني ضائعٌ ، لا أصلح لشيء ، عبء على الآخرين وعلى نفسي ، كما قال أبوك . لا ، أنا لا أصلح لشيء !

ماشا : ما هذه الحماقات ! أنا لن أتركاك أبداً . تَعاَلَقْتُ باك وكفى ! أما تلك الحياة الرديئة التي تعيشها .. الشرب والتدخين ... أنت حي ! اتركهما – الأمر بسيط جداً .

فيديا : الكلام سهل . . .

ماشا : اتركْهما .

فيديا : عندما أنظر إليك يبدو لي أنني أستطيع أن أفعل ذلك .

ماشا : ستفعل ذلك ، ستفعل كل شيء . (تشاهد الرسالة) ما هذا؟ كتبتَ إليهما ؟ ماذا قلتَ لهما ؟

فيديا : الذي قلتُه لهما . (يأخذ الرسالة ويهم بتمزيقها) . لا فائدة منها الآن .

ماشا ، تنتزع الرسالة منه : كتبتَ أنك ستقتل نفسك ؟ نعم ؟ لم تتكلّمْ عن المسدّس ؟ قلتَ فقط إنك ستقتل نفسك ؟

فيديا : نعم ، قلت إنني سأختفي .

ماشا : هات ، هات ، هات ! هل قرأت روايه « ما العمل(١) » .

فيديا : نعم ، أظنّ !

---

(١) ما العمل : عنوان رواية كتبها الاشتراكي تشيرنيشيفسكي في سنة ١٨٦٤ ،وكانت مشهورة في زمانها .

ماشا : الرواية مُملّة ، لكن فيها شيئاً حسناً . فالبطل ، ما اسمُه ؟ راحميتوف ، يتظاهر بأنه غرق . أتعرف السباحة ؟

فيديا : لا .

ماشا : أعطني ملابسك ، ومحفظتك .

فيديا : لكنْ لماذا ؟

ماشا : انتظرْ ، انتظر . لنذهب إلى الغرفة ، وهناك تُغيّر ثيابك .

فيديا : لكن هذه كذبة !

ماشا : لا قيمة لذلك ! لقد سبحتَ ، وظلّت ثيابك على الشاطىء ، وفي الجيب المحفظةُ والرسالةُ .

فيديا : وبعد ذلك ؟

ماشا : بعد ذلك ؟ سنترك المدينة وسنبدأ حياةً سعيدة .

(يدخل ايفان بيتروفيتش) .

المشهد ـــ ٣ ـــ

« فيديا ، ماشا ، ايفان بيتروفيتش » .

ايفان بيتروفيتش ، يشاهد المسدس على الطاولة : عجباً ! عجباً ! والمسدس ؟ ... سآخذه .

ماشا : خُذْهُ ، خُذْه ! سننصرف !

اللوحة الثانية

في منزل ليزا

المشهد – ١ –

« كارينين ، ليزا ، المرضع » .

كارينين : وعَدَ بذلك وعداً صريحاً ، وسيفي بوعده ، أنا واثق من ذلك .

ليزا : أنا خجلة من الاعتراف ، لكن يجب أن أعترف بأني منذ أن أُنبِئْتُ بحبه للغجرية أحسُّ بأني حرةٌ تماماً . لا تتصوّرْ أن هذا من الغَيْرة ... لكن معرفة ذلك تعني ، بالنسبة إلي ، الحريةَ . كيف أقول لكم . . .

كارينين : « لكم » أيضاً .

ليزا ، مبتسمة : لكَ ! لا تقاطعْني ، دعْني أقول لك ما أحسّ به . ما كان يعذّبني هو فكرةُ حبِّ رجلين معاً ، أي أن أكون امرأةً لا أخلاقيةً .

كارينين : أنتِ ، امرأة لا أخلاقية ! . . .

ليزا : لكن منذ أن علمتُ أنه يحيا مع امرأة أخرى – وأنه مِن ثَمَّ لن يحتاج إليّ – غدوتُ حرةً . وأستطيع أن أقول دون كذب : إنني أحبك . كل شيءٍ واضحٌ الآن في نفسي ، ولا يُقلقني سوى وضعي ، سوى ذلك الطلاق . فهذا الانتظار قاسٍ جداً !

كارينين : اوه ! لن يطول ذلك كثيراً الآن . . . فاضافةً إلى وعده ، رجوتُ أمين سر المجمع الديني أن يمرّ عليه ومعه طلب الطلاق ، وألا يعود قبل أن يحصل على توقيعه ... الحقيقة أنني لو لم أكن أعرف فيديا معرفة حسنة لظننْتُ أنه يتباطأ عن عمدٍ .

ليزا : هو ! اوه ! لا ، هذا هو ضعفه واستقامتُه في الوقت نفسه . إنه لا يريد أن يقول الأكاذيب ... لكنك أخطأت حين أرْسلتَ إليه النقود . . .

كارينين : لم أكن أستطيع أن أفعل غير ما فعلت ؛ فقد يكون ذلك سبباً للتأخير .

ليزا : ومع ذلك ، ففيما فعلتَ شيءٌ جارح .

كارينين : لاينبغي أن يكون دقيقاً إلى هذا الحد .

ليزا : كم أصبحنا أنانيّيْن !

كارينين : نعم ، أعترفُ بذلك ، لكن الغلطة غلطتك . . . فبعد هذا الانتظار ! هذا اليأس ! أحسّ الآن أنني سعيد إلى حد بعيد ! والسعادة تجلب الأنانية . الغلطةُ غلطتك !

ليزا : لا تظن أنك وحدك سعيد ، فأنا سعيدة أيضاً . السعادةُ تملأ نفسي ! إنني أعومُ في السعادة ... فميشا شفي ... وأمّك تُضمر الودّ لي . . . وأنا أملكُ حبّك ... وقبل كل شيء . . . أنا أحبك .

كارينين : نعم ، أنت تحبينني ؟ بلا ندم ، ولا رجعة ؟

ليزا : تغيرّ كلُّ شيء فيّ منذ أن أحببتُاكَ ، لأن ماضيّ انتهى بالنسبة إليك ، كما انتهى تماماً بالنسبة إليّ .

المشهد — ٢ —

« تدخل المرضع ومعها الصبي الذي يذهب إلى أمه . تأخذه وتضعه على ركبتيْها » .

كارينين : يا إلهي ! ما أشقانا جميعاً !

ليزا : لماذا ؟ . . .

(تقبّل الصبي) .

كارينين : لماذا ؟ دونك السبب : عندما تزوجتِ وعامتُ ذلك بعد عودتي من الخارج ، وأدركتُ أنني فقدتك ، شقيتُ بذلك كثيراً ، حتى لقد كان فرحي عظيماً عندما عامتُ أنك مازلتِ تتذكرينني على الأقل ، وكان هذا كافياً لي . وعندما أصبحنا صديقين فيما بعد ، وكنتِ رفيقةً بي ، وأحسستُ أن في صداقتنا شرارةً صغيرة أكثر من الصداقة ... كنتُ سعيداً تقريباً . الخوف وحده من أن أكون ليئماً تجاه فيديا كان يعذّبني . لكنني كنتُ أشعر ، في الوقت نفسه ، شعوراً أكيداً بأنني لا يمكن أن أُقيم مع زوجة صديقي علاقات غير علاقات الصداقة ؛ ولا سيّما أني كنتُ أعرفكِ ، أنتِ ... على الإجمال لم يكن ذلك يُقْلقني ، وكنتُ مسروراً . وعندما بدأ فيديا يسبّب لك الألم ، وأحسستُ أني سندٌ لك وأنكِ بدأتِ تخشيْن

صداقتي ، شعرتُ بالسعادة التامة ووُلدَ فيَّ أملٌ مُبْهمٌ . وعندما أصبح فيديا لا يُطاق ، بعد ذلك ، وعندما عزمتِ على تَرْكه ، وعندما كاشفْتاكِ لأول مرة بكل شيء فتركتني ، والدموعُ في عينياك ، دون أن تقولي لا ، غمرتني السعادة . ولو أني سُئاتُ في تاك اللحظة ، ما الذي ترغبُ فيه ، لأجبتُ : لا شيء . ثم جاءَ إمكانُ ربط حياتي بحياتاك . فقد أحبّتاك أمي ، وبدأت رغباتي تبشّر بالتحقّق ، وقاتِ : إناكِ أحببتنِي دائماً وما تزالين ... ثم قاتِ لي ، ما قاته قبل هنيهة ، أن فيديا لم يعد موجوداً إلياك وأناك لا تحبّين غيري ... ما الذي أبتغيه أكثر من ذلك ؟ كلا ، إني أتعذّب الآن من ماضياك ، أود لو أنه لم يوجد وألا يذكّرني به شيء .

ليزا ، لائمةً : فيكتور !

كارينين : سامحيني ، يا ليزا ، إن قاتُ لكِ ذلك فاكي لا تظلّ أية فكرة تخصّاك مخبّأةً في نفسي . إني أكالّماكِ هكذا عن عمدٍ لأُريَاكِ كم أنا سيّءٌ ، وأعام أن لا مزيد على هذا السوءِ ، وأنني ينبغي أن أجاهدَ ، أجاهد نفسي ، لأتغلّب عايها . أنا الآن مغاوب .

ليزا : هذا ما ينبغي فعاه ؛ وأنا أيضاً بذلتُ وسعي ، وكل ما كنتُ ترغبُ فيه قد تحقّق في قابي خارج إرادتي ؛ اختفى منه كلُّ شيء ما عداك .

كارينين : كل شيء ؟

ليزا : كل شيء ، كل شيء ... وإلاّ لما قاتُ لكَ ذلك .

المشهد — ٣ —

« كارينين ، ليزا ، الخادم » .

الخادم : السيد فوسنيسنسكي .

كارينين : إنه يحمل جواب فيديا .

ليزا ، للخادم : أدْخلْه .

كارينين ، ناهضاً وذاهباً إلى الباب : وأخيراً ، ها هي ذي الرسالة !

ليزا : معطيةً الطفل للمرضعة الّتي تنصرف : هل سيتقررّ حقاً كل شيء ؟

(تقبّل فيكتور . يدخل فوسنيسنسكي) .

المشهد — ٤ —

كارينين : ماوراءك ؟

فوسنيسنسكي : فيدور فاسيلييفيتس لم يكنْ في غرفته .

كارينين : لم يكن في غرفته ؟ ولم يوقّع الطلب ؟

فوسنيسنسكي : لا ، لم يوقّعْه ، لكنه ترك رسالةً لك ولأليزافيتا اندريفنا (يُخرج الرسالة من جيبه) . ذهبتُ إلى غرفته فقيل لي : إنه في المطعم ، وذَهبْتُ إلى المطعم ، فرجاني فيدور فاسيلييفيتش أن أعود بعد ساعة ليُعدّ الجواب . عُدْت وها هو الجواب .

كارينين : ما يزال يؤجّل ؟ أعذارٌ أخرى ! ليس هذا حسناً ، في الحقيقة ! كم سقَطَ !

ليزا : لكن اقرأ ! ماذا كتب ؟

(يفتح كارينين الرسالة) .

فوسنيسنسكي : لم تعودوا بحاجة إليّ ؟

كارينين : لا ، إلى اللقاء . أشكركَ .

المشهد — ٥ —

ليزا : ما الأمر ؟ ما الأمر ؟

كارينين : هذا فظيع !

ليزا ، تحاول أن تنتزع الرسالةَ منه : اقرأْ !

كارينين ، يقرأ : « ليزا وفيكتور . أخاطبكما كليكما . لا أريد أن أكذب بقولي لكما: عزيزيّ وحبيبيّ . فلستُ أستطيع التغلب على الشعور بالمرارة واللوم — اللوم لنفسي ، وهو لومٌ مؤلم مع ذلك عندما أفكرّ فيكما ، في حبكما ، وفي سعادتكما . إني أعرفُ كل شيء ، وأعلم جيداً ، وأنا الزوج ، أنني كنت أحول بينكما وبين السعادة ، بقوة الأشياء . أنا الذي كنتُ الدخيلَ المتطفّل . على أني لا أستطيع أن أمنع نفسي من الإحساس بالبرودة والمرارة إزاءكما . وأنا ، نظرياً ، أحبكما كليكما ، وخاصة ليزا ، صغيرتي ليزا ؛ لكني ، في الواقع ، شديدُ اللامبالاة. وأعلم أني مخطيءٌ . لكن لا حيلةَ لي في ذلك .

ليزا : ماذا يريد أن يقول ؟ إلى أين يُريد أن يَصل ؟

كارينين ، يتابع القراءة: « لكنْ ، لِنَأْتِ إلى لبّ الموضوع . إن

هذا الازدواج الداخلي أجْبرني على أن أحقّق رغبتكما بطريقة أخرى غير التي اقترحتْماها عليّ . إن الكذب والتمثيل الغبي ، برشوة مستخدمي المجمع الديني ، كل هذه النذالة تثير اشمئزازي . ومهما أكن تعساً ، فأنا تعسٌ على نحوٍ آخر ، أما هذه الفضيحة الشائنة فاني لا أستطيع أن أشارك فيها ، لا أستطيع حقاً . والحلّ الآخر الذي توصّلتُ إليه هو الأبسط . تريدان أن تتزوجا لتغدوا سعيدين ، وأنا أحول بينكما وبين الزواج ، إذن يجب أن أزول . . .

ليزا ، ممسكة بيد كارينين : فيكتور !

كارينين ، يقرأ : « يجب أن أزول ، وها أنا ذا أزول . فعندما تصلكما هذه الرسالة أكون قد قضيتُ . ـــ حاشية : أسفتُ كثيراً لأنكما أرسلتما لي المال من أجل نفقات الطلاق ، كان ذلك جارحاً وغير متوقّع من قبلكما . لكني . . . ارتكبت كثيراً من الأخطاء ، فمن المسموح لكما أن ترتكبا هذا الخطأ . ستُعاد إليكما نقودكما . والحل الذي اخترتُه أسرعُ وأرخصُ ، وهو أيضاً أبسط وأوثق . لا أطلب منكما إلا شيئاً واحداً : لا تحقدا علي ولا تُسيئا الظنّ بي . وهذا الشيء أيضاً : أعرف ساعاتياً يُدعى « ايفغينييف » ، هل يمكنكما أن تمدّا إليه يدَ العون . هو ضعيف لكنه رجل مستقيم . الوداع . فيديا » .

ليزا : قتَل نفسه !

كارينين ، « قارعاً الجرس وراكضاً إلى غرفة الانتظار : أرْجعوا السيد فوسنيسنسكي !

ليزا : كنتُ أعلمُ ذلك ، كنتُ أعلم ذلك ! فيديا ، يا عزيزي فيديا !

كارينين : ليزا !

ليزا : غير صحيح ، غير صحيح ، أني لم أكن أحبّه وأنني لا أُحبّه ، كنتُ أحبه وما أزال أحبّه ! وأنا التي قتلته !

(يدخل فوسنيسنسكي) .

كارينين : وأين فيدور فاسيلييفيتش ؟ ماذا قيلَ لكَ ؟

فوسنيسنسكي : قيل لي إنه خرج صباحاً ولم يَعدْ .

كارينين : يجب أن تستعلم على الفور . أتركاكِ ، يا ليزا .

ليزا : سامحني ! وأنا لا أعرف الكذبَ أيضاً ... اذهبْ بسرعة واسعَ لمعرفة ما حدث .

ستار

الفصل الخامس

اللوحة الأولى

« صالة مطعم مريب . طاولة وحولها زُبُنٌ يشربون الشاي وماء الحياة . في المقدمة ، طاولة يجلس إليها فيديا ، خائر القوى ، رث الثياب . وبقربه يجلس بيتيشكوف ، وهو رجل يقظ ووديع ، شعره طويل ، حالم الهيئة . كلاهما ثملٌ قليلاً .

المشهد — ١ —

« فيديا ، بيتوشكوف ، ثم آرتمييف » .

بيتوشكوف : فهمتُ ، فهمتُ ! ... ها هنا الحب الحقيقي . وهي ؟

فيديا : لو ظهرت هذه العواطف عند فتاة من عالمنا ، فتاة تضحّي بكل شيء من أجل الرجل الذي تحبّه ! . . . لكنها ظهرت عند غجرية تربّتْ على التفكير في الربح وحده . . . حب مجرّد من المنفعة ! إنها تعطي كل شيء ولا تطلب شيئاً . . . هذا التناقض هو المدهش ! . . .

بيتوشكوف: نعم ، هذا ما يُسمّى في التصوير نسبة الأضواء والظلال : فلكي نحصل على الأحمر القاني ، ينبغي أن نضع اللون الأخضر حوله . لكن ليس هذا هو الموضوع ... فهمتُ .

فيديا : يبدو لي أن هذا هو العمل الصالح الوحيد الذي عملتُه ... العمل الذي وضعتُ فيه روحي ؛ لم أستغل حبَّها . أتعلم لماذا ؟

بيتوشكوف: لماذا ؟ بدافع الشفقة ؟

فيديا : اوه ! لا ، لم أكن أحسُّ بالشفقة نحوها ، بل بالإعجاب دائماً . وعندما كانت تغنّي ، كما تغني الآن على الأرجح ، كنت مفتوناً بها . لم أشأ أن أجرّها إلى السقوط لأن حبّي لها كان حقيقياً وقويّاً ! وتلك ذكرى عذبة الآن ، ذكرى عذبةٌ جداً .

(يشرب)

بيتوشكوف: اوه ! فهمت ! ... كان حباً مثالياً ! . . .

فيديا : اصغ ِ إلى ما سأقولهُ لك ... وقعتْ لي في حياتي أهواء . عشقتُ امرأةً جميلة ، ذات مرة ، عشقاً شديداً ، وعشقاً حيوانياً ... ضربتْ لي موعداً فلم أذهب إليه لأني لم أشأْ أن أتصرّف بنذالة مع زوجها . والمدُهش الآن ، أني عندما أفكر في ذلك قاصداً السرور لأني تصرفتُ بأمانة ، أشْعرُ بالندم ، كما أندم على الخطيئة ... أما مع ماشا فالأمر على عكس ذلك . . . أنا سعيد ، وفَرحٌ لأني لم أدنّس عاطفتي . قد أسقط سقوطاً أكبر إلى الحضيض ، وقد أبيع نفسي ، وقد يغطّيني القمل والجرب ، لكن هذه الجوهرة ستَلتمع أبداً ، إن شعاع الشمس فيَّ .

بيتوشكوف: وماذا تفعل هي الآن ؟

فيديا : لا أدري ولا أريد حتى أن أعرفه ! كل ذلك ينتمي إلى حياة أخرى لا أريد أن أقرنها بحياتي الحالية .

(تُسْمَعُ ، في صدر المسرح ، على طاولة ، صرخات امرأة . يأتي صاحب المطعم مع شرطي يقتادها : يجاس فيديا وبيتوشكوف وينظران ويستمعان وهما ساكتان) .

بيتوشكوف ، بعد أن عاد الهدوء : اوه ! حياتك مدهشةٌ !

فيديا : لا ، إنها بسيطة ! ... فأمامنا جميعاً ، في وسطنا ، في الوسط الذي وُلدتُ فيه ، ثلاث طرقٍ فقط . الطريق الأولى أن يصبح المرءُ موظفاً ، وأن يربح المال وأن يزيد من دناءة الوسط الذي يحيا فيه ؛ وكنت أعاف ذلك ! ولعلي لم أكن قادراً على المضي في هذه الطريق ؛ لكنني كنتُ أعاف ذلك قبل كل شيء . الطريق الثانية هي الطريق التي نحارب فيها تلك الدناءة ؛ ولا بدّ من أجل ذلك أن يكون المرء بطلاً ، ولستُ ببطلٍ . بقيت الطريق الثالثة وهي : الشربُ والتهتّكُ والغناء ؛ وهذه هي الطريق التي اخترتُها وأنتَ ترى إلى أين قادتْني ! . . .

(يشرب) .

بيتوشكوف: والزواج ؟ لو كان لي امرأة صالحة لكنتُ سعيداً . . لقد دمّرتْ امرأتي حياتي .

فيديا : الزواج ! كانت زوجتي مثاليةً . وما تزال حيّةً . لكنْ ماذا أقول لك . أتعرف العنب الصغير الذي يوضع في شراب التفاح ليغدو فوّاراً ... كان غائباً ،لم يكن في حياتنا فوران...

كنتُ بحاجة إلى النسيان ؛ ثم بدأت بارتكاب النذالات . أنت تعلم أننا نحب الآخرين بمقدار إحساننا إليهم ، وأننا نكرههم بمقدار إساءتنا إليهم . وأنا قد أسأت إليها ! أما هي فيبدو لي أنها كانت تحبّني .

بيتوشكوف: لماذا يبدو لك ؟

فيديا : أقول هذا لأنه لم يكن فيها شيءٌ يهزّ روحي كما هو الحال مع ماشا . وشيءٌ آخر : هو أنها كانت حاملاً وكانت تغذّي ابنها ، وكنت أخرج من البيت وأعود ثملاً . ويقيناً أن حبي كان يتناقص شيئاً فشيئاً من أجل ذلك . (بنشوة) . نعم ، الأمرُ كذلك ، وأنا أراه بوضوح. وإذا كنتُ أحبُّ ماشا فلأني أحسنت إليها ولم أُسيءْ ! ... الأمرُ كذلك ، ولذلك أحبُّها . أما الأخرى ، فقد عذّبتُها ، لا لأنني لا أُحبّها ... بلى ، لأني لا أحبّها . كنتُ أغار ، صحيح ، لكن الغيرة سرعان ما زالت .

المشهد — ٢ —

« فيديا بيتوشكوف ؛ ارتيمييف يدنو ؛ شاربه مصبوغٌ ، عقدة تزينية ؛ ثيابه قديمة ومرقّعة » .

ارتيمييف : طابت شهيتكما ! (يحيّي فيديا) . هل تعرّفتَ إلى الفنان ، الرسّام ؟

فيديا ، ببرودة : نعم ، تعرّفتُ إليه .

ارتيمييف ، لبيتوشكوف : وهل انتهيت من رسم الصورة ؟ ...

بيتوشكوف: لا ، ذلك لم يتمّ .

ارتيمييف : ألم أضايقكما ؟

(يظل فيديا وبيتوشكوف صامتين) .

بيتوشكوف: كان فيدور فاسيلييفيتش يقصّ عليّ حياتَه .

ارتيمييف : أسرار ؟ . . . ينبغي ألاّ أضايقكما . تابِعا ، فاستُ بحاجة إليكما . خنزيران !

(يذهب إلى طاولة مجاورة ويطالب جعة . وهو يصغي ، طوال الوقت ، إلى الحديث بين فيديا وبتيوشكوف ، مصيخاً بأذنه إليهما) .

فيديا : لستُ أحبُ هذا الرجل

بيتوشكوف: جَرَحْناه .

فيديا : سيان عندي ! ذلك أقوى مني ، لا أستطيع الكلام بحضور إنسان مثل هذا ، أما معاك فالأمر مختلفٌ . ماذا كنتُ أقول ؟

بيتوشكوف: كنتَ تقول لي : إناك كنتَ تغار . فكيف انفصلْتَ عن زوجتاك .

فيديا : آه ! (متفكراً) . قصةٌ غريبة . امرأتي تزّوجت .

بيتوشكوف: هل تمّ الطلاقُ بينكما ؟

فيديا : لا ! (يبتسم) . إنها أرملتي .

بيتوشكوف: آوه ! وكيف ذاك ؟

فيديا : صحيح ، أرملتي ؛ أنا غيرَ موجود .

بيتوشكوف: لكن هذا مستحيل .

فيديا : بلى ، أنا جثة ٌ . (يميل ارتيمييف إليهما ويصغي بانتباه أكبر) . أستطيع أن أقص ّ عليك أنت َ قصتي . على كل حال ، مضى زمن ٌ بعيد على ذلك ، وأنت لا تعرف كنيتي الحقيقية فاسمع ْ ما جرى لي : عندما أحنقت ُ امرأتي ، وعندما بد ّدت ُ كل ما كنت ُ أملك وصرت ْ شخصاً لا يُطاق ، جاء إلى زوجتي حام ٍ يحميها . لا تتصور ّ ْ شيئاً من الدناءة في ذلك . لا ، كان صديقاً لي ، كان رجلا ً ممتازاً، مناقضاً لي من كل الوجوه . وكما أن فيّ من السوء أكثر مما فيّ من الجودة ، كان هو رجلا ً مستقيماً ، حازماً، منظ ّماً ؛ كانت كل الفضائل فيه . كان يعرف زوجتي ويحب ّها منذ الطفولة ، وعندما تزوجت ْني رضي َ بنصيبه ... لكن عندما صرت ُ شقياً فيما بعد ، وحم ّلت ُها ما لا يطاق من الألم ... صار يكثر من ترد ّده على البيت ؛ أنا نفسي كنت ُ أجذبُه إليه . وأخذت ْ زوجتي تحب ُّ صديقَها القديم ؛ في هذه اللحظة ، سقطت ُ في الحضيض ، وأنا الذي تركت ُ زوجتي ... ثم جاءت ماشا ، وأنا نفسي الذي اقترح عليهما الزواج ؛ لم يَرْضيا ، وازددت ُ سوءاً وصرت ُ لا أُطاق ، وانتهى الأمر ُ بـ ...

بيتوشكوف: كما ينتهي دائماً .

فيديا : لا ، أنا على يقين من ذلك . أعرف ذلك فعلا ، لقد بقيا نقيّين . فهو رجل ٌ متدين يَعْتبر ُ الزواج بدون مباركة

الكنيسة خطيئة . إذن رغبا في الزواج وطلبا موافقتي . كان ينبغي لي أن أتحمل مسؤولية الخطأ وأن أمرّ بكل تلك الأكاذيب ، فلم أستطع . أتصدّق أن قتل نفسي كان أسهل عليّ من الكذب ! وكدت أقدمُ على ذلك لولا أن صديقاً عطوفاً قال لي : وما جدوى ذلك ؟ حينذاك رتّبنا الأمور . أرسلتُ رسالة وداع ، وفي اليوم التالي وُجِدتْ ، قرب النهر ، ثيابي ومحفظتي ورسائلي ... وبما أنني لا أحسنُ السباحة . . .

بيتوشكوف: والجثة ؟ فبما أنه لم يُعْثَرْ عليها ؟

فيديا : تصوّرْ أنهم عثروا عليها . لقد عثروا بعد أسبوع على جسم ما . . . ورجوا زوجتي أن تأتي لتفحصه ... كان الجسم مشوّهاً ... فألقت عليه نظرةً : « أهذا هو ؟ ... نعم هذا هو » . وظلّ كل شيء هنا . وقد تزوّجا وهما يعيشانِ الآن سعيدين جداً . أما أنا ، فكما تراني ، أحيا وأشرب . البارحة بالذات ، مررتُ بالقرب من منزلهما . كانت النوافذ مضيئةً ... ومرّ على الستائر ظلّ امرأة ... ذلك قاسٍ أحياناً ... وأحياناً أخرى تكون الأمور مقبولةً ... لكن أقسى ما في الأمر أن أخلو من النقود .

(يشرب) .

ارتيميف ، يدنو : عفواً ... سمعتُ قصتك ... وهي قصةٌ مثيرةٌ جداً ، في الواقع ، ونافعةٌ على الخصوص ... قلت قبل

قليل أن أقسى ما في الأمر أن يخلو المرءُ من النقود . لكنك أنت ، في وضعك الحالي ، لا ينبغي أن تخلو من المال . لأنك جثة ... ما رأيك ؟

فيديا : اسمعْ ! أنا لم أحدّثك أنت ! ... ولا حاجة بي إلى نصائحك .

ارتيمييف : لكنني حريصٌ على أن أقدّم لك هذه النصائح . أنتَ جثةٌ ، لكن بما أنك حيّ فما وضع السيدة زوجتك والسيد الآخر اللذين يعيشان سعيدين ؟ إنها متزوّجة بأكثر من زوج ، وأقلّ ما يصيبهما أن يُنْفيا إلى سيبيريا . لماذا إذن تخلو من المال ؟

فيديا : أرجوك أن تدعني وشأني .

آرتيمييف : اكتبْ إليهما رسالةً فقط ، أو بالأحرى دعْني أكتب إليهما ... أَعْطِني العنوان ... ولن تنساني بعد ذلك .

فيديا : أقول لك مرةً أخرى ، انصرفْ ، فأنا لم أقلْ لكَ شيئاً .

ارتيمييف : لا ، لقد قلتَ ذلك بصوت مرتفع ، هذا شاهد . لقد سمعك الخادمُ تقول : إنك جثّة .

الخادم : لم أسمع شيئاً .

فيديا : يا نَذْل

ارتيمييف : أنا ، نذل ؟ . يا شرطي ! المحضر ! ...

(ينهض فيديا ويهم بالانصراف . يوقفه ارتيمييف . يصل الشرطي) .

اللوحة الثانية

« في الريف ؛ سطح مغُطّى باللبلاب » .

المشهد — ١ —

آنا دميتّريفنا ، ليزا (حامل) ، ميشا ، المرضع .

ليزا : وصلَ القطارُ . وسيصلُ بعد هينهة .

ميشا : مَنْ الذي سيأتي ؟

ليزا : بابا .

ميشا : بابا سيأتي .

ليزا : غريب كم يحبه . . . تماماً كأبيه .

آنا دميتريفنا : أحسن . وهل يتذكّر أباه الحقيقي ؟

ليزا ، متنهدةً : لم أقل له الحقيقة بعد . فتارة أرى أنني لا ينبغي أن أخبره بذلك ، وتارة أخرى أظنّ أنني ينبغي أن أقول له كل شيء . ما رأيكِ ، يا أمي ؟

آنا دميتريفنا : أعتقد ، يا ليزا ، أن المسألة مسألة عاطفة . اصغي إلى قلبك ، وسيقولُ لك كيف ومتى تتكلّمين . غريب كم يُهدّىء الموت ! جاء وقتٌ بدا لي فيه فيديا الذي كنت أعرفه منذ الصغر ، كريهاً . أما الآن ، فأنا أتذكّره كما أتذكر شاباً فاتناً ، صديقاً لفيكتور ، مشبوبَ العاطفة ، ضحى بحياته في سبيل من يُحب ، وإن عمل ضد القانون والدين . ومهما يُقَلْ ، فان عماله نبيل ! أرجو ألا ينسى فيكتور أن يأتيني بالصوف . لقد نفد ما عندي منه .

(تَحيك) .

ليزا ، ها هو ذا يصل (يُسْمع صوت العجلات والأجراس ، تنهض وتقترب من حافة السطح) . مَنْ معه ؟ ألمح قبّعة امرأة في العربة ! ... آه ! ماما ! مضى دهرٌ ولم أرك .

(تتّجه إلى الباب . يدخل كارينين وآنا بافلوفنا) .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، ثم كارينين وآنا بافلوفنا » .

آنا بافلوفنا ، مقبّلةً ليزا وآنا دميتريفنا : لقيني فيكتور وجاء بي معه .

آنا دميتريفنا : أحسنَ صنعاً .

آنا بافلوفنا : رأيتُ فيكتور في الشارع ، فقلتُ في نفسي : هذه مناسبة لزيارتهم ، هذه الزيارة التي طالما أجّلتها » . وها أنا قد جئتُ . وإذا لم تَصْرفوني فسأبقى حتى قطار المساء .

كارينين ، مقبّلاً زوجته وأمه وميشا : اوه ! ما أعظم سعادتي ! هنّئوني . لا حاجة بي إلى الذهاب إلى المدينة غداً .

ليزا : ما أحسن هذا ... يومان ! هذا لا يحدث كثيراً ! سنقوم برحلة صغيرة إلى الدير ، أتريد ؟

آنا بافلوفنا ، تنظر إلى الطفل : ما أَشْبَهه بأبيه ! وما أقواه ! بشرط ألا يرث عن أبيه غير القلب ! . . .

آنا دميتريفنا : لا ضعْفَه ! ...

ليزا : كل شيء كل شيء ! فيكتور من رأيي أيضاً . لو أن أباه لقي فقط التوجيه الحسن منذ الطفولة .

آنا بافلوفنا : لا أفهم ما تقولينه . لكني قلما أستطيع التفكير فيه دون أن أبكي .

ليزا : ونحن كذلك . كم عَظُمَ في ذاكرتنا !

آنا بافلوفنا : لا شك في ذلك .

ليزا : كيف بدا ذلك كلُّه ، في لحظةٍ من اللحظات ، مستعصياً على الحل ، وكيف حُلَّ ذلك كله فجأةً .

آنا دميتريفنا : هل حَمَلْتَ صوفاً معك ، يا فيكتور ؟

كارينين : طبعا ، حملتُ كل شيء (يأخذ الكيس ويُفْرغه) . هو ذا الصوف ، وماء الكولونيا ، والرسائل . وهذه رسالةٌ من المحكمة لكِ (يمد إليها الرسالةَ) . حسناً ! سأقودك إلى غرفتك ، يا آنا بافلوفنا . ويجب أن أنظّف نفسي قبل العشاء . ليزا ، أليست الغرفة التي تحت ، في الزاوية ، هي التي ينبغي أن نعطيها آنا بافلوفنا ؟ (ليزا تتناول الورقة وتقرأ ، وهي ممتقعة ، مرتجفة اليدين) . ليزا ، ما بكِ ؟ ما هذه الورقة ؟

ليزا : آوه ! يا إلهي ! هو حيّ ! متى سأتخلّص منه ؟ ما معنى هذا ، فيكتور ؟

(تنتحب) .

فيكتور ، يأخذ الورقة ويتصفّحها : هذا فظيع !

آنا دميتريفنا : ماذا ؟ قلْ لي .

فيكتور : هذا فظيع . هو حي . وهي متزوجةٌ من اثنين . وأنا

مجرم . هذا أمر من قاضي التحقيق يُنذر ليزا بالمثول بين يديه .

آنا دميتريفنا : يا له من رجل رهيب ! لمَ فَعَلَ ذلك ؟

فيكتور : كل شيء كذبٌ ... كذب ...

ليزا : اوه ! كم أكرهه ! لم أعدْ أعلم ماذا أقول .

(تخرجُ باكية . يتبعها كارينين) .

آنا بافلوفنا : لكنْ كيف ظلّ حيّاً ؟

آنا دميتريفنا : كنت أعلم جيداً ، منذ أن اختلط فيكتور بهؤلاء الناس، أنهم سيجرّونه إلى الوحل . وقد حدث ما توقّعْتُه . كل شيء كذب ، كذب .

ستار

الفصل السادس

اللوحة الأولى

مكتب قاضي التحقيق

المشهد ــ ١ ــ

« القاضي ، ميانيكوف ، أمين السر » :

« القاضي يجلس إلى طاولته ويتحدّث هو وميانيكوف . أمين السر يجلس إلى جانبه مستغرقاً في أوراقه » .

القاضي : لكني لم أقل لها قط شيئاً من هذا القبيل . هي التي اخترعتْ ذلك ، وهي التي تُنْحي عليّ باللائمة !

ميلينكوف : هي لا تلومك على شيء . وإنما هي حزينة .

القاضي : هيّا ، سآتي للعشاء . والآن عندي قضية مثيرةٌ للاهتمام ، وعليّ أن أحقّق فيها . (لأمين السر) أدْخلْهما

أمين السر : الاثنين معاً ؟

القاضي ، يلقي بسيجارته : لا ، السيدة كارينين وحدها ، أو على الأصح ، السيدة بروتا سوف ، باسم زوجها الأول .

ميلنيكوف ، وهو منصرفٌ : عجباً ، أهي السيدة كارينين ؟

القاضي : آه ! هذه قضية قذرة ... ما تزال في بدايتها ، لكنها تبدو سيئة . والتحقيق فيها كريه . هيا .

المشهد – ٢ –

« القاضي ، تدخل ليزا في ثوب أسود ، وعلى وجهها نقاب » .

القاضي : تفضّلي بالجلوس . (يشير إلى كرسي) . صدّقي أنني آسف كثيراً لاضطراري إلى استجوابك ، لكنه واجبي . لا تضطربي واعلمي أن لك الحق المطلق ألا تُجيبي عن أسئلتي . ومع ذلك فانا مقتنعٌ بأن من الخير لكِ وللآخرين جميعاً أن تقولي الحقيقة ببساطة . هذا أفضل دائماً وأيسر .

ليزا : ليس عندي ما أُخبّئه .

القاضي : حسنٌ . (ينظر إلى أوراقه) . كتبتُ من قبل اسمك وصفتك ودينك . انظري إن كان ذلك صحيحاً ؟

ليزا ، تقرأ الورقة ؛ نعم .

القاضي : أنتِ متهمة بأنك تزوّجتِ رجلا آخر ، مع أن زوجك حيٌّ ، وأنك تعلمين ذلك . . .

ليزا : ما كنتُ أعلم أن زوجي حيّ .

القاضي : أنتِ متّهمةٌ أنك حرّضْتِ بالمال زوجَك على التظاهر بالانتحار من أجل التخلّص منه .

ليزا : كل هذا غيرُ صحيح .

القاضي : اسمحي لي إذن أن أطرح عليكِ بعض الأسئلة . هل أرسلت في شهر تموز من العام الماضي ألفاً ومائتي روبل لزوجك ؟

ليزا : هذا المال ملكُه لأنه جاء من بيع أغراضه . أرسلْتُه إليه عندما افترقْنا . وكنت أنتظر الطلاقَ إذ ذاك .

القاضي : لنقبلْ بذلك . أُرْسِلَ هذا المال في ١٧ ، أي قبل اختفائه بيومين .

ليزا : من الممكن أن يكون ذلك في ١٧ ؛ لستُ أذكر .

القاضي : لماذا سحبتِ طلباك من المجمع الديني ورفضتِ خدمات محاميك ، في تلك اللحظة ، وفي آنٍ واحد ؟

ليزا : لا أدري . . .

القاضي : طيّب ، عندما دعتْكِ الشرطةُ إلى رؤية الجثة ، كيف جرى أن عرَفْتِ أنها جثة زوجك .

ليزا : كنتُ مضطربة اضطرابا شديداً حتى إني لم أكد أرى ... ثم إني كنت مقتنعة بأنه هو ، وعندما سُئِلتُ أجبت أنه يبدو لي ذلك .

القاضي : نعم . . . لم تنظري إليه جيداً بسبب انفعالك ، وهو أمرٌ يسهلُ فهمُه ، على كل حال . جيّد . لكنْ أتريدين أن تقولي لي لماذا ظللتِ ترسلين في كل شهر مبلغاً من المال إلى ساراتوف ، وهي بالضبط المدينة التي كان يعيش فيها زوجُكِ ؟

ليزا : زوجي هو الذي كان يرُسل هذا المال ، ولا أستطيع أن أعيّن لك الجهة التي يذهبُ إليها ؛ ليس هذا سراً من أسراري . لكن هذا المال لم يكن مُرسَلاً إلى فيدور ،

فاسيليبيفيتش . لأننا كنا واثقين من أنه ميت . أستطيع أن أؤكد لك ذلك .

القاضي : جيد . اعلمي ، يا سيدتي ، أننا وإن كنّا خدّام القانون ، فنحن بشرٌ مع ذلك ، وصدّقي أنني أفهم جيداً وضعك وأشاركك مصابك . كنتِ مرتبطة برجلٍ يُبدّد ثروته ، ويخدعك ، ويجرّ الشقاء على . . .

ليزا : كنتُ أحبّه .

القاضي : نعم ، لكن من الطبيعي مع ذلك أن تكوني قد أردتِ التخلّص منه مختارةً هذه الوسيلة البسيطة جداً ، دون أن يخطر لكِ أنها تقودك إلى ما يُعتَبَرُ جريمةً : إلى الزواج باثنين . . أنا أفهم ذلك ، وأنا مقتنعٌ بأن هيئة التحكيم تفهم أيضاً . . . ولذلك أنصحكِ أن تعترفي بكل شيء .

ليزا : ليس لديّ ما أعترفُ به . . . ولم أكذبْ قط . (تشرع في البكاء) . ألم تعدْ بحاجة إليّ ؟

القاضي : أطلبُ إليك أن تبقَيْ لحظة أخرى . آوه ! لن أضايقك بأسئلتي . تفضّلي واقرئي شهاداتك ووقّعي عليها . وانظري هل حُرِّرت أجوبتُك تحريراً صحيحاً . . . اجلسي هنا . . . (لأمين السر) . أدخلْ السيد كارينين .

(يدخل كارينين وقوراً ، رسمياً) .

المشهد – ٣ –

« الأشخاص أنفسهم ، كارينين » .

القاضي : تفضّلْ بالجلوس ، أرجوك .

كارينين ، واقفاً : ماذا تريد مني ؟

القاضي : أنا مضطرٌ إلى استجوابك .

كارينين : بأية صفة ؟

القاضي ، مبتسماً : أنا بصفتي قاضي التحقيق ؛ أما أنتَ فيجب أن آخذ شهادتك بصفتك متّهماً .

كارينين : متّهماً بماذا ؟

القاضي : بعقد الزواج مع امرأة متزوّجة . . . على كل حال ، اسمحْ لي أن أطرح عليك الأسئلة بترتيبها ، اجلسْ .

كارينين : شكراً .

القاضي : اسمك ؟

كارينين : فيكتور كارينين .

القاضي : صفتك ؟

كارينين : حاجب في البلاط الامبراطوري . مستشار دولة حالي . ثمانية وثلاثون عاماً .

القاضي : دينك ؟

كارينين : اورثوذوكسي . لم أكن متّهماً أو ظنيناً قط . وبعد ذلك ؟

القاضي : أكنتَ تعلم أن فيدور فاسيلييفيتش كان حياً عندما عقدت الزواج مع امرأتك ؟

كارينين : لا ، لم أكن أعلم . كنا مقتنعيْن نحن الاثنين بأنه غرق .

القاضي : لمِنْ كنت ترسل المال كل شهر إلى « ساراتوف » ، بعد موت بروتاسوف المزعوم ؟

كارينين : لا أرغبُ في الجواب عن هذا السؤال .

القاضي : جيّد . ما الغاية من إرسال الف ومائتي روبل إلى السيد بروتاسوف في ١٧ تموز ، قبل تمثيلية موته بالضبط ؟

كارينين : هذا المال سلّمتْني إياه زوجتي .

القاضي : السيّدة بروتاسوف ؟

كارينين : سلّمتْني إياه زوجتي ليرُسَلَ إلى زوجها . كانت تعتبر هذا المال ملكاً له وترى من غير العدل أن تحتفظ به بعد أن قطعتْ كل علاقاتها بزوجها .

القاضي : سؤالُ أيضاً . لماذا أوقفْتَ مساعيك للحصول على الطلاق ؟

كارينين : لأن فيدور فاسيلييفيتش تكفّل بذلك كما كتب لي .

القاضي : هل احتفظْتَ بهذه الرسالة ؟

كارينين : لا ، أضعتُها .

القاضي : من الغريب أن كل ما يمكن أن يُقنع القضاءَ بصحة شهاداتكما ضائعٌ أو غير موجود .

كارينين : ماذا يلزمك أيضاً ؟

القاضي : يلزمني أن أقوم بواجبي ، وأنت يجب أن تُبرّيءَ نفسك . لقد نصحتُ السيدة بروتاسوف قبل قليل بما أنصحكَ به الآن ، أي ألاّ تخفي ما هو واضحٌ بالنسبة إلى الجميع ، وأن تروي كيف جرتْ الأمور ؛ أحثّك على ذلك ، ولا سيما أن السيد بروتاسوف هو في وضع اعترف فيه

بكل شيء وأنه سيكرّر الحقيقة أمام القضاة . أنصحك إذن . . .

كارينين : وأنا أنصحك أن تظلّ ضمنَ حدود وظيفتك . أما نصائحك فأنا في غنى عنها . أنستطيع الذهاب ؟

(يقترب من ليزا ويمسك بذراعها) .

القاضي : أنا آسف لاضطراري إلى احتجازكما (كارينين يلتفت بدهشة) . اوه ! لا في حالة توقيف ، لا ... ومع أن هذا التدبير يُسهّل البحث عن الحقيقة إلا أنني لا أريدُ أن ألجأ إليه . أرغب فقط أن أستجوب ، بحضوركما ، السيد بروتاسوف وأقابلكما به ، لكي يسْهل عليكما إقناعه بكذبه . اجلسا ، أرجوكما . (لأمين السر) . ادعُ السيد بروتاسوف .

(يدخل فيدور ، وسخاً ، خائر القوى تماماً) .

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، وفيديا »

فيديا ، ملتفتاً إلى ليزا وكارينين : اليزافيتا اندريفنا ... فيكتور .... ليست الغلطة غلطتي ... أردتُ أن أحسن صنعاً ... وإذا كنتُ أسيء إليكما ... فسامحاني ... سامحاني ...

(ينحني كثيراً أمامهما) .

القاضي : أرجوك أن تجيب عن أسئلتي .

فيديا : اسألْ .

القاضي : اسماك ؟

فيديا : لكنك تعرف اسمي .

القاضي : أرجوك أن تجيب .

فيديا : فيدور بروتاسوف .

القاضي : صفتاك ، ديناك ، سناك ؟

فيديا ، بعد صمت : ألا تستحي من سؤالي عن هذه الحماقات ؟ اسألني عن شيء نافع لا عن هذه البلاهات .

القاضي : أرجوك أن تكون أكثر تحفّظاً في عباراتك وأن تجيب عن أسئلتي .

فيديا : إذا كنت لا تخجل من ذلك ، فهذا هو الجواب : الصفة ، مُجاز ؛ العمر ، أربعون عاماً ؛ الدين ، ارثوذكسي . . . ثم ماذا ؟ . . .

القاضي : هل كان السيد كارينين وزوجتك يعلمان أنك حي عندما اختفيتَ ، بعد أن تركتَ ثيابك على حافة النهر ؟

فيديا : لا ، بالتأكيد ... كنت أنوي ، في الواقع ، أن أقتل نفسي ، لكن بعد ذلك . . . على كل حال ، ما الفائدة من حكاية ذلك كله ... المهم أنهما لم يكونا يعلمان أنني حيّ .

القاضي : لم قلتَ عكس ذلك لضابط الشرطة ؟

فيديا : أي ضابط شرطة ؟ ... آه ! عندما جاء إلى الملجأ الليلي ؟ ... كنت سكران وكنت أكذب ... لا أذكر ما قلتُ ...

كل ذلك ... كان هزْلاً ... وأنا الآن لستُ سكران ، وأنا أقول الحقيقة . لا ... أُقسم لك أنهما لم يكونا يعلمان شيئاً .... كانا يظنّانني ميتاً وكنتُ مسروراً بذلك . كان الأمر سيظل مجهولاً لولا هذا النذل آرتيميييف الذي وَشى بي ... وإذا كان ثمّةَ من مجرم فهو أنا ، أنا وحدي .

القاضي : أفهمُ أنك تريد أن تظهر بمظهر الكريم ، لكن القانون يتطلّب الحقيقة ... لمَ أرسلوا إليك المال ؟ (يسكت فيديا) . أكنتَ تتلقّى المال بواسطة ايغفينييف في ساراتوف ؟ (يسكت فيديا) . لمَ لا تجيب ؟ سنضع في المحضر أن الظنين لم يجب عن هذه الأسئلة . وهذا قد يضرُّ بك وبها . ماذا قررتَ إذنْ .

فيديا ، بعد صمت : كيف لا تستحي ، يا سيدي القاضي ... لماذا تتدخّل في حياة الآخرين ... أنتَ مسرورٌ لأنك في السلطة ، وتستغل ذلك لتعذّب ، جسدياً ونفسياً ، أناساً هم أفضل منك ألف مرة وأجدر بالاحترام .

القاضي : أرجوك . . . .

فيديا : لا فائدة من الرجاء ، سأقول لكَ ما أفكّر فيه . (لأمين السر) . وأنتَ ، اكتبْ . فلأول مرة سيحوي محضرٌ كلاماً معقولاً . (يرفع صوته) . كان في العالم ثلاثة أشخاص أنا ، هو ، هي . كانت علاقاتهما معقّدةً ، كانت صراعاً بين الخير والشر ، صراعاً أخلاقياً لا يمكنك أن تكوّن لنفسك فكرة عنه . وقد انتهى هذا الصراع

بوضعٍ حلَّ كلَّ شيء ، وكان برداً وسلاماً علينا جميعاً . فقد أصبحا سعيدين ، يحب كل منهما الآخر ، وقد نسياني . وأصبحتُ أنا ، في سقوطي ، سعيداً لأنني أحسنتُ صنعاً ، ولأنني ، أنا ، ذلك الشقي ، قد اختفيت لكي لا أضايق اللذيْن يفيضان حياةً ويعيشان حياةً شريفة ؛ وبالاختصار ، كنا جميعاً نحيا . وإذا بشقيّ يصل ، نصّاب يطلب مني أن أشارك في السمسرة ؛ فأطردُه ... حينذاك توجّه إلياك ، أنتَ المدافعَ عن العدل ، وحامي الأخلاق . وأنت الذي يقبض بعض الفلوس عن كلٍّ من أعمالك القذرة ، ترتدي بزّتك وتتحدّانا ، وأنت خليّ القلب ، تتحدانا نحن الذين لا تستحق أن تفكّ سيور أحذيتهم ، نحن الذين لا نقبلك في مداخل بيوتنا ! . . . لكنك في الوضع الذي يُتيحُ لك إيذاءنا ، وأنت مسرور ....

القاضي : سآمر بطردك .

فيديا : لستُ أخشى أحداً ، لأني لستُ سوى جثة . وليس بوسعك أن تفعل شيئاً بي . فلا وضعَ أسوأ من وضعي . مُرْ بطردي إذا شئتَ .

كارينين : أنستطيع أن نذهب ؟

القاضي : في الحال ، بعد توقيع المحضر .

فيديا : كم كنتَ ستكون مضحكاً لو لم تكنْ بغيضاً !

القاضي : إني أوقفُكَ ... ليُقْتَدْ .

فيديا ، لكارينين وليزا : سامحاني .

كارينين ، يتقدّم ويشدّ على يده : لا شك أن الأمور كما ذكرتَ .

(تخرج ليزا . ينحني فيديا أمامها بخشوع) .

اللوحة الثانية

« رواق في قصر العدل . في الصدر ، بابٌ مزجّجٌ ، يقف الحاجب بقربه . إلى اليمين ، بابٌ آخر يمر به الأظنّاء . يدنو إيفان بيترّوفيتش ، بثياب رثة ، من الباب الذي إلى اليمين . يريد أن يمرّ » .

« الحاجب ، ايفان بيترّوفيتش ، ثم المحامي ، الأمير ابريسكوف ، بيتوشكوف ، فيديا ، بيترّوشين ، ليزا ، ماشا ، الجمهور » .

الحاجب : إلى أين تذهب ؟ الدخول ممنوع .

ايفان بيترّوفيتش : ولمَ ذاك ؟ الجلسات عامةٌ بحسب القانون .

(يُسْمَعُ التصفيق) .

الحاجب : ممنوع والسلام ... لا يُسْمَح بالدخول .

ايفان بيترّوفيتش : قليل الأدب ! ألا تعرف مع من تتكلّم ؟

(يدخل محام شاب ، بثوب الجلسة) .

المحامي ، لايفان بيترّوفيتش : أأنتَ معنيٌّ بالقضية ؟

ايفان بيترّوفيتش : لا ! أنا من الجمهور . لكن هذا الحارس الفظ لا يدعني أدخل .

المحامي : ليس هذا مدخل الجمهور ... انتظرْ لحظةً ، فسوف تُرْفَعُ الجلسة .

(يبتعد فيصادف الأمير ابريسكوف) .

ايفان بيتروفيتش : أعلمُ ذلك . لكن يمكن أن يدعني أدخل .

الأمير : أتستطيع أن تقول لي : إلى أية نقطة وصلت القضية ؟

المحامي : إلى مرافعات المحامين . هذا بيتروشين الذي يرافع .

(يُسْمَع التصفيق مرة أخرى) .

الأمير : وكيف يتصرف الأظنّاء ؟

المحامي ، بكثير من الوقار . ولا سيما كارينين واليزافيتا اندريفنا . يحسُّ المرءُ أنهما ليسا متهمين ، وإنما هما اللذان يحكمان على المجتمع . الجميع أحسّوا بذلك . وهذا هو موضوع مرافعة بيتروشين .

الأمير : وبروتاسوف ؟

المحامي : هو في أقصى التهيّج . إنه يرتجف طوال الوقت . لكن هذا مفهوم مع الحياة التي عاشها . وقد قاطع النائبَ العام والمحامين عدة مرات . وهو في حالة من العصبية الغريبة .

الأمير : وما النتيجة ، في رأيك ؟

المحامي : من الصعب التنبؤ . فهيئة التحكيم خليطٌ متنوّع . على كل حال سيُستَبْعَد سبقُ التصميم ؛ ومع ذلك ... (يخرج سيد ، يتقدّم ابريسكوف نحو الباب) . أتريد أن تدخل ؟

الأمير : نعم ، أود ذلك .

المحامي : أنتَ الأمير ابريسكوف ، اليس كذلك ؟

الأمير : نعم .

المحامي ، للحاجب : دعْهُ يمرّ (للأمير) في الجانب الأيسر ستجد كرسياً خالياً .

(يُفتَح الباب ، وبينما يدخل الأمير ، يُسمَعُ المحامي وهو يرافع)

ايفان بيتروفيتش : هؤلاء ارستقراطيون ! لكنّي أنا أرستقراطي بالفكر ، وهذا أعلى .

المحامي : عفواً . . .

(يخرج مسرعاً) .

بيتوشكوف ، داخلاً ! آه ! صباح الخير ! أهذا أنتَ ، ايفان ، بيتروفيتش ؟ أين وصلتْ القضية ؟

الحاجب : قلّلا من الضوضاء — لستما هنا عند بائع الخمور .

(يُسْمَعُ التصفيقُ أيضاً . وتُفْتح الأبوابُ فيخرج المحامون وجمهور السيدات والسادة) .

سيدة : ما أجمل ما قال . أثّر فينا حتى أبكانا .

ضابط : هذا أحسن من رواية . لكنّ مالا أفهمه هو كيف استطاعت أن تُحبّه . . . هذا الحقير !

(يُفْتح باب آخر ، ويخرج منه الأظنّاء . ليزا وكارينين أولاً اللذان يجتازان الرواق . ثم فيديا وحده) .

السيدة : اسكتْ ، ها هو ذا ! انظرْ إليه كم هو مضطربٌ !

(تخرج السيدة مع الضابط) .

فيديا ، يقترب من ايفان بيتروفيتش ، هل جئتَ به ؟

ايفان بيتروفيتش : ها هو ذا !

(يعطيه شيئاً) .

فيديا ، يضع الشيء في جيبه ويهمّ بالخروج . يشاهد المحامي : هذا الغبي ، التافه ، المضجر ، الأبله !

بيتروشين ، محام ، ضخم ، بثياب صارخة الألوان ، حَرِك ، يتقدّم نحو فيديا : يا صديقي ، امورُنا تسير على ما يُرام . على شرط ألا تُفسد كل شيء بكلماتك الأخيرة .

فيديا : لن أتكلم على الإطلاق . ماذا تريدأن أقول ؟ لا أريدأن أتكلّم .

بيتروشين : بلى . لا بدّ من ذلك . مهلاً ، لا تَقلَقْ . قضيتنا رابحةٌ تقريباً الآن . قُلْ لهم فقط ما قُلْتَه لي ، أنا ؛ وإذا حكموا عليك فلأنك لم ترتكب الانتحار ، وهو عمل تصفه القوانين المدنية والكنسية بأنه جرم .

فيديا : لن أقول شيئاً .

بيتروشين : لماذا ؟

فيديا : لأني لا أريد . لن أتكلّم . قلْ لي فقط ما أسوأ ما يمكن أن يقع .

بيتروشين : قلتَ لك ذلك من قبل : الحدّ الأقصى هو النفي إلى سيبيريا .

فيديا : مَنْ الذي سيُنْفى ؟

بيتروشين : أنتَ وزوجتُك .

فيديا : والحدّ الأدنى ؟

بيتروشين : التوبة التي تفرضها الكنيسة ، وبالطبع ، حلّ الزواج الثاني .

فيديا : إذن سيقيّدونني بها مرة أخرى ، أو على الأصح ، سيقيّدونها بي ؟

بيتروشين : ما الحيلة ؟ لا يمكن أن يكون الأمرُ غير ذلك . لكنْ ، اهدأ ، وقلْ ، على الخصوص ، ما اتفقنا عليه ، لا أكثر . هيّا ، تعال . (في هذه اللحظة يلاحظ أن الناس يحيطون بهما ، ويستمعون إليهما) . أنا متعب ، سأستريح لحظة . استرحْ أنت أيضاً أثناء رَفْع الجلسة . المهم ألاّ تخاف .

فيديا : لا يمكن أن يكون هناك حل إذن غير هذين ؟

بيتروشين ، مبتعداً : لا حلّ آخر .

الحاجب : امضوا ، امضوا ، يا سادة ! لا تزْحموا الرواق !

فيديا : على الفور ... (يُخرج مسدّساً ويطلق رصاصة على قلبه . يُهرَع الجميع) . لا أهمية لذلك . . كل شيء يسير إلى الأفضل ... لتُدْعَ ليزا ! . . .

(يُهرَع الجمهور من الأبواب جميعاً ، كما يُهْرَع القضاةُ ، والأظناء ، والشهود ، ليزا في المقدمة ، وخلفها تُرى ماشا ، ويُرى كارينين وايفان بيتروفيتش والأمير ابريسوف) .

ليزا : مادا فعلتَ ، يا فيديا ! لماذا ؟

فيديا : سامحيني . . . لأني لم أستطع . . . أن أحرّركِ . . . ليس

هذا من أجلكِ . . . هذا أفضلُ لي أيضاً ... بما أني كنت جاهزاً . . .

ليزا : ستَحْيا ! ...

(ينحني طبيب ويتنصت لقاب فيديا) .

فيديا : لا حاجة بي إلى الطبيب لأعرف حالتي ... وداعاً ، فيكتور . . . وصلتْ ماشا بعد فوات الأوان ! (يبكي) . ما أعظم راحتي ! ... ما أعظمَ راحتي ...

(يموت)

النور يسطع في الظلام

دراما في خمسة فصول

١٩٠٠ — ١٩٠٢

الشخصيات

نيكولا ايفانوفتش سارنتزيف .
ماري ايفانوفنا سارنتزيف ، زوجته .
لوبا
ميمي
كاتيا بناته .
ستيوبا
فانيا ولداه .
بطرس سيمينوفتش كوخوفتزيف .
آلين ايفانوفنا كوخوفتزيف ، زوجته ، أخت ماري ايفانوفنا .
ليز : ابنته .
الأميرة تشيريمشانوف .
بوريس : ابنها .
تانيا : ابنتها
الكسندر ميخايلوفتش ستاركوفسكي .
فاسيلي نيكانوروفتش ، كاهن شاب .
الاب جيراسيم .
ميتروفان ايرميليتش ، مربٍّ .
الكسندر بيتروفتش ، متشرد .
ايفان زيا بريف ، فلاح .
ضبّاط ، أطباء .
طُلاّب ، سيدات
خدم ، فلاحون ، الخ .

الفصل الأول

« يمثّل المسرحُ مصطبةً مغطّاة في منزل ريفيّ جميل . أمام المصطبة حديقة ، وملعبٌ لكرة المضرب ، ومجموعة من الكرات الخشبية » .

المشهد — ١ —

« الأولاد يلعبون بالكرات الخشبية مع معلّمتهم . على المصطبة : ماري ايفانوفنا سارنتزيف ، وهي جميلةٌ ، أنيقة ، في نحو الأربعين ؛ وأختها ، آلين ايفانوفنا كوخوفتزيف ، عمرُها خمسةٌ وأربعون عاماً ، وهي قوية ، حازمةُ المظهر ، حمقاء ؛ وزوجها بطرس سيمينوفتش كوخوفتزيف في ثياب صيفية ، وهو ضخم ، منتفخ الوجه ، يضع على عينيه نظّارة بلا ساعدين . وهم جالسون من حول طاولة يُقدّم عليها شايُ السماور والقهوة ، يتناولون القهوة . بطرس سيمينوفتش يدخّن » .

آلين ايفانوفنا : لو كنتِ غريبةً عني بدلاً من أن تكوني أختي ، ولو كان نيكولا أحدَ أصدقائنا بدلاً من أن يكون زوجَكِ ، لوجدتُ ذلك كلّه طريفاً جداً ، وساحراً جداً . ولعلي كنتُ سأقول مثلما قال . كنتُ سأستلطف ذلك كثيراً . لكنني عندما أرى زوجَكِ يرتكب حماقات ، حماقات

حتمية ، فلا أستطيع أن أمتنعَ عن أقول لك رأيي . وسأقول ذلك أيضاً لزوجك . **سأصارح العزيز نيكولا ايفانوفتش برأي الناس فيه .** لستُ أخشى أحداً .

ماري ايفانوفنا: هذا لا يغيظني إطلاقاً . وأنا أرى ذلك بنفسي . لكني لا أعتقد أن ذلك خطيرٌ جداً .

آلين ايفانوفنا : نعم ، أنت لا تعتقدين ذلك ، لكنني أقول لك : إن لم تقاومي ، فسوف تُضطرّين إلى التسوّل . **وعلى هذا المنوال ...**

بطرس سيميتوفتش : لا تبالغي ! مع ثروتهم !

آلين ايفانوفنا : أجل ، إلى التسوّل . لا تقاطعْني . لا ريبَ أن كل ما يصنعهُ الرجال مُحكمُ الصنعة دائماً ، في نظرك .

بطرس سيمينوفتش : لا أدري ، قاتُ . . .

آلين ايفانوفنا : أنتَ لا تدري أبداً ما تقول ، لأنكم إذا ابتدأتم ، أنتم الرجال ، بحماقاتكم ، **فلن تجدوا ما يدعو إلى الانتهاء منها .** كل ما أقوله هو أنني لو كنت مكانَكِ لما سمحتُ بذلك ، **لأخضعتُ هذه النزواتِ للنظام .** ما معنى هذا ؟ رجلٌ متزوج ، وربّ أسرة لا يعمل شيئاً ، ويتخلّى عن كل شيء ، ويوزّع كل شيء ، **ويتكارمُ ذات اليمين وذات الشمال .** أنا أعرف كيف سينتهي ذلك . **نحن نعرف بعضاً من هذه الأشياء .**

بطرس سيمينوفتش ، لماري ايفانوفنا : اشرحي لي ، يا ماري ، ما هذا الاتجاه الجديد ؟ أنا أفهم جيداً التحرريّين ، والمجالس

الإقليمية ، والدستور ، والمدارس ، وصالات المطالعة ، وكل ما يتبع ذلك . والاشتراكيون ، والإضرابات ، وأيام الساعات الثمان ، أفهم كل ذلك أيضاً . لكن ما معنى هذا ؟ اشرحيه لي .

ماري ايفانوفنا : لقد حدثك عن ذلك هو نفسه أمس .

بطرس سيمينوفتس : أعترف لك بأنني لم أفهم شيئاً مما قال . الإنجيل ، والموعظة على الجبل ، بدون كنائس . كيف يفعل الناس إذن ليصلّوا ولغير ذلك ؟

ماري ايفانوفنا : هذا بالضبط أهمُّ شيء : إنه يَهْدم كلَّ شيء ولا يُحل شيئاً محله .

بطرس سيمينوفتش : وكيف بدأ ذلك ؟

ماري ايفانوفنا : بدأ ذلك في السنة الماضية ، منذ موت أخته . لقد اغتمّ اغتماماً شديداً ، وأخذ يتحدث بلا انقطاع عن الموت ، ثم مَرِض ، كما تعلم . وحينئذ تغيرّ كلياً . بعد الحمّى التيفية .

آلين ايفانوفنا : إلا أنه زارنا في موسكو ، في الربيع الماضي . كان لطيفاً جداً ، وكان يلعب معنا بالورق . كان لطيفاً جداً ككلّ الناس .

ماري ايفانوفنا: نعم ، لكنه كان مختلفاً كل الاختلاف .

بطرس سيميتوفتش: كيف ذلك ؟

ماري ايفانوفنا: لم يعد يكترث بأهله أبداً ، واستولتْ عليه فكرةٌ

ثابتة : الإنجيل . كان يقضي أياماً كاملةً يقرأ ، ولم يكن ينام الليل ، وكان ينهض ليقرأ وليسجّل الملاحظات ، وليكتب الاستشهادات ؛ ثم أخذ يزور الأساقفة والنسّاك ويستشيرهم في قضايا الدين .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! أكان يَعْتَرف ويتناول ؟

ماري ايفانوفنا: قبل ذلك ، منذ فترة زواجه ، أي منذ خمس وعشرين سنة ، لم يكن يقوم بالشعائر الدينية . أما في الوقت الحاضر ، فقد أخذ مرةً يتناول ويعترف في الدير ، ثم ما لبث أن قرّر أنه لا فائدةَ من ذلك ، ولا فائدة من التردد على الكنائس .

آلين ايفانوفنا : لقد قلتُ ذلك ، قلتُ إنه ليس منطقياً مع ذاته . منذ شهر كان يثابر على الصلوات والصوم ، وفجأة انقطع عن ذلك كله .

ماري ايفانوفنا: نعم ، لكن حاولي أن تكلّميه .

آلين ايفانوفنا : حاولتُ ذلك وسأحاوله مرة أخرى .

بطرس سيمينوفتش: نعم ، لكن ذلك كله ليس كبير الأهمية .

آلين ايفانوفنا : لا ريب أن ذلك لا أهمية له عندك ، لأن الرجالَ لا دين لهم .

بطرس سيمينوفتش: دعيني اتكلّم . قصدتُ أن الموضوع ليس هذا . إذا أنكر الكنيسةَ فما علاقة الإنجيل بذلك ؟

ماري ايفانوفنا: لكنه يزعم أننا يجب أن نعيش بحسب الإنجيل ، بحسب الموعظة على الجبل ، وأننا يجب أن نُعطي كلَّ ما نملك .

بطرس سيمينوفتش: كيف نعيش حينئذ ، إذا أعطينا كلَّ شيء .

آلين ايفانوفنا : حسنا ! وأين رأى في الموعظة على الجبل أن من الضروري مصافحة الخدم ؟ جاءَ في الإنجيل : « طوبى للحلماء » ولم يردْ ذكرُ المصافحةُ .

ماري ايفانوفنا: لا شك أنه يندفع وراء ذلك ، كما كان يندفع دائما ؛ اندفع زمناً وراء الموسيقا ، ثم وراء المدارس ؛ لكن هذه الفكرة لا تُريحني .

بطرس سيمينوفتش: وماذا ذهب يفعل في المدينة ؟

ماري ايفانوفنا: لم يقلْ لي ، لكنني أعلم أنه ذهب بصدد سرقة الخشب . سرق لنا الفلاحون خشباً .

بطرس سيمينوفتش: أكان ذلك في حرجة الصنوبر ؟

ماري ايفانوفنا: نعم حُكموا بالسجن وبالتعويضات عن الأضرار . لكنه قال لي إن القضية صارتْ في الاستئناف ، وأنا واثقةٌ أنه ذهب بسبب ذلك .

آلين ايفانوفنا : يريد أن يُعْفيهم من التعويضات ، وسيأتون غداً لقطع أشجار البستان .

ماري ايفانوفنا: بدؤوا يفعلون ذلك . كسّروا لنا كلَّ أشجار التفاح وداسوا القمح ، في الحقول . وهو يَغْتفر لهم كل شيء .

بطرس سيمينوفتش: هذا مدهش .

آلين ايفانوفنا : بسبب هذا بالذات قلتُ إن من المستحيل تركه على هواه فاذا لم يُنَظَّم ذلك ضاعت الثروةُ كلها . واعتقد أن واجبك كأم يقضي بأن تتخذي تدابيرك .

ماري ايفانوفنا: وماذا أستطيع أن أفعل ؟

آلين ايفانوفنا : كيف ؟ تستطيعين أن توقفيه ، أن تُفهميه أن من المستحيل أن يتصرّف هكذا . لكِ أولاد . وهذه قدوةٌ سيئة لهم .

ماري ايفانوفنا: لا شك أن ذلك مؤلم لي ، لكنني أصبر وآمل أن يمرّ ذلك كما كانت الحال في المرات السابقة .

آلين ايفانوفنا : طبعاً ، لكنْ « **كنْ مع نفسك ليكون الله معك** » . يجب أن يُحسّ أنه ليس وحده ، وأنّ من المستحيل أن يعيش هكذا .

ماري ايفانوفنا: وأسوأ شيء أنه لم يعدْ يهتم بالأولاد . أنا وحدي معنيّةٌ بتنظيم كل شيء . إلا أن لي رضيعاً من جهة، والكبار من جهة ثانية ، ثم الصبيّ والصبيّة اللذين يجب مراقبتهما . أنا وحدي ، لكل شيء . كان ، فيما مضى ، أبا حنوناً ، حريصاً على مصالح أولاده . أما الآن فقد استوى عنده كلُّ شيء . أمس بالذات قلتُ له : إن فانيا لا يَعْمل وأنه سيَرسبُ حتماً في امتحانه ؛ فأجابني إنه سيكون من الأفضل أن يتْرك فانيا المعهد كليّاً .

بطرس سيمينوفتش: لكن أين يذهبُ حينئذ .

ماري ايفانوفنا: لا يذهب إلى مكان . هذا هو أرهب شيء ، ذلك أن

كل شيء يسير سيراً سيئاً ، لكنه لا يقول ما الذي يجب فعلُه .

بطرس سيمينوفتش: هذا غريب .

آلين ايفانوفنا : ما الغريب في ذلك . هذه تماماً طريقتك المعتادة في أن تنتقد كلَّ شيء وألاّ تعمل شيئاً بنفسك .

ماري ايفانوفنا: انهى ستيوبا دراسته منذ قليل ، وعليه أن يختار مهنته ، لكن الأب لا ينصحه بشيء . كان يريد أن يدخل في مكاتب الوزير ، لكن نيكولا ايفانوفتش قال له : إنه لا يجب أن يفعل ذلك ؛ كان يريد أن يدخل في فرسان الحرس ، فلم يوافقْ نيكولا ايفانوفتش على ذلك أيضاً . فسأله حينئذ : وماذا ينبغي أن أفعل ؟ فقال له نيكولا ايفانوفتش : لماذا لا تذهب لتحرث ؛ هذا أفضلُ من العمل في المكاتب . ماذا ينبغي أن يَفْعل ؟ جاء إليّ وسألني رأيي ، وأنا مكرهَةٌ أن اتّخذ قراري . لكنه هو السيّد .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! يجب أن تقولي له ذلك كله بصراحة .

ماري ايفانوفنا: آه نعم . لا بدّ من ذلك ، وسأكلّمه .

آلين ايفانوفنا : قولي له بكل بساطة : إنك لا تستطيعين أن تعيشي هكذا ، وأنك تقومين بواجباتك ، وأن عليه أن يقوم بواجباته ؛ وإلا فلينقلْ إليك كلّ شيء .

ماري ايفانوفنا: آه ! ما أشقّ ذلك كله !

آلين ايفانوفنا : سأقول له أنا ذلك ، إذا شئتِ . سأصارحه برأي الناس فيه .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم وكاهن شاب يدخل متخوّفاً ومضطرباً ، ممسكاً بيده كتاباً ؛ يصافح كلاً من الحاضرين .

الكاهن : جئتُ أزور نيكولا ايفانوفتش ، تقريباً . أعَدْتُ إليه كتاباً .

ماري ايفانوفنا: ذهب إلى المدينة . وسيعود بعد قليل .

آلين ايفانوفنا : وما هذا الكتاب الذي أخذْتَهُ ؟

الكاهن : هو ، تقريباً ، كتاب « رينان » : حياة يسوع (١) .

بطرس سيمينوفتش: عجباً ! أهذا ما تَقْرؤُه ؟

آلين ايفانوفنا ، بادية الاحتقار : نيكولا ايفانوفتش هو الذي أعارَكَ هذا الكتاب ! حسناً ! أأنتَ متّفقٌ مع نيكولا ايفانوفتش ومع السيد رينان ؟

الكاهن ، يشعل سيجارة ، منفعلاً : نيكولا ايفانوفتش نَصَحني بقراءته . ولا شك أني غير متّفق معه . ولو كنتُ متّفقاً معه تقريباً ، لما أصبحتُ ، كما يُقال ، خادماً للكنيسة .

آلين إيفانوفنا : لكنك إن كنتَ خادماً أميناً للكنيسة ، كما يقال ، فلماذا لم تُقنعْ نيكولا ايفانوفتش ؟

الكاهن : لكلٍ رأيهُ الذي كوّنه حول هذه الموضوعات ، تقريباً ،

---

(١) كتاب رينان : كان لأعمال رينان (١٨٢٣ – ١٨٩٢) تأثير كبير في تولستوي وفي مفهومه عن المسيح .

ونيكولا ايفانوفتش مُحقٌّ في كثير من الأشياء ، لكنْ يمكن القول : إنه على خطأ فيما يخصّ الكنيسةَ .

آلين ايفانوفنا ، باحتقار : في أيّ الأشياء هو محقٌّ ؟ أمِنَ العدل أن يوزّع أمواله على الغرباء ، بحسب الموعظة على الجبل ، ويُلجىء أسرتَه إلى التسوّل ؟ .

الكاهن : الكنيسة تقدّس الأسرةَ ، إن أمكن القول ، وآباء الكنيسة باركوا الأسرةَ ،إن أمكن القولُ ؛ لكن الكمال الأسمى يقتضي ، تقريباً ، التخلّي عن الخيرات الأرضية .

آلين ايفانوفنا : نعم ، هذا صالحٌ بالنسبة إلى القدّيسين ، لكنني أعتقد أن البشر البسطاء يجب أن يتصرّفوا ببساطة ، كما يليق بكل مسيحي صالح .

الكاهن : لا يعرف أحدٌ ما الذي قُدِّر له .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! لا شك أنك متزوج ؟

الكاهن : أجل .

آلين ايفانوفنا : ألك أولاد ؟

الكاهن : لي اثنان .

آلين ايفانوفنا : لماذا إذن لا تتخلّى عن الخيرات الأرضيّة ؟ وها أنت تدخّن السيجارات .

الكاهن : ذلك بسبب ضعفي ، يمكن القول ، بسبب حقارتي .

آلين ايفانوفنا : نعم ، أرى ذلك ؛ فبدلاً من أن تَردَّ نيكولا ايفانوفتش

إلى الصواب أراك تَسْنُدُه ... هذا ليس حسناً ، أقول لك ذلك بصراحة .

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، المرضع » .

المرضع ، داخلةً : ألم تسمعي بعدُ بكاءَ نيكولا الصغير ! هو عطشان .

ماري ايفانوفنا: أنا ذاهبة إليه ، أنا ذاهبة إليه .

(تنهض وتخرج) .

آلين ايفانوفنا : كم أرثي لأختي ! أراها تتألم . ليس شيئاً سهلاً أن تُدير بيتاً . سبعة أولاد أحدهم مازال يرضع ، ثم هناك فوق ذلك كل هذه الابتكارات . يبدو لي حقاً أن الأمور تسير سيراً سيئاً هنا . (مشيرةً إلى رأسها ...) صَرْعةٌ . أحب أن أسألكَ : ما هذا الدين الجديد الذي وَجَدتموه ؟

الكاهن : لا أفهمُ ، تقريباً . . .

آلين ايفانوفنا : كُفَّ عن مخادعتي . أنت تفهم جيداً ما أَسأُلكَ عنه . . .

الكاهن : لكن اسمحي لي . . .

آلين ايفانوفنا : سألتاكَ ماذا يمكن أن يكون هذا الدين الذي بموجبه ينبغي أن نشدَّ على أيدي الفلاحين ، وأن نسمح لهم بقطع الأخشاب ، وأن نوزّع عليهم المال لشراء ماء الحياة ، بينما نهجر أسرتنا ؟

الكاهن : لا أعلم شيئاً من ذلك . . .

آلين ايفانوفنا : هو يقول : إن هذه هي المسيحية ؛ أنت كاهن ، ارثوذكسي ، يجب أن تعلم وأن تقول ما تعلم : إن كانت المسيحيةُ تأمر بتسهيل السرقة .

الكاهن : لكنني أنا . . .

آلين ايفانوفنا : إذنْ ما الفائدة من كونك كاهناً ، ومن كونك تُربّي شعراً طويلاً وتلبس جبّةً ؟

الكاهن : لكنْ لا أحد يسألنا عن ذلك .

آلين ايفانوفنا : كيف لا يسألكَ أحدٌ عن ذلك ؟ أنا أسألكَ عن ذلك . أمس كرّرَ عليّ أنه قد جاء في الإنجيل : « أعطِ مَنْ يسأل » . بأيّ معنى يجب أن نفهم ذلك ؟

الكاهن : أعتقدُ ، بالمعنى الأبسط .

آلين ايفانوفنا : وأنا أعتقد أنه ليس بالمعنى الأبسط ، لكنْ كما علّمونا : أي إن كلَّ واحد يَحْصل على ما قدّره اللهُ له .

الكاهن : لا شك ، إلا أن ...

آلين ايفانوفنا : من الواضح أنك أنتَ أيضاً من رأيه ، كما قيلَ لي . هذا سيّء ، أقول لك ذلك بصراحة . لو كان الذي اتّفق معه بالرأي معلمةَ مدرسة أو فتىً من الفتيان لقبلنا ، أما أنت ، في وضعك ، فيجب أن تفكّر في المسؤولية التي تضطلع بها .

الكاهن : إني أبذل وسعي في ذلك .

آلين ايفانوفنا : وما هذا الدينُ الذي يمنعه من الذهاب إلى الكنيسة ومن الاعتراف بالأسرار المقدّسة ؟ أما أنتَ فبدلا من أن تردّه إلى الصواب نراك تقرأ « رينان » وتفسّر الإنجيل على طريقتك .

الكاهن ، مضطرباً : لا يمكنني الإجابة . أنا منذهل ، تقريباً ... وسأسكت .

آلين ايفانوفنا : آه ! لو كنتُ رئيسَ الأساقفة ، لعلّمتكَ كيف تقرأ رينان وتدخّن السيجارات !

بطرس سيمينوفتش: كفّي عن ذلك ، بجاه السماء ! بأيّ حقّ ؟

آلين ايفانوفنا : أرجوكَ ، لا تُبْدِ ملاحظاتكَ عليّ . أنا واثقة من أن الأبَ لا يحقد علي . ها أنا قد قلتُ كلّ شيء . ولو سكتَ على ضغينةٍ لكان ذلك أسوأ . أليس كذلك ؟

الكاهن : سامحيني إذا لم أحسن التعبير . سامحيني .

(صمت شاق ، لوبا وليز تدخلان) .

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، ثم لوبا وليز . لوبا ، عشرون عاماً ، فتاةٌ قوية وجميلة ، ابنة ماري ايفانوفنا . ليز أكبر سنا منها ، ابنة آلين ايفانوفنا . كلتاهما تضع على رأسها منديلاً ، وتحمل سلةً لجمع الفطور . وقد جاءتا لتسلّما ، لوبا على خالتها وزوج خالتها ، ليز على أبيها وأمها والكاهن .

لوبا : وأين أمي ؟

آلين ايفانوفنا : ذهبتْ لتُرضع الصغير .

بطرس سيمينوفتش: اذهبا واحملا أكبر كمية ممكنة . بنتٌ صغيرةٌ جاءت اليوم بفطور رائعة . ولولا أن الطقس حار لذهبتُ معكما .

ليز : تعال معنا ، بابا .

آلين ايفانوفنا : اذهبْ معهما ، فأنت تسمن كثيراً .

بطرس سيمينوفتش: قبِلتُ ، انتظراني حتى آتي بالسيجارات .

(يخرج) .

آلين ايفانوفنا : وأين بقيّةُ الجماعة ؟

لوبا : ستيوبا ذهب إلى المحطّة ، على الدرّاجة . دميتري ، الكسيفتش ذهب إلى المدينة مع بابا ، الصغار يلعبون بالكرات الخشبية ، وفانيا هنا على درج المدخل يلهو مع الكلاب .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! هل اتّخذ ستيوباً قراراً ما ؟

لوبا : نعم ، حمل بنفسه طلبه ليتطوّع(١) . كان أمس وقحاً مع بابا ، بشكل مثير .

آلين ايفانوفنا : لكنه يتألم أيضاً . للصبر حدود . على الشباب أن يعملوا ، ،

---

(١) ليتطوع : بحسب قانون ١٨٧٤ كان الشباب الذين حصلوا على البكالوريا لا يقضون سوى سنة واحدة في الخدمة العسكرية كمتطوعين ، في فوج يختارونه ؛وبعد ذلك يستطيعون أن يتقدموا إلى امتحان الضابط .

لوبا : بابا لم يقل له هكذا ، قال له . . .

آلين ايفانوفنا : مهما يكن ! إنما ستيوبا ما يزال في بداية حياته ، ومِنْ كلّ ما شرع به لاشيء يناسب . لكن ها هوذا .

المشهد — ٥ —

« الأشخاص أنفسهم ، ثم ستيوبا الذي يصل على الدراجة ، ثم فانيا ، ثم نيكولا ايفانوفتش » .

آلين ايفانوفنا : عندما نذكر الشمس نرى أشعتَّها . ذكرناك قبل قليل . قالت لوبا إناك أسأتَ الردَّ على أبيك .

ستيوبا : لا ، إطلاقاً . لم يكن بيننا شيءٌ خاص . قال لي رأيه ؛ وأنا ، قلتُ له رأيي . وليست غلطتي إنْ لم يتّفقْ رأيانا . لكن لوبا لا تَفْهم شيئاً وتُقْحم نفسها في الحكم على كل شيء .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! وماذا قررّتَ ؟

ستيوبا : لا أعلم ماذا قرّر بابا ؛ أخشى ألا يعرف ما يقرّره . أما أنا فقد عزمتُ على أن أتطوّع في فرسان الحرس . كل ذلك بسيط جداً . أنهيتُ دراستي ويجب أن أؤدي فترةَ خدمتي العسكرية . ولكني استثقل أداءَها في الجيش النظامي مع الضباط السكارى والأفظاظ ؛ لهذا تطوعت في الحرس الذي لي فيه أصدقاء .

آلين ايفانوفنا : نعم ! ولكن لماذا لم يُردْ أبوك ذلك ؟

ستيوبا : بابا ! ماذا بوسعي أن أقول عنه ! إنه الآن تحت تأثير فكرته

الثابتة ؛ وهو لا يرى إلا ما يريد أن يراه . قال إن الخدمة العسكرية هي أحقرُ خدمة ومن ثمّ لا يجب أن تُؤَدّى . لذلك لا يعطيني مالاً .

ليز : لا ، ستيوبا ، لم يقلْ كذلك . كنتُ حاضرةً . قال : إذا كنا لا نستطيع أن نتجنّب الخدمة فَلْنؤَدّها ككلّ الناس ، وأننا إذا تطوّعْنا فمعنى ذلك أننا وجهْنا أنفسنا للخدمة .

ستيوبا : لكنّي أنا الذي سيؤدي الخدمة العسكرية ، لا هو . ولقد خَدَمَ هو مع ذلك .

ليز : نعم ، لكنه قال : ليست المسألة أنه لا يريد أن يعطي مالاً ، بل إنه لا يريد أن يُشارك في شيء مناقض لقناعاته .

ستيوبا : القضية ليستْ قضية قناعات هنا ؛ يجب تأدية الخدمة ، وهذا كل شيء .

ليز : لا أقول إلا ما سمعتُه .

ستيوبا : أَعلمُ أنك توافقين بابا في كل شيء . أتعلمين ، يا خالتي ، أن ليز على اتفاق دائماً مع بابا .

ليز : مع ما هو صحيح . . .

آلين ايفانوفنا : أعلم جيداً أن ليز توافق على جميع الحماقات . تُحسّ أين توجد الحماقات . تشمّها من بعيد .

« يدخل فانيا في قميص أحمر ، يسارع ومعه كلابه ، وهو يحمل برقيّةً في يده » .

فانيا ، للوبا : احْزري مَنْ الذي جاء ؟

لوبا : ليس هناك ما نحزره . هات البرقيةَ .

(تحاول أن تأخذها ، فيقاوم) .

فانيا : لن أعطيكِ إياها ولن أقول لكِ مِمّنْ هي . هي من شخص يجعلك تحمرّين خجلاً .

لوبا : هذا حمقٌ . ممّنْ البرقيةُ ؟

فانيا : ها هي تحمرّ . احمرّت . خالة آلين ، ألمْ تحمرّ ؟

لوبا : كُفّ عن حماقاتك ! ممّنْ هي ؟ خالة آلين ، ممّنْ هي ؟

آلين ايفانوفنا : من آل تشيريمشانوف .

لوبا : آه ! آه !

فانيا : انظروا ، آه ! لماذا تحمرّين ؟

لوبا : أرني البرقية ، يا خالتي . (تقرأ) سنصل في قطار البريد ، نحن الثلاثة تشيريمشانوف » . ستأتي إذن الأميرة مع بوريس وتانيا . حسناً ! أنا مسرورة جداً .

فانيا : لا شك أنك مسرورة . انظر ، ستيوبا ، كم احمرّتْ .

ستيوبا : كُفّ ، لا تضايقها بعدُ ، أنت تفعل الشيءَ نفسه دائماً .

فانيا : آه ! نعم ، ذلك لأنك تريد أن تُغازل تانيا . وسيتحتّم عليكما أن تقترعا ، لأنه لا يمكن تزويج الأخت بزوجٍ وتزويج أخيها بأخت الزوج .

ستيوبا : كفى كلاماً . دعنا وشأننا . كم مرة قلت لك ذلك .

ليز : إن وصلوا بقطار البريد فيجب أن يكونوا هنا في هذه اللحظة .

لوبا : صحيح . لِنَتَبْقَ إذن .

(يدخل بطرس سيمينوفتش حاملاً سيجاراته) .

لوبا : عمّ بطرس ، لن نذهب إلى جَنْي الفطور .

بطرس سيمينوفتش: ولمَ ذاك ؟

لوبا : سيصل آل تشيريمشانوف في هذه اللحظة . الأفضل أن نلعب بكرة المضرب لعبةَ الثأر . ستيوبا ، أتقبل ؟

ستيوبا : قبلتُ .

لوبا : أنا وفانيا ضدكما أنت وليز . موافق ؟ سآتي بالكرات وسأدعو الأولاد .

(تخرج) .

بطرس سيمينوفتش: وها أنا أبقى .

الكاهن الذي يهمّ بالخروج : تهانيّ .

آلين ايفانوفنا : لا ، انتظرْ ، يا أبي . أحبّ أن أتحدّث معك . ثمّ إن نيكولا ايفانوفتش سيكون هنا بعد قليل .

الكاهن ، يعود إلى الجلوس ويُشعل سيجارة : ربما تأخّر .

آلين ايفانوفنا : ها قد وصلتْ عربةٌ . لا بدّ أنه هو .

بطرس سيمينوفتش: ومن هذه التشيريمشانوف ؟ أهي التي من آل غوليتزين ؟

آلين ايفانوفنا : أجل ، إنها تشيريمشانوف الفاتنة التي عاشت في روما مع عمتها .

بطرس سيمينوفتش: كم سأكون سعيداً برؤيتها . لم أرها منذ روما حيثُ كانت تغني غناءً ثنائياً معي . كانت تغني غناء لطيفاً جداً . لها ولدان ، أليس كذلك ؟

آلين ايفانوفنا : نعم ، وهما يرافقانها كلاهما .

بطرس سيمينوفتش: لم أكن أعلم أنها على صلة حميمة مع آل سارنتزيف.

آلين ايفانوفنا : ليسوا على صلة حميمة ، لكنهم قضوا السنةَ الماضية معاً في الخارج ، ويبدو لي أن الأميرة تفكّر في تزويج لوبا بابنها . هي داهية .

بطرس سيمينوفتش: لكن آل تشيريمشانوف كانوا أغنياء هم أنفسهم .

آلين ايفانوفنا : كانوا أغنياء . الأمير مازال حياً . لكنه أضاع كلَّ شيء وعكف على الشراب . فقدّمتْ التماساً للامبراطور ، وأنقذتْ بعض الفضلات من ثروتها وهجرتْ زوجَها . لكنها ربّتْ ولديها تربيةً رائعة . يجب أن نُنصفها من هذا الجانب . والبنت موسيقيةٌ ممتازة ، والولد الذي أنهى دروسه في الجامعة فتى رائع . على أني أظن أن ماشا غير مسرورة . فليس هذا الوقت مناسباً لاستقبال الناس آه ! ها هو نيكولا !

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً : طاب يومُكم ، آلين ، بطرس سيمينوفتش. آه ! (للكاهن) فاسيلي نيكانوروفتش .

(يشدّ على يده) .

آلين ايفانوفنا : ما يزال هناك قهوة . أتريد شيئاً منها . بردتْ قليلاً لكننا نستطيع تسخينها .

(تدق الجرس) .

نيكولا ايفانوفتش : لا ، شكراً . تغدّيت . أين ماشا ؟

آلين ايفانوفنا : تُرضع الصغير .

نيكولا ايفانوفتش : وهل هي بحال جيدة ؟

آلين ايفانوفتش : أجل ! حسناً ! هل انتهيتَ من أعمالك ؟

نيكولا ايفانوفتش : أنتهيتُ منها ، نعم . إن بقي عندك شايٌ أو قهوة ، فأعطيني شيئاً منهما . (للكاهن) . هل جئتَ بالكتاب ، هل قرأتَه ؟ فكّرتُ فيك طوالَ الطريق .

(يدخل خادم . يُحيّي . يشدّ نيكولا ايفانوفتش على يده . تهزّ آلين ايفانوفنا كتفيها وتبادلُ زوجها النظرات) .

آلين ايفانوفنا : أضفْ شيئاً من النار إلى السماور ، من فضلك .

نيكولا ايفانوفتش : لا لزوم لذلك ، آلين . ولا أشتهي ذلك . وإذا ما أردتُ شيئاً من الشاي أو القهوة تناولتُه كما هو .

ميسي ، تشاهد أباها ، تترك الكرات الخشبيّة راكضةً وتتعلق بعنق أبيها : بابا ، تعال معي .

نيكولا ايفانوفتش ، يداعبُها : بعد قليل ، دعيني أنهي طعامي . اذهبي والعبي . سآتي .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! وهل حكمتْ المحكمة على الفلاحين ؟

(نيكولا ايفانوفتش يجاس إلى الطاولة ، يشرب شايه ويأكل بشراهة ، دون أن يجيب) .

آلين ايفانوفنا : هل حُكِمَ عايهم ؟

نيكولا ايفانوفتش : نعمْ ، حُكم عايهم . ثم إنهم اعترفوا . (للكاهن) ظننتُ أناك لن تقتنع بريننان إلا بصعوبة .

آلين ايفانوفنا : لكنك لم تكن مسروراً من الحكم ؟

نيكولا ايفانوفتش ، متكدّراً : طبعاً ، لم أكنْ مسروراً . (للكاهن) . المسألة عندك ليست في ألوهية المسيح ولا في تاريخ المسيحية ، بل في الكنيسة .

آلين ايفانوفنا : كيف يكون ذلك ؟ هم اعترفوا **وأنت تكذبهم** . لمْ يسرقوا وإنما أخذوا .

نيكولا ايفانوفتش ، وقد بدأ يتكلّم مع الكاهن ، يستدير وهو بادي الحزم نحو آلين ايفانوفنا : آلين ، يا عزيزتي ، لا تعذبّيني بوخز دبابيسك وبتلميحاتك .

آلين ايفانوفنا : لا ، على الإطلاق . . .

نيكولا ايفانوفتش : إذا كنتِ ترغبين حقاً أن تعامي لماذا لا أريد أن ألاحق الفلاحين الذين قطعوا الأخشاب التي كانوا يحتاجون إليها . . .

آلين ايفافوفنا : أظن أنهم قد يحتاجون إلى هذا السماور أيضاً .

نيكولا ايفانوفتش : حسناً ! إذا أردتِ أن أقول لك لماذا لا أقبل بأن

يُسْجَنَ هؤلاء الناسُ الذين قطعوا عشر سنديانات في غابة تُعْتَبَرُ ملكاً لي . . .

آلين ايفانوفنا : كل الناس يَعْتبرونها كذلك .

بطرس سيمينوفتش: ها قد عادت المخاصمات من جديد . أفضّل أن أذهب إلى الحديقة ، مع الكلاب .

(ينزل عن المصطبة) .

نيكولا ايفانوفتش : حتّى لو اعتبرنا هذا الغاب ملكاً لي ، وذلك مالا أقبل به ، فان عندنا تسع مئة هكتار من الغابات ؛ وفي كل هكتار نحو خمس مئة شجرة ، فيكون المجموع إذن اربع مئة وخمسين ألف شجرة (على ما يبدو لي) . وقد قطعوا عشراً ، أي بنسبة واحد إلى خمسة وأربعين ألفاً ؛ فهل يستحق هذا ، هل يجوز أن نَنْتزع رجلاً من عائلته لهذا السبب ونرمي به في السجن ؟

ستيوبا : بلا ريب ، لكن إذا لم يُعاقَبوا بقسوة من أجل هذا الجزء الضشيل فان بقية الأجزاء ستُقطع أيضاً .

نيكولا ايفانوفتش : كل ما قلتُه فانما أقوله للخالة وحدها ، لكنْ ليس لي ، في الواقع ، أي حقّ على هذه الغابة . الأرض ملكٌ للناس جميعاً ، أي انها لا تجوز أن تكون ملكاً لأحد . ونحن لم نقمْ بأي عمل في هذه الأرض .

ستيوبا : لا ، لكنك وفّرتَ ، اشتغلتَ .

نيكولا ايفانوفتش : بأية طريقة حصلتُ على هذه التوفيرات ؟ ولستَ

أنا الذي يحرس الغابة . . . على كل حال ، إذا لم يشعر الإنسان بالخجل لأنه قَتَلَ إنساناً آخر ، فمن المتعذر أن نُثْبت له أنه أساءَ التصرّف .

ستيوبا : لا أحد يقتل .

نيكولا ايفانوفتش : سيان إن لم يشعر بالحجل من استغلال عمل الآخرين دون أن يَعْمل هو نفسه ؛ إن الاقتصاد السياسي الذي تدرسُه في الجامعة لا يصلح إلا لتبرير الوضع الذي نحنُ فيه .

ستيوبا : على العكس ، العلم يهدم كل الآراء المُسْبقة .

نيكولا ايفانوفتش : على كل حال ، هذا قليلُ الأهمية ، بالنسبة إليّ . ما يهمّني هو أن أعلم أنني لو كنتُ مكانَ « ايفيم » لفعلتُ مثله تماماً ، وأنني لو فعلتُ ذلك لاغتممتُ حين أدخل السجن . — **كما أريد أن أعاملُ الآخرين ، بالطريقة نفسها التي أرغب أن يعاملوني بها** — . لا أستطيع أن أدينهم ، وأنا أبذل وسعي لكي أجنّبهم الإدانة .

بطرس سيمينوفتش: إذا كان الأمر كذلك ، فمن المستحيل أن يمتلك الناسُ شيئاً .

آلين ايفانوفنا : ستكون السرقةُ حينئذ أربحَ من العمل .

ستيوبا ، في الوقت نفسه : أنت لا تجيب أبداً عن الحجج التي تُواجَه بها. قلتُ إن مَنْ وفّر شيئاً فله الحق في أن يستفيد ممّا وفّر .

نيكولا ايفانوفتش ، مبتسماً : لا أعلمُ على مَنْ أردّ . (لبطرس سيمينوفتش) . لا يجب أن نمتلك شيئاً أيضاً .

آلين ايفانوفنا : لكن إذا لم يجز أن نملك شيئاً ، وإذا تعيّن ألاّ نملك ثوباً ولا قطعة خبز ، وإذا كان يجب أن نعطي كلّ شيء ، فمن المستحيل أن نعيش .

نيكولا ايفانوفتش : ولا ينبغي أن نَحيْا كما نحيا .

ستيوبا : أيْ يجبُ أن نموت . من البديهي إذن أن هذا التعليم لا يصلح للحياة .

نيكولا ايفانوفتش : لا ، لا يصلح لا للحياة . نعم، يجب أن نعطي كل شيء ، لا الغابات وحدها التي لا نستفيد منها ولم نرها ، بل يجب أن نُعطي ثيابنا وخبزنا .

آلين ايفانوفنا : وخبز أولادنا ؟

نيكولا ايفانوفتش : نعم وخبز أولادنا ؛ لا الخبز وحده ، وإنما يجب أن نعطي أنفسنا . ها هنا تكمن تعاليم المسيح . يجب أن نبذل جهدنا كله لنعطي أنفسنا .

ستيوبا : معنى ذلك : الموت .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، إن متّ من أجل قريبك ، فهذا حسنٌ جداً لك وللآخرين . لكن المسألة أن الإنسان ليس روحاً فحسب وإنما هو روح وجسد . الجسدُ يجبرُكَ على أن تعيش لنفسك ، وروح النور تدفعك إلى أن تحيا لله ، للآخرين ؛ وكلما اقتربنا من الحياة لله ، كان ذلك أفضل . وهكذا إذن ، كلما سعْينا إلى أن نحيا لله ، كان ذلك أحسن ، في حين أن الحياة الحيوانية تتدبّر أمرها دائماً .

ستيوبا : إذنْ ، إن كان حسناً أن نعيش هكذا ، فيجب أن نعطي كل شيء ونموت .

نيكولا ايفانوفتش: سيكون ذلك رائعاً. اجهدْ في أن تفعل ذلك ، انت والآخرون ، وسيُوافي الناس أنفسهم في أحسن الحالات من جرّاء ذلك .

آلين ايفانوفنا : لا ، هذا كله غيرُ واضح . هذا معقّد جداً . هذا واه .

نيكولا ايفانوفتش : وما العمل ؟ من المستحيل شرحُ ذلك بالألفاظ . على كل حال ، كفانا نقاشاً .

ستيوبا : بالفعل ، كفانا نقاشاً ، فلم أزددْ فهماً .

(يخرج) .

نيكولا ايفانوفتش ، للكاهن : وبعدُ ، فما الانطباع الذي أحْدَثه الكتابُ فيك .

الكاهن ، مضطرباً : كيف أصفُ لك ذلك ؟ الجانب التاريخي قد عولج معالجةً واسعة ، لكنْ تَنْقصُه الدقّة ، والقناعةُ التامةُ ، لأن المصادر غير كافية ، أليس كذلك ؟ فلسنا نستطيع أن نبرهن تاريخيا أن المسيح من جوهر الهي أم لا ؛ ليس هناك سوى برهان لا جدال فيه . . .

(أثناء هذا الحوار تبتعد النساءُ أولا ، ثم يبتعد ستيوبا ، ثم بطرس ايفانوفتش ، ويبقى الكاهن وحده مع نيكولا ايفانوفتش) .

نيكولا ايفانوفتش : أيْ الكنيسة ؟

الكاهن : طبعاً ، الكنيسة ، شهادة القديسين المُعْتَرَف بهم ، أليس كذلك .

نيكولا ايفانوفتش : طبعاً ، سيكون رائعاً لو وُجدت شهادةٌ لا يمتدّ إليها الخطأُ ، شهادة تستطيع أن نؤمن بها ، وسيكون من المرغوب فيه أن توجد هذه الشهادة . لكن رغبتنا لا تَسْتتبع أن هذه الشهادة موجودة .

الكاهن : أنا ، أظن أن هذا هو ، بالتحديد ، الذي يبرهن على تلك الشهادة . فالرب لا يمكن أن يُعرّض شريعته للتشويه ، ولسوء التفسير ، وكان لا بد أن يجعل الكنيسة حارسةً لحقائقه ، حتى لا تُشوَّه حقائقُه .

نيكولا ايفانوفتش : هذا حسن . لكنْ كان عليك في البدء أن تبرهن على حقائقها ، أما الآن فعليك أن تبرهن على صحة حارسة الحقائق . . .

الكاهن : هنا ، لا بدّ من الإيمان ، أليس كذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : الإيمان ! لا بدّ من الإيمان ، من المستحيل الاستغناء عن الإيمان ، لكن لا ينبغي أن نؤمن بما يقولُه لنا الآخرون لكن بما تتوصل أنتَ إلى الإيمان به عن طريق سير فكرك وعقلك . . . الإيمان بالله ، في الحياة الحقيقية الأبدية .

الكاهن : العقلُ قد يَخْدع ؛ ولكلّ عقلُه .

نيكولا ايفانوفتش ، بحماسة : هذا تجديفٌ فظيع . إن الله أعطانا هذا السلاح المقدّس الوحيد لاكتشاف الحقيقة ، وهو وحده القادر على أن يجمع بيننا . فاذا لم نؤمن به ! . . .

الكاهن : كيف نؤمن بهما وبينهما خلاف أليس كذلك .

نيكولا ايفانوفتش : ما الخلاف ؟ أن اثنين في اثنين تساوي أربعة ، أننا لا ينبغي أن نفعل بالآخرين مالا نرغبُ فيه لأنفسنا ، أن لكل شيء سبباً ، الخ ؟ كل ذلك حقائق نعترف بها لأنها متّفقةٌ كلها مع عقلنا . أمّا أن يكون الله قد ظهر لموسى على جبل سيناء ، أو أن يكون بوذا قد طار على شعاع الشمس ، وأن يكون المسيح قد صعد إلى السماء ، في هذه الأشياء وفي مثيلاتها لسنا متّفقين .

الكاهن : لا لسنا على خلاف ، فنحن جميعاً الذين هم في الحقيقة ؛ نحن جميعاً متّحدون في إيمان واحد بالله ، المسيح .

نيكولا ايفانوفتش : حتّى في هذه النقطة لسنا مجتمعين ، بل نحن مفترقون ؛ ثمّ لماذا أؤمن باك أكثر مما أؤمن بالكاهن البوذي ؟ ما لم يكن السبب الوحيد أنني ولدت في ديانتاك ؟

(تقوم مشادّةٌ مرة أخرى بين لاعبي كرة المضرب :)

– الكرة خارج الملعب .

– لا ، ليست خارج الملعب .

فانيا : أنا رأيتها !

(أثناء الحديث ، يُحضّر خادم الطاولة والشاي ، والقهوة ، مرة أخرى) .

نيكولا ايفانوفتش : أنتَ تقول إن الكنيسة ستَمْنح الوحدة . على العكس إن أفظع شقاقٍ يأتي دائماً من الكنيسة . « كم من مرة » أردت أن أجمعكم كما تجمع الدجاجةُ فراخها » .

الكاهن : كان ذلك قبل المسيح ، لكن المسيح جَمَعَ .

نيكولا ايفانوفتش : المسيح جَمعَ ، في الواقع ، لكننا فرّقْنا ، لأننا فهمناه بالمقاوب . لقد هدمَ عدة كنائس .

الكاهن : لكن كيف تفهم : « قلْ للكنيسة » ؟

نيكولا ايفانوفتش : ليست المسألة مسألة كلام . فالكلام ليس شيئاً ولا يقول شيئاً عن الكنيسة ، وإنما المسألة مسألةُ روح العقيدة . إن عقيدة المسيح شاملة وتحتوي على جميع المعتقدات ؛ وهي لا تقبل بشيء استثنائي ، لا قيامة المسيح ولا ألوهيته ، ولا الأسرار المقدّسة ، ولا ما يفرّق .

الكاهن : أليس ذلك هو طريقتك في تفسير التعليم الديني ، لكن التعليم الديني قائمٌ كلّياً على ألوهيته وقيامته .

نيكولا ايفانوفتش : بهذا عينه كانت الكنائس مرعبةً . إنها تفرّق لأنها تؤكّد أنها تملك الحقيقة الكاملة ، التي لا جدال فيها ، والتي لا يمتدّ إليها الخطأُ . وقد بدأ ذلك مع مجمع الرسل الأول . ومنذ هذه الفترة بدأ التأكيد على امتلاك الحقيقة الكاملة التي لا حقيقة غيرها . لأنني إذا قلتُ : الله موجود ، وهو بداية الكون ، فسوف يتفق الناس جميعاً معي ، وهذا الاعتراف بالله سيجمعُنا ؛ لكني إذا قلتُ : الله — براهْما موجود ، أو الإله اليهودي ، أو الثالوث ، فمثلُ هذه الألوهية ستفرّقنا . إن الناس يريدون أن يتّحدوا ، وهم من أجل ذلك تصوّروا سُبُلَ الاتحاد ؛ لكنهم يأنفون من السبيل الأكيدة للوصول إلى تلك الوحدة ؛ وهي

الطموح إلى الحقيقة . وذلك تماماً كما لو كنا في بناء كبير جداً يسقط فيه النورُ من الأعلى إلى الوسط ، والناسُ متكوّمون في الزوايا بدلاً من أن يذهبوا إلى النور . بينما لو ذهبوا إلى النور ، دون أن يفكّروا في ذلك ، لا تّحدوا جميعاً .

الكاهن : ما العمل إذن لقيادة الشعب ، دون أن نملك حقيقة محدّدة ؟

نيكولا ايفانوفتش : هذا بالضبط ما هو فظيع . كلٌّ منا يجب أن يخلّص روحه ، وأن يُحقّق بذاته عمل الرب ، ونحن منهمكون في تخليص الناس وتعليمهم . وماذا نعلّمهم ؟ من الفظاعة أن نفكّر في أننا نعلّم الآن في أواخر القرن التاسع عشر أن الله خلَقَ العالمَ في ستة أيام ، وأنه عمل الطوفان بعد ذلك ، وأنه وضع في السفينة كل الحيوانات ، وكل الحماقات الأخرى ، وكل سخافات العهد القديم ؛ وبعد ذلك أن المسيح أمرَ أن يُرَشَّ الجميعُ بالماء وأن يؤمن الجميع بترّهات الشفاعة ، التي لاخلاص دونها ؛ وأنه ، بعد ذلك ، طار إلى السماء وجلس في السماء غير الموجودة ، على يمين الأب . لقد تعوّدنا ذلك ، لكن ذلك فظيع . إن الطفل النقيّ القلب ، الميّال إلى الخير يسأل ما الكونُ وما قوانينُه.وبدلاً من أن نكشف له تعاليم المحبة والحقيقة التي انتقلتْ إلينا ، نأخذ في حَشْوِ رأسه بعناية ، بالبلاهات والفظاعات المرعبة ، ونَنْسبها إلى الله . لكن هذا فظيع ! إنها لجريمة نكراء ، أنكر الجرائم ! وتصوّرْ أننا نحن ، أنكم أنتم الذين يرتكبون ذلك مع كنيستكم . سامحْني .

الكاهن : لا ريب أننا إذا نظرْنا إلى تعاليم المسيح بهذه الطريقة ، عقلانياً ، أليس كذلك ، فالأمرُ كما ذكرتَ .

نيكولا ايفانوفتش : انظرْ إليها كما تشاء ، فالأمرُ واحدٌ .

(صمتٌ . الكاهن يستأذن . تدخل آلين ايفا نوفنا) .

المشهد — ٦ —

« نيكولا ايفا نوفتش ، ثم آلين ايفانوفنا ، ثم ماري ايفانوفنا » .

آلين ايفانوفنا ، للكاهن : إلى اللقاء ، يا أبي ، سيَقْلبُ لك رأسَك ، فلا تُصْغِ إليه .

الكاهن : لا ، يجب أن نفحص الكتابَ المقدّس . الأمر أعْظم من أن نُهمل ذلك .

(يخرج)

آلين ايفانوفنا : الحقيقة ، يا نيكولا ، أنك لا تَرْحمُه . فبالرغم من أنه كاهن ، إلا أنه لا يمكن أن تكون قناعاته راسخةً ، إنه لم يثبتْ بعد . .

نيكولا ايفانوفتش : يجب إذن أن ندَعَه يثبت ، يتبلّدُ في الكذب . كلا ، وما الغاية من ذلك ؟ نعم ، إنه رجل طيب ، رجلٌ صادق .

آلين ايفانوفنا : لكن ماذا سيَفْعل إن آمن بك ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا حاجة به إلى الإيمان بي ، لكنه إن رأى الحقيقة ، فسيكون ذلك حسناً له وللجميع .

آلين ايفانوفنا : نعم سيكون ذلك حسناً لو أن الجميع آمنوا باك ، لكن العكس تماماً هو ما يقع . فلا أحد يؤمن باك ، وامرأتُاك قبل غيرها . ولا يمكنها أن تؤمن باك .

نيكولا ايفانوفتش : ومَنْ قال لك ذلك ؟ . .

آلين ايفانوفنا : اشرح ذلك لماشا . فهي لم تفهمْ قط ، ولن تفهم أبداً ، ولن يفهم أحدٌ في العالم أنه يجب على المرء أن يُعْنى بالآخرين ويُهْمل أولاده . اشرحْ ذلك لماشا .

نكيولا ايفانوفتش : ستفهم ماشا بالتأكيد . اغفري لي ، يا آلين ، لكنْ لو لم تكن هناك مؤثّرات خارجية ، ولو لم تكن ماشا مهيّأةً للخضوع لها ، لفهمتْني ولمشت معي .

آلين ايفانوفنا : لكي تَنْهب أولادَها لمصاحة اينيم السكير وشركائه . أنتَ غاضبٌ عليّ ، لكنْ اغفرْ لي ، فلا أستطيع الامتناعَ عن القول . . .

نيكولا ايفانوفتش : لستُ غاضباً . على العكس ، أنا مسرورٌ جداً لأنك كلّمتني بصراحة ، وأتَحْتِ لي بذلك الفرصة للتعبير عن طريقتي في التفكير . وعندما عدتُ اليوم إلى هنا فكرّتُ فيها ، وسأقول لها ذلك ، في الحال ، وسترينْ أنها ستتفق معي ، لأنها خيرّة وذكية .

آلين ايفانوفنا : اسمحْ لي أن أشاكّ في ذلك .

نيكولا ايفانوفتش : لا ، لستُ أشاك ، لأن ذلك ليس ابتكاراً من عند نفسي ، هذا ما نعرفه جميعاً ، ما أعْلنه المسيحُ لنا .

آلين ايفانوفنا : نعم ، برأيكَ ، أن المسيح أعلن لنا هذا الشيءَ ؛ وبرأيي أنه أعلن شيئاً آخر .

نيكولا ايفانوفتش : لا يمكن أن يكون ما أعلنه شيئاً آخر . انتظري ولا تناقشي ، اصغي إليّ .

آلين ايفانوفنا : هيّا ، أنا أصغي .

نيكولا ايفانوفتش : أليس صحيحاً أننا قد نموت بين لحظة وأخرى ونختفي في العدم ، أو نمتزج بالله الذي يطالب أن نحيا بحسب مشيئته ؟

آلين ايفانوفنا : وبعدُ ؟

نيكولا ايفانوفتش : وبعدْ فما الذي أستطيع أن أفعله في حياتي غير ما يطالبُه القاضي الأعلى في نفسي ، ضميري والله ، إن ضميري والله يطلبان أن اعتبر الناس متساوين ، وأن أحبّهم جميعاً وأن أخدمهم جميعاً .

آلين ايفانوفنا : وأولادك أيضاً .

نيكولا ايفانوفتش : طبعاً ، وأولادي أيضاً ، لكنْ على أن أفعل كل ما يأمرني به ضميري . المهم هو أنْ أفهمَ أن حياتي ليستْ ملكاً لي ، كما أن حياتك ليست ملكاً لك ، وإنما هي ملكٌ لله الذي أرسلَنا والذي يطالب منا أن نصنع مشيئته . ومشيئتُه . . .

آلين ايفانوفنا : هل ستُقنع ماشا بذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : بكل تأكيد .

آلين ايفانوفنا : وهل ستكفّ عن تربية الأولاد كما يجب أن تفعل ، وهل ستتركهم ؟ أبداً ، لا .

نيكولا ايفانوفتش : لن تفهم هي فقط ، بل أنتِ أيضاً ستفهمين أنْ ليس هناك شيء آخر نفعلُه .

آلين ايفانوفنا : أبداً ، لا .

(تدخل ماري ايفانوفنا) .

نيكولا ايفانوفتش : وبعدُ ، يا ماشا ، ألم أوقظك هذا الصباح ؟

ماري ايفانوفنا: لا ، لم أكن أنام . وهل أنت مسرور من سَفْرتك ؟

نيكولا ايفانوفتش : أجلْ ، جدّ مسرور .

ماري ايفانوفنا: لماذا تتناوله بارداً ؟ بالمناسبة ، يجب إعداد الشاي لزوّارنا . هل عامتَ ؟ ستصل السيدةُ تشير بمشانوف مع ابنها وابنتها .

نيكولا ايفانوفتش : حسناً ! إن كان ذلك يسرّكِ فأنا سعيد .

ماري ايفانوفنا: نعم ، وأنا أحبّها كثيراً هي وولداها . لكن اختيار الوقت لم يكن مناسباً جداً .

آلين ايفانوفنا ، ناهضة : تستطيع أن تتحدّث معها وأنا سأتفرّج على اللعب .

(تذهب . صمتٌ ، يبدأ بعده نيكولا ايفانوفتش وماري ايفانوفنا الحديثَ) .

ماري ايفانوفنا: الوقتُ غير مناسب ، لأننا بحاجة إلى الحديث .

نيكولا ايفانوفتش : ماتَ لآلين قبل قليل . . .

ماري ايفانوفنا : ماذا قلتَ ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، تكلّمي ، أنتِ .

ماري ايفانوفنا: لكني أحببتُ أن أكلّمك بشأن ستيوبا . يجب أن نقرّر شيئاً . فالمسكين طال انتظاره ليعلم ماذا سيفعل . جاء ليطلب مشورتي ، لكني لا أستطيع أن اتّخذ قراراً .

نيكولا ايفانوفتش : ليس هناك ما نقرره . يستطيع أن يقرّر هو نفسه .

ماري ايفانوفنا: لكنك تعلم أنه يريد التطوع في الحرس الامبراطوري ، ولا بد لذلك من شهادة منك ، ثم إن عليه أن يُنفق على نفسه وأنت لا تريد أن تعطيه شيئاً .

(تضطرب) .

نيكولا ايفانوفتش : ماشا ، بجاه الله ، لا تضطربي ، لكن اصغي إليّ . ليست المسألة أنني أعطي شيئاً أو لا أعطي . أنا أعتبر أن التطوّع للخدمة العسكرية برضاه التام عملٌ أبله ، وأحمق ، لا يمكن أن يكون سوى فعل رجل متوحشٍ ، إن لم يفهم فظاعة هذا الفعل ؛ أو سوى نذالةٍ إن فعَلَ ذلك لغاية محسوبة .

ماري ايفانوفنا : كل شيء الآن حمقٌ وتوحّشٌ عندك . لكنه بحاجةٍ إلى أن يعيش . ولقد عشْتَ أنتَ .

نيكولا ايفانوفتش ، متحمّساً : عشتُ عندما لم أكن أفهم ، عندما لم يكن أحدٌ قد قال لي شيئاً ؛ لكن المسألة مسألته لا مسألتي .

ماري ايفانوفنا: كيف ؟ بل مسألتك لأنك لا تعطيه مالاً .

نيكولا ايفانوفتش : ليس بوسعي أن أعطي ما لا يخصّني .

ماري ايفانوفنا : كيف ، مالا يخصّك ؟

نيكولا ايفانوفتش : كدُّ الآخرين لا يخصّني . والمال الذي سأعطيه إياه ، لا بدّ أن آخذه من الآخرين . ليس لي الحق في ذلك ، وليس بوسعي أن أفعله . وما دمتُ أنا أديرُ أملاكي ، فاست أستطيع أن أديرها إلا كما يأمرني ضميري . لا أستطيع أن أُعطي كدّ الفلاحين الذي يشتغلون بكل قواهم للإنفاق على تّهتّاك خيّالة الحرس . خُذي أملاكي فلا أعود مسؤولا بعد ذلك .

ماري ايفانوفنا: أنت تعلم جيداً أنني لا أريد ذلك ، وأنني لا أستطيع ذلك . فعليّ أن أربّي أولادي وأطعمهم وأن أضعهم . وذلك قاسٍ .

نيكولا ايفانوفتش : ماشا ، يا عزيزتي، ليس هذا هو الموضوع . فعندما بدأت الكلام أردتُ أنا نفسي أن أتحدّث معك بقلبٍ مفتوح . فالأمورُ لا يمكن أن تستمرّ على هذا المنوال ، نحن نعيش معاً من غير أن نتفاهم . وكأننا نتعمد تعمدّاً عدم التفاهم ، في بعض الأحيان .

ماري ايفانوفنا: أودّ لو أفهم ، لكنني لا أفهمك . لا أفهم ما الذي جرى لك .

نيكولا ايفانوفتش : حسناً ! حاولي أن تفهمي . الوقتُ غيرُ مناسب ، لكن الله أعلم متى يحين الوقتُ . حاولي ، لا أن تفهميني فحسب ، بل أن تفهمي نفسك أيضاً ، أن تفهمي الحياة . لاننا لا ينبغي أن نعيش هكذا دون أن نعرف لماذا .

ماري ايفانوفنا: لقد عشنا هكذا ، وعشنا عيشةً حسنةً . (تلاحظ حركة تنم على الاغتياظ) . طيّب ، طيب ، أنا أصغي .

نيكولا ايفانوفتش : أنا عشتُ هكذا ، هكذا ، أي دون أن أفكّر في التساؤل : لماذا كنتُ أعيش ، ثم آن الأوان ، وشعرتُ بالفظاعة . فاعلمي أننا نعيش من نتاج عمل الآخرين ، نشغّل الآخرين لمصلحتنا ، ونَضَعُ أولاداً في العالم ونربّيهم ليفعلوا كما نفعل . وعندما تأتي الشيخوخةُ ويأتي الموت سأتساءل لماذا عشتُ ؟ لأكثّر الطفيليّين مثلي ؟ ثم إن هذه الحياة ليست بهيجةً . وهي محتملة مادامت طاقةُ الحياة تتدفّق منّا ، كما هي الحال عند فانيا .

ماري ايفانوفنا: لكنّ جميع الناس يعيشون هكذا .

نيكولا ايفانوفتش : وجميع الناس بائسون .

ماري ايفانوفنا: لا ، أبداً .

نيكولا ايفانوفتش : أنا من جهتي رأيتُ أنني كنتُ في غاية البؤس . وأنني سبب بؤسك وبؤس الأولاد ، وتساءلتُ : أمن الممكن أن يكون الله قد خلقنا من أجل ذلك ؟ وما ان فكرت في ذلك حتى شعرتُ أنْ لا ؛ وتساءلتُ حينئذٍ مرة أخرى : لمَ خلقنا الله إذن ؟

(يدخل خادم . تنصرف ماري ايفانوفنا عن زوجها وتخاطب الخادم) .

ماري ايفانوفنا: هات قشدةً مغليّة .

نيكولا ايفانوفتش : رأيتُ الجوابَ في الإنجيل ؛ وهو أننا لا ينبغي

أن نعيش لأنفسنا . غدا ذلك بديهياً تماماً عندما فكرّتُ في مثل الكرّامين . أتعرفين هذا المثل ؟

ماري ايفانوفنا: نعم ، أعرفه . الفعَلَةُ . . .

نيكولا ايفانوفتش : أظهر لي هذا المثلُ ، بشكل أوضح من أي شيء آخر ، فيم كان يكمنْ خطئي . كنتُ أظنّ مثل هؤلاء الكرّامين أن البستان مُلكي ، وأن حياتي لي ، وكان ذلك شنيعاً ؛ لكنْ ما ان فهمت أن حياتي ليست ملكاً لي ، وأنني أُرسلتُ إلى العالم لأتمّم عمل الله . . .

ماري ايفانوفنا: لكننا نعلم ذلك كلّه .

نيكولا ايفانوفتش : إذا كنّا نعرفه فلا يجوز أن نظلّ نحيا كما نحيا ، إذْ أن حياتنا بأكملها لا تقوم على عدم إتمام مشيئته ، بل على عكس ذلك ، على مخالفتها باستمرار .

ماري ايفانوفنا: في أي شيء نخالف مشيئته إذا كنا نعيش دون أن نُسيء إلى أحد ؟

نيكولا ايفانوفتش ، كيف « دون أن نُسيء إلى أحد ؟ بهذه الطريقة عينها كان الكرّامون يفهمون الحياة . لأننا . . .

ماري ايفانوفنا: نعم ، أعرف هذا المثل . حسناً ! لقد أعطى لكل واحد حصةً مساوية لغيره .

نيكولا ايفانوفتش ، بعد صمت : لا ، ليس الأمرُ كذلك لكن اسمعي هذا الشيء ، ماشا . فكّري أننا لا نعيش إلا مرة واحدة ، وأننا نستطيع أن نعيش حياتنا بقداسة أو نفْقدها .

ماري ايفانوفنا: ليس بوسعي أن أفكر . فأنا أقضي الليالي مسّهدةً ، أرضع الصبي ، وادير شؤون المنزل ، وبدلاً من أن تساعدني ، تقول لي أشياء لا أفهمها .

نيكولا ايفانوفتش : ماشا !

ماري ايفانوفنا: وفوق ذلك هذه الزيارات .

نيكولا ايفانوفتش : سننتهي بالاتفاق . (يقبّلها) . أليس كذلك ؟

ماري ايفانوفنا: أجلْ . لكنْ ، كنْ كما كنتَ قديماً .

نيكولا ايفانوفتش : لا أستطيع ، لكن اصغي .

(تسمع أصوات الجلاجل ومركبة تدنو) .

ماري ايفانوفنا: لا وقتَ لديّ ، الآن . سأذهبُ لملاقاتهم .

(تغيب خلف ركن المنزل . يتبعُها ستيوبا ولوبا . تبدو آلين ايفانوفنا وزوجُها وليز على المصطبة ، نيكولا ايفانوفتش يمشي ذهاباً وإياباً ، غارقاً في أفكاره) .

فانيا ، قافزا من فوق المقعد : لم أترك اللعب ، سنُنهيه . لوبا ! ماذا !

لوبا ، جادّة المظهر : أرجوك أن تكفّ عن مَزْحاك .

آلين ايفانوفنا : حسناً ! هل أقنعْتَها ؟

نيكولا ايفانوفتش : آلين ، كل ما يجري بيننا بالغ الأهمية ، والمزحُ في الوقت الحاضر ليس في مكانه . لست أنا الذي يحاول أن يُقْنع ، بل الحياة ، بل الحقيقة ، بل الله . هذا الذي يُمكنه أن يُقنع ، وإذن فمن المستحيل ألا تَقْنع ، غداً إن لم يكن اليوم ، وأنْ لم يكن غداً ، فسيكون ... شيءٌ

رهيب أن الناسَ لا يملكون إلا القليل من الوقت . ومَنْ جاء ؟

بطرس سيمينوفتش: آل تشيريمشانوف . كاتيش تشيريمشانوف التي لم أرها منذ ثمانية عشر عاماً . آخر مرة التقينا فيها غنّينا معاً لحناً ثنائياً : « سيشدّ كُل منا على يد الآخر »(١) .

(يغنّي)

آلين ايفانوفنا ، لزوجها : أرجوك ألا تقاطعْني ولا يذهب بك التصوّرُ أنني سأختلف مع نيكولا . أقول لكَ الحقيقة . (لنيكولا ايفا نوفتش) . لستُ أمزح على الإطلاق ؛ لكن يبدو لي غريباً أنْ تنوي إقناعَ ماشا في اللحظة نفسها التي عَزَمتْ فيها على الحديث معك .

نيكولا ايفانوفتش : طيّب ، طيّب . هاهم أولاء . قولي لماشا ، أرجوك ، إنني سأكون في غرفتي .

(يخرج) .

ستار

---

(١) على يد الآخر : لحن ثنائي مشهور في اوبرا دون جوان لموزار .

الفصل الثاني

« في الريف ، بعد ثمانية أيام . تمثل خشبةُ المسرح صالة كبيرة ، المائدة معَدّة . سماور ، شاي وقهوة . على مقربة من الجدار بيانو وأدراج للموسيقا .

المشهد — ١ —

« ماري ايفانوفنا ، الأميرة وبطرس سيمينوفتش على الطاولة » .

بطرس سيمينوفتش: آه نعم ! يا أميرة . يبدو أنك منذ زمن قريب كنت تغنّين روزين (١) ، بينما أنا ... أنا عاجز الآن عن أن أغني حتى لحن دون بازيلو(١) .

الأميرة : ابناي يستطيعان أن يغنّيا الآن ، لكننا في زمن آخر .

بطرس سيمينوفتش: نعم ، في زمن وضعي . لكن الأميرة ، بنتاك ، تعزف بجد ، عزفاً حسناً جداً . أما يزالون جميعاً نائمين ؟

ماري ايفانوفنا: أجلْ ، ذهبوا أمس مساء في نزهة على الجياد ، في ضوء القمر . وعادوا في وقت متأخر جداً . كنتُ أُرضعُ الصغير ، وسمعتهم يدخلون .

بطرس سيمينوفتش: ومتى ستعودُ زوجتي الكريمة ؟ هل أرسلت المركبةَ لتأتي بها ؟

---

(١) روزين ودون بازيلو : شخصيتان في حلاق اشبيلية ، اوبرا روسيني .

ماري ايفانوفنا: اوه ! نعم ، ذهبتْ مبكّرة . ولن تلبثَ طويلاً حتى تعود .

الأميرة : أمن الممكن أن آلين ايفانوفنا ذهبتْ فقط لتعود بالأب جيراسيم ؟

ماري ايفانوفنا: نعم ، هذه الفكرة خطرتْ لها أمس وذهبت إليه على الفور .

الأميرة : أية طاقة ! أنا معجبة بها .

بطرس سيمينوفتش: اوه ! أما الطاقة فليست هي التي تنقصنا . (يأخذ سيجاراً) . على كل حال ، سأذهب لأدخن ولأتنزّه مع الكلاب ريثما ينهض الشباب من نومهم .

(يخرج) .

الأميرة : لعلي مخطئة ، يا عزيزتي ماري ايفانوفنا ، لكن يبدو لي أنك مهمومة بذلك كله أكثر من اللازم . وأنا أفهم ذلك . إنه سمو روحي عظيم . لكنْ ماذا يضيرك . لو أعطى الفقراء ؟ إننا نفكرّ أكثر مما ينبغي بأنفسنا .

ماري ايفانوفنا: نعم ، لو أن الأمرَ بقي هنا ؛ لكنك لا تعرفينه ، ولا تعلمين كل شيء . ليست المسألة مسألة إعانة الفقراء ، بل إنها انقلابٌ تام ، هدمُ كل شيء . . .

الأميرة : لا أريد أن أتدخل في حياتك العائلية ، لكنْ لو سمحتِ ...

ماري ايفانوفنا: كلاّ ، إنني اعتبركِ من العائلة ، ولا سيّما الآن .

الأميرة : كنتُ سأنصحك أن تقولي بإخلاص وبصدق ما ترغبين فيه وأن تتفاهمي معه . . . إلى بعض الحدود . . .

ماري ايفانوفنا ، بصوت منفعل : لا حدودَ هنا . إنه يريد أن يعطي كل شيء . يريدني الآن ، في سني ، أن أغدو طاهية وغاسلة .

الأميرة : هذا لا يُصدق ! هذا مدهش !

ماري ايفانوفنا ، مخرجة رسالةً : نحن وحدنا ، وأنا سعيدة أن أكشف لكِ عن نفسي . لقد كتبَ إلي رسالةً . سأقرؤها عليكِ .

الأميرة : كيف ، تعيشان تحت سقف واحد ويكتبُ إليك رسائل ؟ غريب .

ماري ايفانوفنا: لا ، أنا أفهم هذا . إنه ينفعل ما دام يتكلّم . وأنا قلقة ، في هذه الآونة الأخيرة ، على صحته .

الأميرة : وماذا كتبَ إليك ؟

ماري ايفانوفنا: اسمعي ! (تقرأ) . « تلومينني لأنني أفسدت نظام حياتنا القديمة ، وأنني لا أُعطي شيئاً مقابل ذلك ، وأنني لا أقول ما الذي أستطيع أن أفعله لتنظيم حياة عائلتي .

عندما نتكلم نفقد رباطةَ جأشنا ، ولذلك أكتب إليك . لقد ذكرتُ لكِ مرات السببَ الذي من أجله لا أستطيع أن أعيش كما عشتُ . أما إقناعك بأننا يجب ألاّ نعيش على هذا المنوال بل يجب أن نحيا حياةً مسيحيةً ، فذلك

يستحيل عليّ في رسالة . أنت بين اثنتين : إما أن تؤمني بالحقيقة وبالحرية وتمشي معي ؛ وإما أن تؤمني بي وتتّكلي علي من غير تبصّر لتتّبعيني » . (تقف عن القراءة) لا أستطيع أن أفعل هذا ولا ذاك . هذا ما عدا إنني سأعيش تماماً وفق إرادته . إنني أشفق على الأولاد ولا أستطيع أن اتّكل عليه . (تقرأ) « وهذه هي خطّتي(١) : سنُعطي جميع أراضينا للفلاحين ، وسنحتفظ بخمسين هكتاراً وببستان الفاكهة كله ، وأيضاً بالمرج . وسنبذل وسعنا لكي نزرعه بأنفسنا ، لكننا لن نجبر أنفسنا ولن نجبر أولادنا . وما سنحتفظ به سيغلّ علينا نحو خمس مئة روبل .

الأميرة : العيش بخمس مئة روبل ، مع سبعة أولاد ، أمرٌ مستحيل كلّياً .

ماري ايفانوفنا: وانظري ، إنه يعرض فوق ذلك خطةً كاملة : أن نهجر بيتنا لنقيم فيه مدرسةً ، وأن نعيش نحن في كوخ البستاني ، في غرفتين . . .

الأميرة : بدأت أظن أيضاً أن هذا شيءٌ مَرَضيّ . وبماذا أجبْتِ ؟

ماري ايفانوفنا: قلتُ إن هذا متعذّر علي ؛ وأنني لو كنتُ وحدي

---

(١) وهذه هي خطتي : من المفيد أن نذكر أن أحد أتباع تولستوي ، الأمير الشاب دميتري خيلكوف ، قد وزع في سنة ١٨٨٦ كل أملاكه على الفلاحين المجاورين ، ولم يحتفظ لنفسه إلا بحصة كحصة أحد الفلاحين ، وهي سبعة هكتارات ، لكي يفلحها بنفسه .

لتبعتُه حيثما ذهب ، لكنْ لا مع الأولاد . تصوّري : إنني أرضع نيكولا الصغير . قلتُ له : لا يمكن أن تحطم هكذا كل شيءٍ. أمن أجل هذا تزوجت ؟وقد صرتُ ضعيفة ، وتقدّمتُ في السن . وليس بالسهل أن تضعَ المرأة تسعة أولاد وترضعهم .

الأميرة : لكني لم أكن أتصوّر إطلاقاً أن الأمور بلغتْ هذا الحدّ .

ماري ايفانوفنا: بقيت الأمور بيننا هنا ، ولستُ أتصوّر ما الذي سينتجُ عن ذلك . لقد امتنع أمس أن يتسلّم المزارعة من فلاحي دميتروفكا وأراد أن يعطيهم الأرض .

الأميرة : يبدو لي أنك لا ينبغي أن تقبلي بذلك . نحن جميعاً مضطرّاتٌ أن ندافع عن أبنائنا . إذا كان لا يستطيع أن يملك الأرضَ فَلْينقلها إليكِ .

ماري ايفانوفنا: لكني لا أريد ذلك !

الأميرة : أنت مضطرةٌ أن تفعلي ذلك من أجل أولادك . فَلْيسجّلْ الأملاكَ باسمك .

ماري ايفانوفنا: قالت له أختي ذلك ، فأجاب أنه لا يملك الحقّ في ذلك ؛ وأن الأرضَ لمن يفلحها ، وأنه مُكْرَهٌ على نقلها إلى الفلاحين .

الأميرة : أرى الآن أن الأمور أعظم خطراً مما كنتُ أظنُّ .

ماري ايفانوفنا: والكاهن يشاطره آراءه .

الأميرة : نعم ، لاحظتُ ذلك أمس .

ماري ايفانوفنا: من أجل ذلك ذهبتْ أختي إلى موسكو . أرادت أن

تستشير كاتباً عادلاً ، وأن تأتي ، على الخصوص ، بالأب جيراسيم ، لكي ينصحه .

الأميرة : أعتقد مع ذلك أن المسيحية ليست في أن يدمّر المرء عائلاته .

ماري ايفانوفنا: أوه ! لن يقبل الاستماع إلى الأب جيراسيم . فهو قوي الإرادة ، كما تعلمين ، وإذا تكلّم فأنا لا أحسن الردّ عليه . الفظيع في الأمر هو أنه يبدو لي مُحقّاً .

الأميرة : ذلك لأنك تحبّينه .

ماري ايفانوفنا: لا أعلم لماذا ، لكن ذلك رهيب ، رهيب . كل شيء باق بلا حلّ . هذه هي المسيحية !

مربيّة الولد ، داخلة: من فضلك ، يا سيدتي ، الطفل يطلبك ، لقد استيقظ .

ماري ايفانوفنا: أنا آتية في الحال. أنا قلقة وهذا يُمْرِضُه . أنا آتية ، أنا آتية .

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً من باب آخر ، ممسكاً بورقة . لا ، هذا مستحيل !

ماري ايفانوفنا: وما ذاك ؟

نيكولا ايفانوفتش : انظري . من أجل صنوبرة حقيرة تخصّنا ، سيذهب بطرس إلى السجن .

ماري ايفانوفنا : وكيف ذاك ؟

نيكولا ايفانوفتش : أجل ! قطَعَها ، واشتكيَ عليه إلى قاضي الصلح الذي حكم عليه بالسجن لمدة شهر . وامرأته تتوسّل .

ماري ايفانوفنا: ألا يمكن أن تفعل شيئاً

نيكولا ايفانوفتش : لا يمكن الآن ؛ وليس هناك سوى شيء واحد ، ألا يبقى لدينا أخشاب ، ولن يبقى المدى . الكن ما العمل ؟ سأذهب إليه وسأرى إن أمكنتْ مساعدته ... لنُصلح ما فعلناه نحن أنفسنا .

(تدخل لوبا ومعها بوريس) .

لوبا : طاب يومك ، بابا . (تقبّله) . أين تذهب ؟

نيكولا ايفانوفتش : جئتُ من القرية وسأعودُ إليها . ففيها يُساق بائسٌ جائع إلى السجن ، لأنه . . . .

لوبا : بطرس ، بدون شك ؟

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، هو بطرس .

(يخرج)

لوبا ، جالسة قرب السماور : شاي أم قهوة .

بوريس : سيّان .

لوبا : نجد الشيء نفسه دائماً . لا أتوقّع نهاية لذلك كله .

بوريس : لست أفهم هذا . أعلمُ أن الشعب فقيرٌ وجاهل ، وأن من الواجب مساعدته ، لكننا لا نساعده بتشجيع اللصوص .

لوبا : كيف نساعده إذن ؟

بوريس : بنشاطنا كاملاً . نستطيع أن نكرس معارفنا كلها لخدمته ، لكن لا يجب أن نعطي حياتنا .

لوبا : لكن بابا يزعم أن هذا بالضبط هو ما يلزمه .

بوريس : لستُ أفهم المساعدة هكذا ؛ يمكن أن نخدم الشعب دون أن نفْتقد حياتنا . وهكذا أريد أن أنظّم حياتي . لو أنك فقط . . .

لوبا : أريد ما تريده ، ولستُ أخشى شيئاً .

بوريس : لكن هذه الأقراط وهذه الزينة ؟

لوبا : الأقراط نستطيع أن نبيعها ، أما الزينة فيمكن أن تكون مختلفة ، دون أن تكون مع ذلك بَشِعةً .

بوريس : أنا أتمنّى أن أتحدّث معه مرةً أخرى . أتظنين أني لن أكون فضولياً لو ذهبتُ إلى القرية لألقاه .

لوبا : أبداً لا . أظنّ أنه قد أخذ يحبّكَ وأنه كان يخاطبك على الأغلب ، أمس .

بوريس : حسناً ! سأذهب إليه .

لوبا : إذهبْ ، وأنا سأوقظُ ايز وتانيا .

(يفترقان)

المشهد — ٢ —

« شارع . ايفان زيابريف ، ممدد على الأرض قرب كوخه ، وهو مغطى بمعطف من جلد الخروف » .

ايفان : ميلاني !

(تخرج بنتٌ صغيرةٌ من الكوخ ، حاملة رضيعاً على ذراعيها . والرضيع يبكي) .

هاتي ماءً ، للشرب !

(تدخل ميلاني الكوخ ، يُسمَعُ صراخ الرضيع . تحمل الماءَ) .

لماذا تضربين الصغير حتى يصرخ ؟ سأقول ذلك لأمك .

ميلاني : قلْ ذلك لأمي ، إنه يبكي لأنه جائع .

ايفان ، يشرب : كان يمكنك أن تطلبي حليباً من آل ديومكين .

ميلاني : ذهبتُ إليهم فلم أجدْ حليباً . على كل حال ، لا يوجد أحدٌ في البيت .

ايفان : آه ! ليتَ الموتَ يَستعجل ! هل دقَّ جرسُ العشاء ؟

ميلاني ، صارخةً : لقد دقَّ . ها هو السيدُ يعود .

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً : لمَ أنتَ هنا ؟

ايفان : الذباب كثيرٌ والطقسُ حار .

نيكولا ايفانوفتش : وهل دَفِئْتَ أخيراً ؟

ايفان : إنني أشتعل الآن كأنني في نار .

نيكولا ايفانوفتش : وأين بطرس ؟ أهو هنا ؟

ايفان : وكيف يكون هنا ، في مثل هذا الوقت . ذهب إلى الحقول مع طنبره ، ليُحمّل حزم الشوفان .

نيكولا ايفانوفتش : وما هذا الذي قالوه لي من أنهم سيسوقونه إلى السجن ؟

ايفان : لا شك ، ذهب التركي ليحضره من الحقول .

(في هذه اللحظة تبرز فلاحة حبلى ، وهي تحمل حزمة من الشوفان ومشطاً ، ولا تلبث أن تبدأ بضرب ميلاني على قفاها) .

الفلاحة : لماذا تركت الصغير يبكي ؟ أتسمعينه يبكي ؟ لا تفكرين إلا في التسكع في الشارع .

ميلاني ، تزعق : خرجت للتو . طلب أبي ماء للشرب .

الفلاحة : سأريك ! . . . (تشاهد المعلم) . طاب يومك ، يا معلمنا ، نيكولا ايفانوفتش . ما هذا الشقاء معهم ! إني أتعذب ، وأنا وحدي في كل شيء . وها إنهم يسوقون إلى السجن العامل الوحيد ، في حين يظل هذا الخامل نائماً .

نيكولا ايفانوفتش : ماذا تقولين ؟ هو مريض !

الفلاحة : هو مريض ، وأنا لست مريضة ! إذا لزم العمل مرض ، لكنه يشفى من مرضه إذا فسق أو إذا جرني من شعري . فليمت كالكلب ، ماذا يهمني من ذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : ألا تخجلين ؟

الفلاحة : أعلم أن ذلك خطيئة ، لكنني لا أستطيع أن أسكت قلبي . أنا حبلى ، وأنا اشتغل عن اثنين ! الآخرون أنهوا الحصاد . وما يزال عندنا الكثير للحصاد . لا بد من الانتهاء ، لكن هذا مستحيل . ويجب أن أعود إلى المنزل لأرى ما الذي حل بالصغار .

نيكولا ايفانوفتش : سيُحْصَدُ الشوفانُ عندكِ ، وسأدفع أجرة الحصاد ، وسأطلب حزمه .

الفلاحة : الحَزْم ليس شيئاً ، سأحزم أنا نفسي ، على شرط أن يُحْصَدَ الشوفان . ما رأيكَ ، نيكولا ايفانوفتش ، هل سيموت ؟ يبدو لي مشرفاً على الموت .

نيكولا ايفانوفتش : لا أدري . آه ! حقاً ؛ إنه يبدو مشرفاً على الموت ! أرى أن الأفضل نقله إلى المستشفى .

الفلاحة : اوه ! ياربي (تأخذ بالزعيق) . لا تنقلْه ؛ ليمتْ هنا (لزوجها) . ماذا تريد ؟

ايفان : اودّ أن أذهب إلى المستشفى . أنا هنا أسوأ من الكلب .

الفلاحة : لم أعدْ أعرف ما أفعل . فقدتُ صوابي . ميلاني ، حضّري العشاء .

نيكولا ايفانوفتش : وما عندكم للعشاء ؟

الفلاحة : ماذا تريدُ أن يكون عندنا ؟ بطاطا وخبز . لكننا لا نجد ما نأكله .

(تدخل الكوخ ، تُسمع همهمةُ الخنزير وصراخ الأولاد) .

ايفان ، متأوهاً : اوه ! يا ربي ، على شرط أن يختطفني الموتُ بأسرع وقت !

بوريس ، داخلاً : ألا أستطيع أن أنفعكم بشيء ؟

نيكولا ايفانوفتش : هنا ، لا سبيلَ إلى نفع الآخرين . فالشر شديدُ التأصل . ولا يمكن أن ننفع إلا أنفسنا ، عندما نرى على

ماذا بنينا سعادتَنا . هذه أسرة فيها خمسةُ أطفال ، والأم حبلى والأب مريضٌ . ولا طعام عندهم سوى البطاطا ؛ وفي هذه اللحظة تتقرّرُ مسألةُ إن كانوا سيجلون ما يأكلونه في السنة القادمة أم لا ؟ . من المستحيل مساعدتُهم . سأستأجر لهم عاملاً . لكنْ مَنْ سيكون ذلك العامل ؟ بائساً شبيهاً بهذا ، يترك فِلاحتَه بسبب إدمان الخمر أو بسبب الشقاء .

بوريس : عفوك ، لكنْ ماذا تفعل حين تأتي إلى هنا ؟

نيكولا ايفانوفتش : آتي لأتعرف وضعي الخاص : لأعرف مَنْ يُعْنَى لي بالحدائق ، مَنْ يبني بيتي ، من يَصْنَع ثيابنا ، مَنْ يُطعمنا ، من يُلْبسنا .

(يدخل فلاحون بمناجلهم ، وفلاحات معهن أمشاط . الجميع يحيّون) .

نيكولا ايفانوفتش ، مخاطباً أحد الفلاحين : ما رأيكَ افريم ، ألا ترضى أن تعمل بالأجرة لتحصد لهم ؟

الفلاح ، هازاً رأسه : أودّ ذلك من كل قلبي ، لكني لا أستطيع ؛ ولم يُنْقَل حصادي . ونحن نُسْرِع في نقله . لكن هل سيموت إيفان ؟

فلاح آخر : ربما قَبِلَ العجوز سيباستيان بهذا العمل ؟ ايه ! يا جدّي ! يريدون أن يستأجروا عاملاً للحصاد ؟

سيباستيان : اشتغلْ أنت ، إذا شئتَ . النهار اليوم يُطعم طوالَ السنة .

نيكولا ايفانوفتش : جميعهم لا يَشْبعون ، يأكلون الخبز مع الماء ؛ وهم مَرْضى ، وطاعنون في السن ، على الأغلب . انظرْ إلى ذاك العجوز هناك ، إن به فَتْقاً يؤلمه ؛ وهو يعمل من الرابعة صباحاً إلى العاشرة مساءً ، ويتنفّس بمشقة . ونحن ! أيمكننا ، وقد فَهِمْنا ذلك ، أن نعيش مطمئنين ، وأن نعتبر أنفسنا مسيحيين ؟ لا ، لا مسيحيين ، بل أيمكننا فقط أن نعتبر أنفسنا مختلفين عن الحيوان ؟

بوريس : لكنْ ما العمل ؟

نيكولا ايفانوفتش : ألاّ نشارك في هذا الشر ، ألا نملك الأرض . ألاّ نعيش من عملهم . أمّا كيف ننظّم ذلك ، فلستُ أدري . هذه هي المسألة قبل كل شيء ... هكذا جرت الأمورُ معي على الأقل : كنتُ أعيش ولا أفهم كيف كنتُ أعيش . لم أكن أعلم أنني ابن الله ، وأننا جميعاً أبناء الله وإخوة . لكنني عندما فهمتُ ذلك ، عندما فهمتُ أن للجميع حقوقاً متساويةً في الحياة ، انقلبتْ حياتي كلها . على كل حال ، لا أستطيع أن أشرح لك ذلك الآن . أحب أن أقول لك فقط : إنني كنتُ أعمى من قبل كما أن أسرتي عمياء ، والآن انفتحتْ عيناي . ويستحيل عليّ ألا أرى . لكنني إذ رأيتُ ، فلا أستطيع أن أستمرّ في حياتي هكذا . على كل حال ، يجب أن نفعل الآن ما يمكننا فعلُه .

(يظهر الدركي وبطرس وزوجته وصبي) .

بطرس ، جاثياً أمام نيكولا ايفانوفتش : سامحْني بجاه المسيح ، لقد هلكتُ . كيف تستطيع امرأتي أن تتخلّص من هذا المأزق؟ لو أمكن أن يكفلني أحد ؟

نيكولا ايفانوفتش : سأذهب إلى المدينة . وسأكتب طلباً (للدركي) . ألا يمكن تركْهُ الآن ؟

الدركي : معي أمرٌ بسوقه إلى المركز .

نيكولا ايفانوفتش : اذهبْ ، سأستأجر أحداً ، سأفعل ما يمكن فعلُه . هنا ، أنا المجرم حقاً . كيف نعيش هكذا !

المشهد — ٣ —

« في الملكية نفسها . المطر يهطل . غرفة الاستقبال. تانيا جالسة إلى البيانو . عزفتْ لتوّها سوناتة لشومان . قرب البيانو يقف ستيوبا . بوريس جالس . لوبا ، ليز ، ميتروفان ايرميائتش ، الكاهن ، انفعلوا .

لوبا : اللحن المتباطىء رائع !

ستيوبا : لا ، بل اللحن السريع . على كل حال كل ما فيها ساحر .

ليز : هذا حسن جداً .

ستيوبا : ماكنتُ أتصور أنك فنّانةٌ إلى هذا الحد . هذا عزف معلّم حقيقي . من الواضح أن الصعوبات غير موجودة بالنسبة إليكِ . أنتِ معنية بالتعبير فقط ،وأنتِ تعبّرين بطريقة رقيقة ، على نحو رائع .

لوبا : ونبيلة .

تانيا : لكني أحس أن ليس هذا ما كنتُ أتمنّاه وأن كثيراً من الأشيا ناقصة .

ليز : ماذا تطلبين أكثر من ذلك ؟ هذا عجيب !

لوبا : شومان جميل . لكن شوبان يهزّ أكثر .

ستيوبا : هو أكثر غنائيةً .

تانيا : لا يمكن المقارنة بينهما .

لوبا : أنتذكرين مقدّمته الموسيقية .

تانيا : تلك التي تحمل اسم جورج ساند .

(تعزف بدايتها) .

لوبا : ليست هذه ، هذه رائعة لكنها كثيرة التكرار ؛ اعزفي الأخرى .

(تانيا تعزف ما أمكنها أن تعزفه ثم تتوقف) لا ، هذه « بالري » الصغرى .

تانيا : آه ! تلك شيء رائع ، كأنها العناصرُ قبل خلْق العالم .

ستيوبا ، ضاحكاً : نعم ، نعم . اعزفي أيضاً ، أرجوك ، لكن ، لا . لا بدّ أنكِ تعبتِ . نعّمْنا بصبيحة ممتازة ، بفضلك .

تانيا ، ناهضة وناظرة من النافذة : ها هم الفلاحون مرةً أخرى .

---

(١) اسم جورج ساند : ألفها شوبان في دير قديم في جزيرة مينوركا ، حيث قضى عدة أشهر مع جورج ساند .

لوبا : هذا الذي به تغدو الموسيقا ثمينة . إني أفهم شاول . والشيطان لا يعذّبني . لكني أفهم . ليس من فن في الدنيا يُنْسيك كلّ شيء كالموسيقا .

تانيا : وتتزوجين برجل لا يفهم شيئاً في الموسيقا .

لوبا : بلى ، بوريس يفهمها .

بوريس ، باديَ الشرود : الموسيقا ! بلى ، أحبُّ الموسيقا . لا أهميّة لذلك ، وأنا أغتاظ قليلاً من الأهمية التي قد تتّخذها في حياة الآخرين .

(يُقدَّم على الطاولة مابَسٌ فيتناول منه الجميع) .

لوبا : ما أحسن هذا . الخطيبُ هنا والملبّسُ يَظْهر على الفور .

بوريس : آه ! أنا لا يدَ لي في هذا ، أمي هي التي بعثتْ به .

تانيا : أحسنتْ فعلاً . (تدنو من النافذة) . مَنْ تريدون ؟ هؤلاء هم الفلاحون . جاؤوا يقابلون نيكولا ايفانوفتش .

لوبا : لقد خرج . انتظروه .

تانيا : والشِعْر ؟

لوبا : لا ، الموسيقا ثمينة بكونها تستولي علينا ، وتلفّنا وتَحْملنا إلى خارج الواقع . انظري ، كان كل شيء مظلماً ، فلما عزفت استنار كلُّ شيء . لقد استضاءَ كلُّ شيء حقاً . فالسات شوبان مهما كُرِّرتْ ، إلا أنها . . .

تانيا : خذي ، هذه . . .

(تعْزف) .

المشهد — ٤ —

« يدخل نيكولا ايفانوفتش . يتبادل التحيات مع تانيا وَستيوبا وليز ولوبا » .

نيكولا ايفانوفتش : أين الماما ؟

لوبا : أظنّ أنها في غرفة الأطفال . بابا ، لو تعلم ما أروع عزفَ تانيا . وأنتَ ، أينَ كنتَ ؟

نيكولا ايفانوفتش : في القرية .

ستيوبا ، ينادي الخادم الذي يدخل : هات سماوراً آخر .

نيكولا ايفانوفتش مصافحاً الخادم : طابَ يومُكَ .

(يخرج الخادم مرتبكاً . يخرج نيكولا ايفانوفتش أيضاً) .

ستيوبا : مسكين آثناس . لقد اضطربَ اضطراباً عميقاً . لم يفهم شيئاً من ذلك . بدا له أننا قد أذنبْنا بشيء ما .

نيكولا ايفانوفتش ، عائداً إلى الصالة : كنتُ ذاهباً إلى غرفتي ونسيتُ أن أقول لكم ما أفكّر فيه . أظنّ أنني أخطأتُ . (لتانيا) . سامحيني إن كان ما أقوله يجرحُكِ ، لأنكِ ضيفُنا ، لكني لا أستطيع أن امتنع عن التصريح به . كنتِ تقولين ، يا لوبا ، إن الأميرة تعزف عزفاً رائعاً ؛ ها أنتم هنا سبعة رجال ونساء أو ثمانيةٌ أصحاء ؛ نِمتْمْ حتى الساعة العاشرة ، وشربتم وأكلتم ، وما زلتم تأكلون ، وتعزفون وتتحدّثون عن الموسيقا ؛ في حين أن الناس هناك ، من حيث عدتُ في هذه اللحظة مع بوريس الكسيفتش ،

نهضوا منذ الساعة الثالثة صباحاً ، بل إن بعضهم لم ينم الليل ؛ المسنّون ، والمرضى ، والضعفاء والأولاد ، والنساء اللواتي يُرْضعن ، والنساء الحوامل ، يعملون بأقصى قواهم لكي نعيش نحن هنا من ثمار كدّهم . وأكثر من ذلك : إن أحدهم ، وهو آخر عامل في الأسرة ، العامل الوحيد فيها ، سيُسْجَنُ بعد قليل ، لأنه قَطعَ في هذا الربيع ، من الغابة التي يُزْعَم أنها لي ، صنوبرةً من مئات آلاف الأشجار التي تنبت فيها . نحن هنا قد اغتسلنا جيداً ، ولبسنا جيداً ، وتركنا في غرفنا أوساخنا وكلّفنا بها عبيدنا ، وها نحن نأكل ونشرب ونتناقش حول شومان وشوبان ، لكي نقرّر من الذي يؤثّر فينا أكثر ، ويطرد متاعبنا قبل غيره . فكرتُ في ذلك وأنا أمرّ قربكم ، ولذلك قلته لكم . فكّروا إذنْ : أيجوز أن نعيش هكذا ؟

(ينهض مضطرباً) .

ليز : هذا حق ، هذا . حقّ .

لوبا : إذا فكّرنا هكذا ، فلا يمكن أن نعيش بعدُ .

ستيوبا : ولم ذاك ؟ لا أعلم لماذا لا نتكلّم عن شومان إذا كان الشعبُ فقيراً . هذا لا يَمْنع ذاك . إذا كان الناسُ ...

نيكولا ايفانوفتش ، بغضب : إذا كان الإنسان بلا قلب ، إذا كان من خشب . .

ستيوبا : دَعْنا ، سأسكت .

تانيا : المسألة رهيبة ، إنها مسألةُ عصرنا ؛ يجب ألا نخشاها ، بل يجب أن نُواجهها مواجهةً ، لنجدَ لها حلاً .

نيكولا ايفانوفتش : لا يجب أن نتوقّع حلها بتدابير عامة . كل واحد منا قد يموت اليوم أو غداً ؛ فكيف نحيا دون أن نتألم من هذا الشِقاق الداخلي الحميم ؟

بوريس : طبعاً ، ليس هناك سوى سبيل واحدة ، هو ألا نشارك في ذلك أبداً .

نيكولا ايفانوفتش : سامحوني إذا جرحتُكم . لم يكن بوسعي ألاّ أقول ما أشعر به .

(يخرج) .

ستيوبا : وكيف لا نشارك في ذلك أبداً ؟ كل وجودنا مرتبط به .

بوريس : هذا بالضبط ما قاله ؛ يجب قبل كل شيء ألا نمالك شيئاً ، وأن نغيّر كل حياتنا ، وأن تَحْيا لا بحيث يَخْدمُكَ الآخرون ، بل بحيث تَخْدمُ الآخرين .

تانيا : هيّا ، أرى أنك تبنّيت تماماً أفكار نيكولا ايفانوفتش .

بوريس : نعم ، فهمتُها قبل قليل لأول مرة . ثم إن ما رأيتُه في القرية ... ما علينا إلا أن نرفع هذه النظّارات التي ننظر بها إلى حياة الشعب وندرك صلة آلامهم بأفراحنا ، هذا كل ما في الأمر .

ميتروفان ايرميليتش : نعم ، لكن الوسيلة ليست في إلغاء وجودنا .

ستيوبا : هذا مدهش: نحن وميتروفان ايرمولتش في قطبين متعارضين ،

وقد اتفقنا . فكلماته نفسُ كلماتي : لا يجب أن نُلغي حياتنا .

بوريس : بالتأكيد . فكلاكما ترغبان في أن تعيشا عيشةً رغيدة ، ولذلك تريدان أن تنظّما حياتكما بشكل يضمن هذا الرغد . (لستيوبا) أنتَ تريد أن تحافظ على النظام الحالي ، وميتروفان ايرمليتش يريد أن يُغيّره .

(لوبا تحدّث تانيا بصوت خفيض . فتذهب تانيا رأساً إلى البيانو وتعزف ليليّةً من ليليّات شوبان . يصمتُ الجميع) .

ستيوبا : هذه جميلةٌ حقاً . هذه تحلّ كل شيء .

بوريس : بل إنها ستنشر الظلام في كل شيء وتُعيد كلَّ شيء إلى ما كان عليه .

(أثناء العزف تدخل ماري ايفانوفنا والأميرة بهدوء وتجلسان لتستمعا . قبل انتهاء الليليّة يُسْمع صوت الجلاجل) .

لوبا : هذه خالتي .

(تمضي إلى لقائها . تستمرّ الموسيقا . تدخل آلين ايفانوفنا والأب جيراسيم حاملاً صليباً على صدره ، ومعهما الكاتب العدل . ينهض الجميع .

الأب جيراسيم : تابعي ، أرجوك ؛ فهذه الموسيقا لطيفة .

(تقترب الأميرةُ منه لتطلب مباركته ، وكذلك الكاهن الشاب) .

آلين ايفانوفنا : فعلتُ ما كنتُ أنوي فعله من قبل . ذهبت إلى الأب جيراسيم وأقنعتُه بالمجيء . سيُسافر إلى كورسك ،

نجحتُ في مشروعي . الكاتبُ العدل هنا والأوراق جاهزة ، ولم يبقَ سوى التوقيع .

ماري ايفانوفنا: ألا تريدين أن تتغدّي . (يضع الكاتبُ العدل الأوراق على الطاولة ويبتعد) . أنا ممتنّةٌ جداً للأب جيراسيم .

الأب جيراسيم : ماذا تريدين مني ؟ ليس هذا هو طريقي تماماً ، لكنني ، بشعوري المسيحي ، اعتبرتُ من واجبي أن آتي .

(تقول آلين أيفا نوفنا بضع كلمات بصوتٍ خافت للشباب . يتشاورُ جميع الشباب ويذهبون إلى المصطبة ، ما عدا بوريس ؛ يهمّ الكاهن أيضاً بالانصراف) .

الأب جيراسيم : ابقَ ؛ يمكنك أن تكون نافعاً ، كراعٍ وكأبٍ روحي ، ويمكن أن يُريحك هذا أيضاً . ابقَ إذا كانت ماري ايفانوفنا لا تعارض في ذلك .

ماري ايفانوفنا: اوه ! لا ، أحبّ الأب فاسيلي كأحد أفراد عائلتي . وقد استشرتُه أيضاً ، لكن سلطته ما تزال محدودةً جداً ، بسبب سنّه .

الأب جيراسيم : بالتأكيد ، بالتأكيد .

آلين **ايفانوفنا** ، تقترب : يا أب جيراسيم ، أنت وحدك القادر على مساعدتنا وعلى إقناعه . إنه رجل ذكي ، عالم ، لكنك تَعْلم أن العالم أقرب إلى الضرر ، في هذه الحالة . المسألة عنده نوعٌ من الضلال . فهو يزعم أن الإنسان لا ينبغي أن يملك شيئاً ، بحسب العقيدة المسيحية . هل هذا ممكن ؟

الأب جيراسيم : الإغواء ، وكبرياء الفكر ، والعصيان ، كل ذلك شَرَحَهُ آباءُ الكنيسة شرحاً وافياً . لكنْ كيف وقَعَ ذلك كله ؟

ماري ايفانوفنا: إن كان لا بدّ من رواية كل شيء ... عندما تزوّجنا كان غيرَ مبال بالدين ، وعشْنا هكذا ، عشْنا عيشةً حسنةً ، أفضل سني حياتنا ، العشرين سنةً الأولى . ثم أخذ يفكّر . ولعل ذلك كان بتأثير أخته أو قراءاته ، لكنه أخذ يفكّر ويقرأ الإنجيل ، وحينئذ أصبح متديّناً جداً ، وأخذ يتردّد على الكنائس والأديرة . ثم هجر كل شيء فجأةً ، وغيرّ نَمطَ حياته كلّياً ؛ وأخذ يعمل بنفسه ؛ وهو لا يسمح للخدم بخدمته ، وعلى الخصوص وزّع ثروته . وهَبَ أمس غابةً وأرضاً . أنا خائفةٌ . فعندي ستةُ أولاد . كلّمْهُ . سأسأله إن كان يرغبُ في مقابلتك .

(تخرج) .

الأب جيراسيم : كثيرون في أيامنا يبتعدون عن الكنيسة . هل الثروةُ له أو لزوجته ؟

آلين ايفانوفنا : له ، وهذه هي المصيبة .

الأب جيراسيم : ما رتبتُه ؟

الأميرة : رتبتُه ليست ذات شأن . أظنّه كان نقيباً .

الأب جيراسيم : كثيرون يبتعدون هكذا . كان ، في اوديسا ، سيدة شُغفت باستحضار الأرواح ، وبدأت تُسيء كثيراً . لكن الله ردّها إلى أحضان الكنيسة .

الأميرة : وافهمْ ، على الخصوص ، هذا الشيء ، سيتزوّج ابني بابنته . وقد وافقتُ على ذلك . لكن البنت تعوّدت الترف ، ويجب أن تكون حياتُها مضمونة ، لا أن تكون عبئاً ثقيلاً على ابني ، بالرغم من أنه شابٌ شغّيل ومرموق من كل الوجوه .

(تدخل ماري ايفانوفنا ، يتبعها نيكولا ايفانوفتش) .

نيكولا ايفانوفتش : طاب يومُكِ ، يا أميرة . (للكاهن) . اعذرني ، ما اسمك ؟

الأب جيراسيم : ألا ترغب في أن أباركك ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، لا أرغبُ في ذلك .

الأب جيراسيم : اسمي جيراسيم فيودوروفتش . أنا سعيدٌ جداً .
(يقدّم خادمٌ وجبةَ طعام خفيفة وخمراً) . الطقس لطيف ومساعدٌ على الحصاد .

نيكولا ايفانوفتش : أظن أنك جئتَ بناءً على دعوة آلين ايفانوفنا لكي أنصرف عن أخطائي وأعود إلى الطريق المستقيمة . وإذا كان الأمرُ كذلك ، فمن غير المجدي سلوك سبل ملتوية ، والأفضل الاتجاهُ رأساً إلى الهدف . لستُ أنكر أني على خلافٍ مع تعاليم الكنيسة ، كنتُ فيما مضى مؤمناً بهذه التعاليم ، ثم أقلعتُ عن هذا الإيمان ؛ لكنني أطابُ من كل قلبي اتّباع الحقيقة ، وسوف أقبلُ بها على الفور ، إن أريتَني إياها .

الأب جيراسيم : كيف يمكنك أن تقول : إنك لا تؤمن بتعاليم الكنيسة ؟ وبماذا يمكن أن نؤمن ، إن لم يكنْ بالكنيسة ؟

نيكولا ايفانوفتش : بالله وشريعته التي أُعْطِينا إياها في الإنجيل .

الأب جيراسيم : الكنيسة تعلّم هذه الشريعة .

نيكولا ايفانوفتش : لو كانت تعلّمها لآمنت بها ، لكنها تعلّم الضدّ .

الأب جيراسيم : لا يمكن للكنيسة أن تُعلّم الضد . لأن الربّ ذاته قد أقامها ؛ وقد جاءَ : « أعطيكم سلطاناً ، وشياطين الجحيم لا يقدرون أن يغلبوكم » .

نيكولا ايفانوفتش : قيل هذا بمناسبة شيء آخر تماماً . وإذا اعترفنا حتى بأن المسيح أقام كنيسة ، فكيف أستطيع أن أعلم أنها كنيستكم بالذات ؟ . .

الأب جيراسيم : لأنه قد جاء : « حيث يجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي ...»

نيكولا ايفانوفتش : وهذا أيضاً قيل بمناسبة شيء آخر ولا يدلّل على شيء .

الأب جيراسيم : كيف يمكن أن نتنكّر للكنيسة ؟ فهي وحدها تملك النعمة .

نيكولا ايفانوفتش : لم اتنكّرْ لها حتى اقتنعتُ بأنها تَسْند ما هو ضدّ المسيحية .

الأب جيراسيم : لا يمكن أن نُخطىء لأن الحقيقة فيها وحدها . الذين ابتعدوا عنها هم في الخطأ ، أما الكنيسة فمقدّسة .

نيكولا ايفانوفتش : قلتُ لك إنني لا أعترف بذلك ، لأنه قد جاءَ

في الإنجيل « من أعمالهم تعرفونهم ، من ثمارهم تَعْرفونهم»
وقد علمتُ أن الكنيسة تبارك اليمين ، والقتل ، والإعدام .

الأب جيراسيم : الكنيسة تعترف بالسلطات التي أقامها الله ، وتباركُها ..

(أثناء هذا الحديث يدخل بالتتالي : ستيوبا ، لوبا ، ليز ، تانيا ، يتخذون أماكن لهم ويجلسون ليستمعوا) .

نيكولا ايفانوفتش : أعلم أنه لم يجىءْ في الإنجيل فقط « لا تقتل » ، بل قد جاء : « لا تغضبْ » . والكنيسة تبارك الجيوش . جاء في الإنجيل : « لا تَحْلفْ » ، والكنيسة تطاب اليمين . وجاء في الإنجيل . . .

الأب جيراسيم : عَفْوكَ . عندما يقول بيلاطس : « أحلّفكَ بالاله الحي » يعترف المسيح باليمين مجيباً : « أنتَ قلتَ ذلك ، أنا هو » .

نيكولا ايفانوفتش : دَعْك من هذا ، ماذا تقول ؟ هذا مُضحكٌ حقاً !

الأب جيراسيم : ولذلك فالكنيسةُ لا تسمحُ لكل واحد أن يفسّر الإنجيل ، لكي لا يَضلّ ؛ إنها حريصةٌ على أبنائها كالأم ، وتقدّم لهم التفسيرات الملائمة لوسائلهم . لا ، دَعْني أنْهِ كلامي . الكنيسة لا تُرهق أبناءها بأحمالٍ فوق طاقاتهم ، لكنها تطالب إتمام الوصايا ؛ أَحِبَّ ، لا تقتلْ ، لا تسرقْ ، لا تزنِ .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، لا تقتلْني ، لا تسرقْ مني ما سرقْتُه . نحن جميعاً سرقْنا الشعب ، سرقْنا منه الأرض ، ثم

أسسْنا القانونَ ، القانون الذي يمنع السرقة . والكنيسةُ تبارك ذلك كله .

الأب جيراسيم : الإغواء والكبرياء والروح تتكلّم فيك . أنتَ بحاجةٍ إلى أن تتباهى بروح الكبرياء .

نيكولا ايفانوفتش : كلا ، أنا أسألكَ كيف ينبغي لي أن أتصرّف بموجب الشريعة المسيحية ، عندما أعترف بأنني أثمْتُ حين نهبتُ الشعب واستوليتُ على الأرض . ماذا ينبغي أن أفعل ؟ أأستمر في امتلاك الأرض ، فأستفيد من عمل الجياع ، وأعدّهم لهذا الشيء (يشير الخادم الذي يقدّم الوجبةَ والخمر) . أو أُعيدُ الأرض إلى الذين انتزعَها منهم أجدادي .

الأب جيراسيم : يجب أن تتصرّف بحسب ما يليق بابن الكنيسة . لك أسرةٌ وأولاد ، فعليك أن تنفق عليهم وتربّيهم بحسب طبقتهم .

نيكولا ايفانوفتش : لماذا ؟

الأب جيراسيم : لأن الله قد وضعك في هذا الوضع . وإذا شئتَ أن تفعل الخيرَ فافعلْه ، أعْطِ جزءاً من ثروتك ، زُرْ الفقراءَ . . .

نيكولا ايفانوفتش : وما الذي قيل ، مع ذلك ، للشاب الغني : إن الغني لا يستطيع أن يدخل ملكوت السموات(١) ؟

---

(١) ملكوت السموات : الا ستشهاد غير دقيق متى ١٩ — ٢٣ .

الأب جيراسيم : لقد جاء : « إذا شئت أن تكون كاملاً » .

نيكولا ايفانوفتش : لا ريب أنني أريد أن أكون كاملاً . فقد جاءَ في الإنجيل : « فكونوا أنتم كاملين ، مثل أبيكم السماوي » .

الأب جيراسيم : يجب أن نفهم أيضاً بأية مناسبة قيل هذا .

نيكولا ايفانوفتش : أنا أسعى أيضاً إلى أن أفهم . وكل ما قيل في الموعظة على الجبل ، بسيطٌ ومفهوم .

الأب جيراسيم : هذه كبرياء الروح .

نيكولا ايفانوفتش : لكن أين الكبرياء إذا كان قد قيل : إن ما أُخفي عن الحكماء قد أُظْهر للصغار ؟

الأب جيراسيم : أظهر للمتواضعين لا للمتكبرين .

نيكولا ايفانوفتش : لكن مَنْ المتكبّرُ ؟ أهو أنا ، وأنا أعتبر نفسي إنساناً كسائر الناس ، إنساناً ينبغي أن يعيش بسبب ذلك كما يعيش الجميع ، من عمله ، في نفس الشقاء كاخوته ؛ أم الذين يعتبرون أنفسهم كائنات متميّزة ، كهنةً يعرفون الحقيقة كلها ، ولا يمكن أن يُخطئوا ، ويفسّرون كلام المسيح على طريقتهم ؟

الأب جيراسيم ، وقد جُرِحَ : عفوك : لم أجىءْ لأناقش معك مسألةَ : مَنْ المحقّ ؟ ولم أجىءْ أيضاً لأستمع إلى ارشادات . لقد جئتُ إلى هنا ، بناءً على رجاء آلين ايفانوفنا ، لأحدّثك . وأنتَ تعرف كل شيء خيراً مني ؛ ومن الأفضل أن نقفل باب حديثنا . وأنا أطلبُ منك للمرة الأخيرة . بجاه الله ،

تُبْ إلى رشدك ، أنتَ مخطىء خطأً فادحاً ، وأنت تُضيع نفسك .

ماري ايفانوفنا: ألا تريد أن تتناول شيئاً ؟

الأب جيراسيم : أشكركِ .

(يخرج مع آلين ايفانوفنا) .

ماري ايفانوفنا ، للكاهن الشاب : ما الذي سيحدثُ الآن ؟

الكاهن : برأيي أن نيكولا ايفا نوفتش قد تكلّم كلاماً صحيحاً ، ولم يستطع الأب جيراسيم أن يعثر على حجّة مقنعة .

الأميرة : لم يدعْهُ يتكلم ، ثم إنه استاء ، على وجه الخصوص ، حين رأى أنْ قد نُظِّمَ نوعٌ من المباراة . كان الجميعُ يصغون . واضطرّه تواضُعه إلى الانسحاب .

بوريس : لم ينسحب بسبب التواضع ، بل إن كل ما قاله خطأ . فمن البهديهي أنه لم يجد ما يقوله .

الأميرة : ألاحظ أن تقلّبك المعتاد أخذ يدفعك إلى موافقة نيكولا ايفانوفتش . إذا كنتَ تشاطره أفكاره فلا حاجةَ بك إلى الزواج .

بوريس : أنا لا أقول إلا شيئاً واحداً ، أن ما هو حقٌ حقٌ ، ولا يمكنني أن امتنع عن قوله .

الأميرة : أنت آخر من يحق له أن يقول هذا . .

بوريس : ولِمَ ذاك ؟

الأميرة : لأنك فقير ولا شيء عندك تردّه – على كل حال : كل هذا لا يخصّنا نحن .

(تخرج ، يتبعها الجميع ما عدا نيكولا ايفانوفتش وماري ايفانوفنا) .

نيكولا ايفانوفتش ، يظل متفكّراً ثم يبتسم لأفكاره : ماري ، لم ذلك ؟ ما الفائدة من دعوة هذا الرجل الضال والجدير بالرثاء . هذه المرأة الصخّابة وهذا الكاهن لمَ يشاركان في حياتنا الداخلية الحميمة ؟ ألا نستطيع أن نتدبّر أمورنا وحدنا ؟

ماري ايفانوفنا : ماذا تريد مني أن أفعل وأنت تريد أن تسلب أولادَك كلّ ما عندهم ؟ لا يمكنني أن أحتمل ذلك بهدوء . لأنك تعلم أنْ لا مصلحة لي ، ولا أحتاج إلى شيء لنفسي .

نيكولا ايفانوفتش : أعلم ذلك ، أعلم ذلك وأصدّقك . لكن المصيبة أنكِ لا تؤمنين بالحقيقة . أعلم أنك ترينها لكنك لم تصمّمي على الإيمان بها . لا تؤمنين بالحقيقة ولا بي . لكنك تؤمنين بكل الناس ، بالأميرة وغيرها .

ماري ايفانوفنا: أنا أومن بك ، وقد وثقتُ بك دائماً ، لكنك تريد أن تلجىء أولادَك إلى التسوّل .

نيكولا ايفانوفتش : هذا الدليلُ على أنك لا تؤمنين . أتظنّين أنني لم أخضْ صراعاً ولم ألقَ خوفاً ؟ وأنا ، الآن ، مقتنع أن ذلك ليس ممكناً فحسب ، بل هو ضروريّ ، هو الشيءُ الضروري الوحيد والصالح للأولاد . أنتِ تقولين :

لو لم يكن لنا أولاد لتبعتِني ، أما أنا فأقول : لو لم يكنْ لنا أولاد لكان من الممكن أن نعيش كما تعيشين . إذ ذاك لن نُهلك سوى نفسينا ، أما الآن فنحن نُهلكهم .

ماري ايفانوفنا: ما حيلتي إذا لم أفهم ؟

نيكولا ايفانوفنا : وأنا أيضاً ، ماذا علي أن أفعل ؟ لأنني أعلم لماذا جئتِ بهذا الرجل المسكين الذي يرتدي جبّةً ، هذا الرجل الذي يحمل الصليب ؛ وأعلم أيضاً لماذا جاءت آلين بالكاتب العدل. تريدون أن أنقل إليكِ أملاكي. ليس بوسعي أن أفعل ذلك ! تعلمين أنني أحبك منذ خمسة وعشرين عاماً من حياتنا المشتّركة ، أحبّك وأريدُ لك الخير ، ولذلك لا أستطيع أن أوقّع هذه الهِبَةَ . وإذا ما فعلت ذلك فالمصلحة الذين نُهبوا ، لمصلحة الفلاحين . لا يمكنني أن أتصرّف كما ترغبين ؛ يجب أن أعيد إليهم الأرض . جاء الكاتبُ العدل في الوقت المناسب وسأفعل ذلك .

ماري ايفانوفنا : آه ! هذا فظيع ! لمَ أنتَ قاس إلى هذا الحد ؟ تعتبر ذلك خطيّةً . حسناً ! أعطني أنا !

(تبكي)

نيكولا ايفانوفتش : أنتِ لا تعلمين ما تقولين . إذا كنتُ سأهبكِ أنتِ فإن يمكنني أن أعيشَ معاك . وعليّ أن أسافر . لا يمكنني الاستمرار في العيش ، ضمن هذه الشروط .

لا يمكنني أن أرى الناس يُظلَمون ويوضعون في السجن ، باسمكِ ، لأن اسمك سيحل محلّ اسمي . اختاري .

ماري ايفانوفنا : ما أقساكَ ! لا يمكنني أن أعيشَ كما تريد . لا يمكنني أن أنتزع من أولادي لأعطي أيّا كان . لمَ تريد أن تهجرني ؟ حسناً ! اذهبْ . أرى أنك لم تعدْ تحبّني ، وأنا أعلمُ لماذا .

نيكولا ايفانوفتش : هيّا ، أنا موافق ، سأوقّع . يا ماري ، أنتِ تطلبين مني المستحيل . (يدنو من الطاولة ويوقّع) . أنتِ أردتِ ذلك . أنا لا أستطيع أن أعيش هكذا .

(يقف ، ويهمّ بالرحيل ، وأخيراً يهرب ممسكاً برأسه بين يديه) .

ماري ايفانوفنا ، منادية : لوبا ! آلين (تهرعان) . لقد وقّع ورحل ! ماذا يجب أن أفعل . قال إنه سيذهب وسيذهب . الحقا به .

لوبا : لقد رحَلَ .

ستار

الفصل الثالث

المشهد – ١ –

« تجري الأحداث في موسكو . غرفة كبيرة . منضدة للعمل طاولة مغطاة بالأوراق ، مكتبة . المرآة واللوحات محجوبة بالألواح الخشبية نيكولا ايفا نوفتش يشتغل على المنضدة . النجارُ المعلمُ ينجر » .

نيكولا ايفانوفتش ، عارضاً لوحاً : أهذا حسن ؟

النجار ، مصلحاً منجره : ألم يؤلمك هذا ؟ شدّ عليه أكثر هكذا .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، الأفضل أن نشدّ عليه أكثر . لكن ذلك لم يتأتَّ لي بعد .

النجار : وماذا تُفيد سيادتك نجارةُ الأثاث ؟ نحن ، نجاري الأثاث ، من الكثرة بحيث نجد مشقّة في العيش .

نيكولا ايفانوفتش ، مستأنفاً العمل : أستحي أن أحيا في البطالة .

النجار : هل يناسبُ هذا العمل مكانتك . ولقد أعطاك الله الثروةَ .

نيكولا ايفانوفتش : أنني اعتبرُ أن الله لم يُعطِ شيئاً ، وأن الناس استولوا بأنفسهم على كل شيء ، ونهبوا اخوتَهم .

النجار ، متردداً : نعم ، هذا صحيح ، لكن هذا العمل مع ذلك لا جدوى منه لك .

نيكولا ايفانوفتش : أفهمُ أن يبدو لكَ غريباً أن تراني أكسب رزقي ، في هذا البيت الذي يفيض بالكماليات .

النجار ضاحكاً : كلاّ ، أعرف مقاصد السادة من أمثالك . إنهم يريدون أن يعرفوا كل شيء . مرِّر المنجرَ الآن .

نيكولا ايفانوفتش : أنت لا تصدق ، وستضحك ؛ لكنني أقول لك : لم أكن أخجل قديماً من أن أعيش هكذا ، أما الآن بعد أن آمنت بشريعة المسيح الذي يقول إننا إخوة فأنا أخجل أن أعيش هكذا .

النجار : إن كنتَ تخجل فوزّعْ أملاكك .

نيكولا ايفانوفتش : أردتُ أن أفعل ذلك فلم أستطع ؛ وكان لا بدّ من أن أهبها امرأتي .

لوبا ، وراء الباب : بابا ، أيمكن أن أدخل ؟

نيكولا ايفانوفتش : ادخلي ، ادخلي ، الدخول مسموح دائماً .

لوبا ، تدخل : طاب يومُك ، جاك .

النجار : طاب يومكِ ، يا آنسة .

لوبا : عاد بوريس إلى الفوج . أخشى أن يقول أو يفعل ما لا تُحمَدْ عقباه . ما رأيكَ .

نيكولا ايفانوفتش : ماذا يمكن أن يكون رأيي ؟ سيَفْعل ما يمليه عليه ضميرُه .

لوبا : هذا هو الشيء الرهيب . بقي له وقتٌ قليل لينتهي وسيُهلك نفسه .

نيكولا ايفانوفتش : أحسنَ صنعاً أنه لم يأتِ إليّ في طريقه ؛ فهو يعلم أنني لن أجد ما أقوله له إلا ما يعرفه بنفسه . قال لي هو نفسه : إن هذا هو ما أُجْبِره على تقديم استقالته ، وأنه يدرك جيداً أنه لا يوجد نمط حياة أكثر بعداً عن الشرعية ، وأشد قسوة ووحشيةً ، بل ليس هناك شيءٌ أكثر إذلالاً من الخضوع المطلق لشخص تافه هو رئيسك في الرتبة ... إنه يعلم ذلك كله .

لوبا : هذا هو بالضبط ما أخشاه ، أنْ يعلم ذلك . إنه ينوي التصرف بطريقة ما .

نيكولا ايفانوفتش : ضميرُه ، الرب الذي هو فيه ، هو الذي يقرّر ذلك . لو جاء واستشارني لأشرتُ عليه ألا يفعل شيئاً بطريق المحاكمة المنطقية ، بل عندما يتطلّب كيانُه كلّه ذلك . فلا شيء أسوأ من ذاك . أنا مثلاً ، كنتُ أنوي أن أفعلَ ما يأمرني به المسيح : أن أترك أبي وزوجتي وأولادي(١) وأتْبعه ،وكنتُ مستعدّاً للذهاب . فكيف انتهى ذلك ؟ انتهى ذلك بأن عدتُ وبقيتُ معكم في المدينة ، محاطاً بالترف . ذلك لأنني أردت أن أفعل ما يتجاوز طاقتي ، وأنا أجدُ نفسي في وضع مُذلٍّ ، في وضع مُخْزٍ . أحب أن أعيش ببساطة ، وأن أشتغل ، لكن ذلك يبدو كالمهزلة ، في هذا الجوّ من الخدم والحجّاب . خذي

(١) أترك أبي وزوجتي وأولادي : استشهاد غير دقيق بكلام المسيح .

مثلاً جاك نيكانوروفتش ، لقد رأيتُه يهزأ مني قبل قليل .

النجار : ولمَ تريدُ أن أهزأ منكَ ؟ أنت تدفع لي أجرتي وتسقيني الشاي . وأنا شديدُ الامتنان لك .

لوبا : فكّرتُ إن لم يكن من الأصحّ أن أذهب إليه .

نيكولا ايفانوفتش : يا عزيزتي ، يا حاوتي ، أعلم أن ذلك يشقّ عليك ،وأنك خائفة . وإن كان ينبغي ألا تخافي . أنا رجل فهم الحياة . لن يقع شيءٌ من السوء . كل ما يبدو سوءاً لا يمكن إلا أن يُبهج القلبَ . حاولي أن تفهمي .
أن الإنسان الذي سلَكَ هذه الطريق مجبرٌ على الاختيار . نحن أمام حالات تتعادل فيها كِفّتا المصالح الإلهية والمصالح الشيطانية ، وتتذبذبان . وسيتمّ هنا عمل من أعظم الأعمال الإلهية . كلُّ تدخّل فهو خَطِرٌ وشاق . إن المرء يبذل جهداً عظيماً ليجر حِمْلاً ، وأقل ملامسة قد تَحْطم ظهره .

لوبا : لكن لمَ نتألم ؟

نيكولا ايفانوفتش : هذا كقول الأم : لمَ الألم . الولادة لا تتمّ بلا ألم . وكذلك الأمر في الحياة المعنوية . أحب أن أقول لكِ شيئاً : بوريس مسيحيٌ حقيقي ، ولذلك فهو حر . وإذا لم تستطيعي أن تكوني مثله ، وإذا لم تستطيعي أن تؤمني بالله مثله ، فيجب أن تؤمني من خلاله : أن تؤمني به وبالله .

ماري ايفانوفنا ، من خلف الباب ؛ أيمكنني أن أدخل ؟

نيكولا ايفانوفتش : الدخول مسموح دائماً . أرى عندي اجتماعاً حقيقياً اليوم .

ماري ايفانوفنا: وصَل الساعةَ كاهنُنا ، صديقُنا فاسيلي نيكانوروفتش وهو ذاهب إلى رئيس الأساقفة ليقدم إليه استقالتَه .

نيكولا ايفانوفتس : أممكنٌ هذا ؟ أهو هنا ؟ اذهبي ، لوبا ، وأحضريه .

(تخرج لوبا) .

ماري ايفانوفنا: جئتُ ، في الوقت نفسه ، لأكلّمك عن فانيا . إن سلوكه سيء جداً وعمله رديء جداً بحيث انه لن يستطيع أبداً النجاحَ من صف إلى صف . كلّمتهُ عن ذلك فرد علي رداً غير لاق .

نيكولا ايفانوفتش : تعلمين ، يا ماري ، أني لا أتعاطف مع نمط الحياة الذي تعيشينه ولا مع الطريقة التي يُربّى بها الأولادُ . المسألةُ رهيبة ، بالنسبة إليّ : ألي الحقُّ في أن أظل أنظر بعيني إلى هلاك . . .

ماري ايفانوفنا : لا بد في هذه الحالة من شيء آخر ، شيء محدّد . ما البديلُ الذي باستطاعتك أن تقدّمه .

نيكولا ايفانوفتش : ليس بوسعي أن أقوله لكِ . ولا أقول إلا شيئاً واحداً . أولا : يجب التخلّصُ من هذا الترف المفسد للأخلاق .

ماري ايفانوفنا: لكي يصبحوا فلاّحين . لا أستطيع أن أوافق على ذلك .

نيكولا ايفانوفتش : إذن لا تسأليني عن شيء . إن ما يحزناكِ كثيراً لا بد أن يكون . . .

(يدخل الكاهن ؛ يقبل نيكولا ايفانوفتش)

نيكولا ايفانوفتش : انتهيتَ من ذلك إذن ؟

الكاهن : ما عدتُ أطيق .

نيكولا ايفانوفتش : لم أكن أتوقع الأمر بهذه السرعة .

الكاهن : لم يكن ممكناً غيرُ ذلك . ففي وضعنا لا يجوز أن نظلّ غير مبالين . لا بد من سَماع الاعتراف ومن المناولة ؛ لكن عندما أدركت أن هذه الطريق ليست الطريق الحقيقية . . .

نيكولا ايفانوفتش : وماذا ستفعل الآن ، إذن ؟

الكاهن : سأذهب إلى رئيس الأساقفة الذي سيمتحنني . وأنا خائف جداً من أن ينفيني إلى دير سولوفكي(١) . فكرتُ حيناً بالهرب إلى الخارج ، وطاب مساعدتاك . ثم غيّرتُ رأيي. الجُبن ! وأخيراً ، فان امرأتي . . .

نيكولا ايفانوفتش : وأين هي ؟

الكاهن : هي عند أبيها . كانت أمها عندنا وقد أخذت الصغار . هذا مؤلم جداً . وددتُ لو . . .

(يتوقف ويحبس دموعه) .

نيكولا ايفانوفتش : ليكن الله في عونك ! هل نزلتَ إلى بيتنا ؟

---

(١) دير سولوفكي : دير في جزر البحر الأبيض . وكان الكهنة العصاة ينفون إليه .

آلين ايفانوفنا ، تحمل رسالةً : هذه لكَ ، **نيكولا ايفانوفتش** ، حملها الساعةَ شخصٌ خصيصاً لك . — آه ! أبانا !

الكاهن : لم أعدْ كاهناً ، آلين ايفانوفنا .

آلين ايفانوفنا : أممكن هذا ؟ أية غلطة فادحة ارتكبتَ ؟

الكاهن : لكني وجدت ديننا تنقصُه بعض الأشياء .

آلين ايفانوفنا : آه ! يا إلهي ، أية خطيئة ! هذا مع انك رجلٌ طيّب السريرة ! وها أنت تقع في الخطأ . نيكولا ايفانوفتش إنما هو السبب دائماً .

نيكولا ايفانوفتش : ليس نيكولا ايفانوفتش ، بل المسيح .

آلين ايفانوفنا : نعم ، هذا حسن ، لكن لماذا الإنحراف عن الديانة الارثوذكسية ؟ كل هذا حسن ، وأنا أعلم أنك تفعله بنية حسنة . لكنك تهلك روحك .

نيكولا ايفانوفتش ، بينه وبين نفسه : كنتُ أتوقّع ذلك . لكن ما العمل ؟

آلين ايفانوفنا : ماذا تقول ؟

نيكولا ايفانوفتش ، يقرأ : هذه رسالة من الأميرة . وهذا ما كتبَتْه : « رَفَضَ بوريس أن يستأنف خدمته ، وقد وُضع تحت الحجز . لقد أضعتَه ، فينبغي أن تُنْقذه . وهو في ثُكْنة كروتيزي(١) » .

---

(١) ثكنة كروتيزي : في كروتيزي ، حي من موسكو .

نعم يجب أن أذهب لأراه ، إن أرادوا أن يسمحوا لي بذلك .

(يرفع مئزره ، ويرتدي سترته ويخرج) .

المشهد — ٢ —

« مكاتب . كاتب الدائرة ، حارس يتمشى جيئةً وذهاباً ، عند الباب المواجه . يدخل جنرال يتبعُه مساعدُه . ينهض الكاتب بعجلة ، يقدّم الجنديُ السلاحَ » .

الجنرال : أين العقيد ؟

الكاتب : دُعي من أجل أحد المجنّدين الأغرار ، يا صاحب السيادة .

الجنرال : طيب ، ارْجُهُ أن يأتي .

الكاتب : بأمرك ، يا صاحب السيادة .

الجنرال : ماذا تنسخ هنا ؟ أهي شهادة ذلك المجنّد ؟

الكاتب : بالضبط ، يا صاحب السيادة .

(يسلّمه الكاتبُ الأوراق ويخرج) .

الجنرال ، يسلّم الأوراق إلى مساعده: اقرأْ ، من فضلك .

المساعد ، يقرأ: « جواباً عن الأسئلة التي طُرحتْ علي بصدد :

(١) لماذا لا أريد أداءَ القسم .

(٢) لماذا أرفض أوامرَ الحكومة .

(٣) ما حَملَني على التفوّه بألفاظ جارحة لا للسلطة

العسكرية بل لكل السلطات ؟أقول جواباً عن السؤال الأول : « لا أؤدي القسم لأنني أومن بعقيدة المسيح . لأن ذلك ممنوعٌ صراحةً في عقيدة المسيح ، في انجيل متى ٥ ، — ٢٣ — ٣٧ ، وفي رسالة القديس يعقوب ٥ ، ٥ ، ١٢ » .

الجنرال : يريدون أن يجادلوا ، هم يناقشون على طريقتهم .

المساعد ، يتابع قراءته : « جاء في انجيل متى ٥ ، ٣٧ بل ليكنْ كلامكم : نعم ، نعم ، لا ، لا ، وما زاد على ذلك فهو من الشرير » . وفي رسالة يعقوب : « ولكنْ قبل كل شيء ، يا إخوتي ، لا تَحلْفوا لا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسم آخر ؛ ولكن لتكنْ نعـُمكم نعم ، ولا كم لا لئلا تقعوا تحت دينونة » . وأكثر من ذلك ؛ في الإنجيل إشارةٌ إلى أننا يجب ألا نحاف يميناً ؛ لكنْ حتى لو لم يكن ذلك موجوداً لما أقسمتُ اليمين بتنفيذ مشيئة البشر ، لأنني يجب أن أنفـّذ ، بحسب الشريعة المسيحية ، مشيئة الله التي قد لا تتفق مع مشيئة البشر » .

الجنرال : وهم يجادلون أيضاً . لو أصغوا إليّ لما وقـَعَ ذلك .

المساعد ، يقرأ: « أرفضُ أن أنفـّذ مطالبَ البشر الذين يُسمـّون الحكومة ، لأن . . .

الجنرال : يا للوقاحة !

المساعد : « لأن هذه المطالب مجرمةٌ ووحشيـّة . يُرادُ مني أن أدخل الجيش وأن أتعلـّم القتل وأستعدّ له ، بينما يمنعني من

ذلك العهد القديم والجديد ، وضميري على الخصوص .
وعن السؤال الثالث . . .

(يدخل العقيد ووراءه الكاتب . يشد الجنرال على يده) .

العقيد : أكنت تقرأ الشهادة ؟

الجنرال : نعم ، كلام مُهين بشكل لا يُغتفر . هيّا ، تابع .

المساعد : « وعن السؤال الثالث : ما الذي حَمَلَني أثناء الجلسة على التلفّظ بكلمات مهينة ؟ أجيبُ : إن الذي حملني على ذلك هو رغبتي في خدمة الله ، والتنديد بالكذب الذي يتمّ باسمه . وآملُ أن أحتفظ بهذه الرغبة حتّى موتي . لأجل هذا . . .

الجنرال : دَعْني ، هذا كاف ، فلا حاجةَ بنا إلى سماع هذه الثرثرة . المهم خصوصاً أن نقتلع الشر وأن نعمل بحيث لا يُفسد البشر (للعقيد) هل كلّمتَه ؟

العقيد : كلّمتُه طوال الوقت . حاولتُ نُصحَه ، وإقناعه بأن الأمور ستزداد سوءاً بالنسبة إليه ، وانه لن يستطيع أن يفعل شيئاً من هذه الناحية . حدّثْتُه عن أسرته . انفعل انفعالاً شديداً ، لكنه كان يكرّر الشيءَ نفسه .

الجنرال : اخطأتَ لأنك تكلّمت كثيراً . نحن عسكريون لا نناقش بل نعمل . استدعوه .

(يخرج المساعد العسكري مع الكاتب) .

الجنرال ، يجلس في مقعد : لا ، عقيد ، ليس كذلك يجبُ أن تُعامَلَ

هذه الكائنات . يجب اتخاذ تدابير حاسمة ، لكي نَبْتر العضو المريض . النعجة الجرباء قد تُعدي قطيعاً . لا داعي للتصرف برفق ؛ أن يكون أميراً ، أن تكون له أم ، أن تكون له خطيبة ، كل ذلك لا يَعْنينا . أمامنا جندي ويجب تنفيذ المشيئة العايا .

العقيد : كنتُ أظنّ فقط أن من الأسهل نصحه .

الجنرال : أبداً لا . لا شيء إلا القرار ، القرار وحده . مرّ بي واحدٌ من النوع نفسه . يجب أن يحسّ أنه تافه ، وأنه ليس سوى ذرّة من الغبار تحت عربة ، وأنه لا يستطيع أن يوقفها .

العقيد : يمكننا أن نحاول دائماً .

الجنرال ، وقد بدأ يحتدّ : ليس ضرورياً على الإطلاق أن نحاول . لا حاجة بي إلى المحاولة . إني أخدم مليكي منذ أربعة وأربعين عاماً ، بذلتُ حياتي وسأبذلها في هذه الخدمة ، وها إن صبياً يريد أن يملي علي سلوكي ! إنه يلقي علي نصوصاً دينية ! عليه أن يناقش ذلك مع الكهنة ؛ أما معي ، فليس سوى شيء واحد : أن يكون جندياً أو سجيناً . هذا كل ما في الأمر .

(يدخل بوريس بين حارسين ؛ يتبعه المساعد العسكري) .

الجنرال ، مشيراً بأصبعه : أَجْلِسْهُ هنا .

بوريس : لستُ بحاجة إلى أن يجلسني . سأقف أو سأجلس حيثُ أشاء ، لأنني لا أعترف بسلطتك . . .

الجنرال : اسكتْ ! لا تريد أن تعترف بسلطتي ؟ سأُكرهك على أن تعترف بها !

بوريس ، جالساً على كرسي : كم تخطىء حين تصرخ .

الجنرال : أَنْهِضْه ، وأجلسه هنا .

(يجبره الجنديان على الوقوف) .

بوريس : تستطيعون أن تفعلوا ذلك . تستطيعون حتى أن تقتلوني ، أما أن تجبروني على طاعتكم . . .

الجنرال : اسكتْ ! واسمعْ ما سأقوله لك .

بوريس : لا أريد أن أسمع ما ستقوله أنتَ لي .

الجنرال : لكنه مجنون ! يجب إرساله إلى المستشفى ليُفْحَصَ . لم يَبْقَ ما نفعله غير ذلك .

العقيد : أعْطِيَ الأمرُ لاستجوابه عند الدرك .

الجنرال : حسناً ! أرسلوه ، لكن يجب إلباسُه .

العقيد : هو يأبى ذلك .

الجنرال : ليوثَقْ . (لبوريس) . اسمعْ ما أريد أن أقوله لك . أنا لا أبالي بما سيصيبُك . لكني أنصحُك ، لمصلحتك ، أن تفكّر . ستتعفّن في المعتقل . وستغدو بلا نفع لأحد . دعْك من هذا . لقد ثرتَ أنتَ وثرتُ أنا (يربت كتفه) . هيّا ، أقْسم اليمين ودعْ ذلك كله . (للمساعد) . هل الكاهنُ هنا ؟ حسناً ! ماذا ؟

(بوريس يلزم الصمت) .

الجنرال : لماذا لا تُجيب ؟ هذا أفضلُ الآن . لن يحطم السوطُ المراوة . احتفظْ بأفكارك لنفسك . ستنتهي مدةُ خدمتك . ولن نُسيء معاملتك . ما رأيكَ إذن ؟

بوريس : لم يَبْقَ لديّ ما أقولُه . قلتُ كلّ ما عندي .

الجنرال : تقول إن الإنجيل يحوي هذه الآيةَ أو تلك . الكهنةُ هم الذي يعرفون ذلك . فحدّثْ الكاهنَ في ذلك ، ثم فكّرْ قليلاً . هذا أفضل . الوداع . أمل أن ألقاك ، عندما اهنئك على كونك في خدمة القيصر . أَرسلْ الكاهن !

(يخرج . يتبعه العقيد والمساعد العسكري)

بوريس ، للكاتب والجنديين : أتسمعون كيف يتكلّمون ؟ هم يعلمون جيداً أنهم يخدعونكم . لا تَسْتسلموا لهم . اتركوا بنادقكم وامضوا . تعرّضوا للجَلْد بالسياط في كتائب التأديب ، ولا تكونوا خدماً لهؤلاء الكذّابين .

الكاتب : لا ينبغي لهذا أن يكون . لا نستطيع الاستغناء عن العسكريين . هذا مستحيل .

بوريس : وكيف لاينبغي أن نجادل ؟ لا بد من ذلك لكي نعلم ما يريده الله منا . لكن الله يريد أن . . .

أحد الجنديين : وكيف يُعلنون إذن : « المحاربون المحبون للمسيح(١) .» .

---

(١) المحاربون المحبون للمسيح : منذ العصور الوسطى كانت تستخدم في الصلوات هذه العبارة المترجمة عن اليونانية : « فيلوكريستون ستراتوما » .

بوريس : لم يَرِدْ هذا الكلام قط. الكذّابون هم الذين اخترعوا هذا .

أحد الجنديين : يجب أن يكون رؤساء الأساقفة عالمين بذلك .

(يدخل ضابط درك يتبعه كاتب) .

ضابط الدرك ، للكاتب : هل المجنّد الأمير تشيرِيمشانوف هنا ؟

الكاتب : ها هو ذا ،

الضابط : تعال إلى هنا . أأنت الأمير بوريس سيمينوفتش تشيرِيمشانوف الذي رفض أن يؤدي اليمين ؟

بوريس : أنا نفسي .

الضابط ، يجلس ، ويدلّه على كرسي في مواجهته : أرجوك أن تجلس.

بوريس : أعتقد أن حديثنا لا طائل منه .

الضابط : لا أعتقد . على الأقل لك . اسمع . لقد نُقِلَ إليّ أنك ترفض الخدمة العسكرية وأداء اليمين ؛ ولذلك يُشَكّ بأنك تنتمي إلى الحزب الثوري . وهذا ما أريد أن أفحصه . إن كان ذلك صحيحاً فسنكون مجبرين على إبعادك عن الخدمة العسكرية ، وعلى نَفْيِكَ ، أو طردك ، بحسب درجة انضوائك إلى الثورة . . وإلاّ ، تركْناك للإدارة العسكرية . أترى ، أنا صريح معك ؛ وأنا أتكلّم على المكشوف ، وآمل أن تبدي لنا الثقة نفسها .

بوريس : اولاً ، ليس بوسعي أن أثق بالذين يَرْتدون هذا اللباس (يشير إلى البزّة العسكرية) . ثانياً ، إنك تقوم بمهمة لا

أقدّرها ، بل أنا اشمئز منها أعظم اشمئزاز . لكني لن أرفض الجواب عن أسئلتك . ما الذي تريد أن تعرفه ؟

الضابط : اسمحْ لي أولا : اسمك ووضعك ودينك ؟

بوريس : تعرفون ذلك كله ، ولن أجيب . ليس هناك سوى سؤال واحد شديد الأهمية عندي : لستُ بالذي يُسمّى « ارثوذكسياً » .

الضابط : فما دينُك ؟

بوريس : لا أستطيع تحديده .

الضابط : والحاصل ؟ . . .

بوريس : لنقل إنه الدين المسيحي بحسب الموعظة على الجبل .

الضابط : اكتبْ (الكاتبُ يكتب) . (لبوريس) . أتعترف بأنك تنتمي إلى دولة ما ، إلى وضع ما ؟

بوريس : لا ، لا أعترف بذلك . أعترفُ بأني إنسان ، خادمٌ لله .

الضابط : ولمَ لا تَعْترف بأنك عضو في الدولة الروسية ؟

بوريس : لأني لا أعترف بأية دولة .

الضابط : ما معنى كونك لا تعترف ؟ أترغب في هَدْم كل شيء ؟

بوريس : بلا شك ، أرغبُ في ذلك وأعمل من أجل ذلك .

الضابط ، للكاتب : اكتبْ . وبأية طريقة تعمل لذلك ؟

بوريس : طريقة التشهير بالرياء والكذب ، بنَشْر الحقيقة . قبل قليل ، عندما دخلتَ ، كنت أقول لهذين الجنديّين ، إن عليهما ألا يؤْمنا بالكذب الذي يجرّونهما إليه .

الضابط : لكن هل تعترفُ بوسائل أخرى غير التشهير والإقناع ؟

بوريس : لا ، لستُ أنكر فقط أية وسيلة أخرى ، بل أنا أعتبر كلّ عنفٍ أكبر الآثام . لا العنف وحده ، بل الخداع والاحتيال أيضاً .

الضابط : طيّب ، يا سيدي . والآن اسمحْ لي أن أعرف أسماء أصدقائك . أتعرف ايفاشنكوف ؟

بوريس : لا .

الضابط : أتعرف لكين ؟

بوريس : سمعتُ عنه ، لكني لم أره قط .

(يدخل كاهن) .

الضابط : أظنني انتهيت . وأعترف بأنك لست خطراً وأنك خارجٌ عن اهتمام دائرتنا . أتمنّى أن يُخلى سبيلُك على الفور . تحيتي لك .

(يصافحه) .

بوريس : أودّ أن أقول لكَ شيئاً . عفوكَ ، لكني لا أستطيع أن امتنعَ عن قوله : لمَ اخترت مثلَ هذه المهنة السيئة والمُسيئة ؟ لو سألتني لنصحتُكَ بالتخلي عنها . . .

الضابط ، مبتسماً : أشكرك للنصيحة . كانت لي بواعثي . تحيتي . أعطيك مكاني ، أيها الأب .

(الكاهن المسنّ ، يحمل الصليب والإنجيل . يطلب الكاتب مباركته) .

الكاهن : كيف تسبّب المتاعب لرؤسائك برفضك القيام بواجبك كمسيحي ، وبرفضك خدمة القيصر والوطن ؟

بوريس ، مبتسماً : واجبي كمسيحي هو بالضبط ما أريد أن أفعله . ولذلك أرفضُ أن أكون جندياً .

الكاهن : ولمَ ترفضُ ذلك . فقد جاءَ : « من يُعطي حياته للآخرين » ، هذا هو المسيحي الحقيقي .

بوريس : نعم ، يُعطي حياته ، ولا يأخذ حياة الآخرين . هذا بالضبط ما أريده ، أن أعطي حياتي .

الكاهن : أنت ، أيها الشاب ، لا تُحاكم محاكمةً سليمةً . قال يسوع للمحاربين . . .

بوريس : مبتسماً : هذا يدل فقط على أن الجنود ، حتى في ذلك الزمان ، كانوا ينهبون ، وقد منَعَهم من ذلك .

الكاهن : لمَ إذن امتنعتَ عن أداء القسم ؟

بوريس : أنت تعلم أن ذلك ممنوعٌ في الإنجيل .

الكاهن : كلا . فعندما يقول بيلاطس : « أحلّفك بالله الحي ، أأنت يسوع ؟ » أجابَ الربُ يسوع : « أنت قلتَ ذلك » . وإذن فاليمين ليست ممنوعةً .

بوريس : ألا تخجل ، وأنت الشيخ !

الكاهن : لا تركَبْ رأسَك ، أنصحكَ بذلك . لن نغيّر العالم . أدِّ القسمَ وستكون مطمئناً . أما ما هو خطيئةٌ وما ليس خطيئةً فدع الكنيسة تبتّ في ذلك .

بوريس : تبتّ لك ! ألا تخاف من حمل هذه الخطايا على ظهرك ؟

الكاهن : أية خطايا ؟ ؟ا أني تربّيتُ في الإيمان الراسخ . وبما أنني عشتُ ثلاثين سنةً في الكهنوت، فلا يمكن أن تكون لي خطايا .

بوريس : من الذي يرتكب الخطيئة ، عندما تخدعون كل هؤلاء الناس . ما الذي في دماغهم ؟

(يشير إلى الحارس) .

الكاهن : ليس لنا أن نَحْكم على هذا ، أيها الشاب ؛ ما يلزمنا هو طاعةُ رؤسائنا .

بوريس : دَعْني . أنا أرثي لك ، ولا أَستمعُ إليك إلا باشمئزاز . ليتك كنت كالجنرال الذي كان هنا قبل قليل ، لكنك تضع صليبا ، وتحمل بيدك الجيلاً ، وأنت تعظني باسم المسيح لكي أتخلّى عن المسيح . امضِ . امضِ (مضطرباً) . امضِ ودعْني . هيّا . خلوني حتى لا أرى أحداً . أنا متعبٌ . أنا مُتعب للغاية .

الكاهن : وداعاً ، إذنْ .

(يدخل المساعد العسكري ، يجلس بوريس في الصدر) .

المساعد العسكري : وماذا جرى ؟

الكاهن : عناد شديد . خروج على الطاعة .

المساعد العسكري : إذن ، هو لا يريد أن يؤدي القسم ولا أن يقوم بالخدمة العسكرية ؟

الكاهن : إطلاقاً .

المساعد العسكري : يجب إذن نقله الى المستشفى العسكري .

الكاهن : آه ! نعم . يجب أن يُعتبر مريضاً . هذا أكثر ملاءمةً . لأن هذه القدوة مُعْدِيةٌ أحياناً .

المساعد العسكري : سنضعه في قسم الأمراض العقلية ، لكي يُراقَبَ . وقد صدرَ الأمرُ بذلك .

الكاهن : بدون شك . تحيتي لك .

(يخرج) .

المساعد العسكري ، يدنو من بوريس : تعال ، من فضلك . فمعي أمر باقتيادك .

بوريس : إلى أين ؟

المساعد العسكري : إلى المستشفى العسكري ، لبعض الوقت ، حيث ترتاح وحيث يتسنى لك الوقتُ للتفكير .

بوريس : فكّرتُ منذ زمن طويل . هيّا . لِنذهبْ .

(يخرجان) .

المشهد — ٣ —

« صالة مستشفى . طبيب عجوز وطبيب شاب . مرضى بمباذلهم ، خدم الصالة بقمصانهم » .

ضابط مريض : قلتُ لك : إنك تزيدني مرضاً . لقد شعرتُ عدة مرات بالتحسّن .

الطبيب : لا تضطربْ . أنا أقبل بالتوقيع على بطاقة خروجك . لكنك تعلم جيداً أن الحرية خطرٌ عليك . ولو علمتُ أنك ستجدُ من يَعْتني بك . . .

الضابط المريض : أتظنّ أنني سأعود إلى الشرب ؟ لا ، لقد تلقّنْتُ درساً . لكنّ كلّ يوم أقضية هنا يُسهم في هلاكي . أنتَ تَفْعل عكس ما يجب عليك أن تفعله (محتدّاً) . أنت قاس . أنت تحسّ بالراحة هنا .

الطبيب : اهدأْ !

(يشير إلى الممرضين الذين يقتربون من الخلف) .

الضابط المريض : النقاش حسنٌ ونحن أحرار ، أما بالنسبة إلينا ، بين المجانين . . . (للممرضين) . لا تقتربوا ! ارجعوا !

الطبيب : أرجو أن تهدأ .

الضابط المريض : أنا ، أرجوك أن تَدَعني أخرج .

(يطلق صرخة وينقض عليه . يمسك به الممرضون ويقتادونه) .

الطبيب الثاني: ها إن ذلك يعود إليه . كاد يُصيبك .

الطبيب : مدمنٌ و . . . لا حيلةَ لنا . مع أن هناك تحسّناً طفيفاً .

المساعد العسكري ، داخلاً : طاب يومكما .

الطبيب : طاب يومُك .

المساعد العسكري : جئتكم بشخصٍ مثير للاهتمام . إنه أميرٌ يُدعى تشيريمشانوف ، عليه أن يؤدي الخدمة العسكرية ، لكنه

رفض ذلك محتجاً بالإنجيل . أرسلته إلى الدرك ، فأعلن هؤلاء أن حالته لا تدخل في اختصاصهم وقالوا إنه لا ينطوي على أية صفة خطرة . ووعظه الكاهن ، لكن بدون جدوى .

رئيس الأطباء ، ضاحكاً : كالعادة دائماً ، تأتون به إلينا كمرجع أخير . حسناً ! هاته .

(يخرج الطبيب الثاني) .

المساعد العسكري : يُقال إنه شاب متعلم جداً ، وخطيبته ثريّة . هذا مدهش . أجدحقاً أن مكانه هو عندكم .

الطبيب : نعم ، مسّ الجنون . . .

(يُدخَلُ بوريس)

الطبيب : أهلاً وسهلاً . اجلسْ ، أرجوك . سنتحدّث قليلا . دعْنا .

بوريس : أرجوكمْ ، أن تحبسوني إنْ أمْكنَ ، بأسرع وقت ، إن كانت نيتكم حبسي في مكان ما ، وأن تَدَعوني أستريح .

الطبيب : عفوك ، لكن من الضروري مراعاة الأنظمة . بعض الأسئلة فقط . بمَ تحسّ ؟ وأين تتألّم ؟

بوريس : لا أتألم ، وصحتي جيدة .

الطبيب : نعم ، لكنك لا تتصرّف كسائر الناس .

بوريس : أتصرّفُ كما يأمرُني ضميري .

الطبيب : أنت ترفض أن تؤدّي خدمتك العسكرية . ما الدافع ؟

بوريس : أنا مسيحي ولا يجوز لي أن أقتل .

الطبيب : لكن يجب الدفاع عن الوطن في وجه الأعداء ، ويجب أن نُصْلح الذين يخلّون بالنظام العام .

بوريس : لا أحد يُهاجم الوطن ، والمُخلّون بالنظام بين رجال الحكومة أكثر عدداً من المخلين بالنظام بين الذين يعذّبونهم .

الطبيب : ماذا تقصدُ بذلك ؟

بوريس : انظرْ مثلا إلى الخمر ، وهو مصدرٌ كبير من مصادر الشر ؛ الحكومةُ هي التي تبيعه ؛ والحكومة تنشر ديناً خاطئاً ، كاذباً ؛ ثم هناك الخدمة العسكرية المطلوبةُ مني وهي الوسيلة الأولى للفساد ، والحكومة هي التي تطلبها .

الطبيب : لا لزوم إذن ، بحسب رأيك ، لا للحكومة ولا للدولة ؟

بوريس : لا أدري ، لكنني أعلمُ علمَ اليقين أنني بغنى عن المشاركة في الشر .

الطبيب : وماذا سيُصيب العالم حينئذ . لأننا أُعْطينا العقل لنتنبّأ بالمستقبل .

بوريس : وأعْطينا العقلَ أيضاً لنرى أن النظام الاجتماعي يجب أن يقوم على الخير لا على العنف ، وأن رفض أي شخص المشاركةَ في الشر لا يَنْطوي على أيّ خطر .

الطبيب : اسمحْ لي أن أفحصك قليلاً الآن . (يجسّه) . ألا تحسّ بأي وَجَعٍ هنا ؟

بوريس : لا .

الطبيب : ولا هنا ؟

بوريس : لا .

الطبيب : تنفّس ! لا تتنفّسْ ! أشكرك . اسمحْ لي الآن . (يقيس الأنف والجبهة) أغلق عينيك ، من فضلك . امشِ .

بوريس : ألا تخجل من ذلك ؟

الطبيب : ممّ ؟

بوريس : من كل هذا الرياء . لأنك تعلم أنني سليمُ الجسم ، وأنهم أرسلوني إلى هنا لأنني رفضتُ المشاركة في الشرّ الذي يَقترفونه ، وأنهم لا يملكون ما يردّون به على الحقيقة ، ولذلك تراهم يتظاهرون بأن يعتبروني غير طبيعي ؛ وأنت تؤازرهم في هذه الحالة . هذا عملٌ حقيرٌ ومُخزٍ . دَعْكَ من هذا !

الطبيب : ألا تريد أن تمشي ؟

بوريس : لا ، لا أريد أن أمشي . تستطيع أن تعذّبني كما تشاء ، لكنْ تصرَّفْ بنفسك ، أما أنا فإن أساعدك . (بحرارة) . دعْني !

الطبيب ، يضغط على زر . يدخل ممرّضان : اهدأْ . أفهمُ أن تكون أعصابُك مهتاجةً . ألا تريد أن تذهب إلى غرفتك .

(يدخل الطبيب الثاني) .

الطبيب الثاني : جاءَ زوارٌ يطالبون مقابلة تشيريمشانوف .

بوريس : مَنْ هم ؟

الطبيب : السيد سارنتزيف وابنتُه .

بوريس : أودّ لو أراهما .

رئيس الأطباء : حسناً ! استقبلْهما . تستطيع أن تستقبلهما هنا .

(يدخل نيكولا ايفانوفتش ولوبا) .

الأميرة على الباب تقول : اذهبا ، سأذهب بعدكما .

لوبا ، تسير إليه رأساً وتقبّله على جبينه : يا بوريس المسكين !

بوريس : لا ، لا تَرْثي لي . أنا مرتاحٌ جداً ، سعيدٌ جد . وقلبي مبتهجٌ . طاب يومُكَ .

(يقبّل نيكولا ايفا نوفتش) .

نيكولا ايفانوفتش : جئت لأقول لك شيئاً مهماً جداً . أولاً ، في كل شيء ، تجاوزُ الحدّ أسوأ من التقصير ؛ ثانياً ، في هذه الحالات يجب أن نتصرّف كما جاءَ في الإنجيل : ألا نفكّر مسبقاً :سأفعل هذا وسأقول هذا ، « فمتى أسلموكم إلى الحكّام فلا تهتمّوا بما تتكلّمون لأن الروح القدس يعلّمكم ماينبغي أن تقولوه » . أي انك لا يجب أن تتصرف بعد أن تقول في نفسك : يجب أن أتصرّف هكذا ، لكن عندما ينفذ إلى كيانِكَ الشعورُ بأنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً آخر .

بوريس : وهذا ما فعلتُه . لم أكن أفكّرُ برفض الخدمة العسكرية . لكنني عندما رأيتُ كلّ ذلك الكذب ، والمرآةَ الرامزةَ

إلى العدالة ، وتلك الأوراق ، وهذه الشرطة ، لم أستطعْ أن أمتنعَ عن قول ما قلتُه . كنتُ خائفاً فقط حتّى اللحظة التي بدأتُ بها ، ثم بدا لي ذلك بسيطاً جداً ، وملأني بالفرح .

(تظل لوبا جالسةً وتبكي) .

نيكولا ايفانوفتش : وعلى الخصوص ، لا تصنعْ شيئاً لتكسب المجدَ في عيون الناس ، لتنال استحسانَ الذين تُكْبِرُ رأيهم . أما أنا فأقول لكَ بصراحة ، إذا أديتَ القسمَ على الفور ، وإذا أتممْتَ خدمتك ، فلن يَنْقص حبّي وتقديري لك . بل ربما زادا عما كانا عليه من قبل ، لأن المهم ما يجري في القلب لا ما يجري أمام الناس .

بوريس : هذا مفهوم ، لأنه إن جرى شيءٌ في القلب فسوف يتغيرّ موقفنا بين الناس .

نيكولا ايفانوفتش : هذا ما عندي لأقوله لك . أمّكَ هنا . وهي مغتّمةٌ جداً . إذا كان بوسعك أن تفعل ما تطلبه منك فافعلْه . هذا ما أردتُ أن أقوله لك .

(تُسمع صرخاتٌ رهيبة في الرواق . يقتحم القاعةَ مريضٌ فيتبعه الممرّضون ويقودونه بالقوة) .

لوبا : هذا فظيع . وستكون أنتَ هنا ؟

(تبكي) .

بوريس : هذا لا يخيفُني . لا شيءَ يخيفني في الوقت الحاضر . أنا

في حالة حسنة ! شيءٌ واحدٌ يُقلقني : وهو بأية طريقة ستُقابلين ذلك . ساعديني . أنا واثقٌ من أناك ستَسْنديني .

لوبا : أيجوز لي أن أفرَح ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، ليس ضروريا أن تفرحي . وأنا أيضاً ، لن أفرح ، أنا أتألّم من أجله . كم كنتُ سأفرحُ لو كنتُ مكانه ! لكني أتألم وأعلم أن هذا حسنٌ .

لوبا : طيّب . ومتى سيُخاون سبيله ؟

بوريس : لايعلم ذلك أحدٌ . لستُ أفكرّ في المستقبل . الحاضرُ جميلٌ جداً ! وتستطيعين أن تجعليه أجمل .

الأميرة ، تدخل : لا أستطيع أن أنتظر أكثر من ذلك . (لنيكولا ايفانوفتش) هل أقنعتَه أخيراً ؟ هل قبل ؟ بوريس ! يا عزيزي افهمْ كم تألمتُ . ثلاثون عاماً لم أعشْها إلا لكَ . أربّياك وأجد الرجاءَ فيك . فلما تمّتْ التربيةُ وتحقّق الرجاءُ ، تخلّيتَ عن كل شيء . السجن والعار ! لا ، يا حبيبي بوريس . . .

بوريس : ماما ، أصغي إلي .

الأميرة : لماذا لا تكلّمينه ؟ لقد فقدْتِه ، أنتِ التي يجب أن تُقنعيه . أأنتِ مرتاحةٌ ، أنتِ . لوبا ، هلاّ كلّمته .

لوبا : وماذا أستطيع أن أفعل ؟

بوريس : ماما ! حاولي أن تفهمي أنّ هناك أشياء مستحيلة . من المستحيل عليّ أن أطير في الهواء . وكذلك من المستحيل علي أن أؤدي الخدمة العسكرية .

الأميرة : ذلك لأنك تتصوّر أنك لا تستطيع ذلك . هذه مزحةٌ . كلُ الناس أدّوا الخدمة وكل الناس يؤدّونها . أنت ونيكولا ايفانوفتش ابتكرتما مسيحيّةً جديدةً . ليست هذه مسيحية ، وإنما هي تعاليم الشيطان التي ستجعلنا نتألم جميعاً .

بوريس : ومع ذلك فهذا ما يقول به الإنجيل .

الأميرة : لم يقلْ هكذا ، وحتّى لو جاءَ هذا في الإنجيل فهو حمقٌ . بوريس ، يا حبيبي ، ارحمْني . (ترتمي على عنقه وهي تبكي) . كل حياتي لم تكن سوى عذاب . لم أكد ألمح بارقةَ سعادة حتى جعلتَ لي منها عذاباً . بوريس . ارحمْني !

بوريس : ماما ، هذا مؤلمٌ لي للغاية . لكني لا أستطيع أن أقول لك شيئاً .

الأميرة : هيّا ، لا ترفضْ ، قلْ إنك ستبذل جهدك .

نيكولا ايفانوفتش : قلْ إنك ستفكّر ، وفكّرْ .

بوريس : طيّب ، طيّب . وأنت أيضاً ، ماما ، ارحميني . فهذا يؤلمني جداً أيضاً .

(تُسمع مرةً أخرى صرخات في الرواق) .

بوريس : أنا في مستشفى للمجانين ؛ وقد يفقد المرءُ حقاً عقله فيه ...

رئيس الأطباء : سيدتي ، قد يكون لهذا نتائج سيئة جداً . ابنك هائج

الأعصاب جداً . أظن أن من الضروري إنهاء المقابلة .
يوم الزيارة هو يوم الخميس ، والزيارةُ حتى الظهر .

الأميرة : طيب ، طيب . سأذهب . إلى اللقاء ، بوريس ! فكِّرْ ، ارحمْني ، واستعدّ لزيارتي نهار الخميس لتبشّرني بنبأ سعيد .

نيكولا ايفانوفتش ، يمدّ إليه يده : أعانك الله في تفكيرك ؛ فكّرْ وكأنك ستموت غداً . هكذا فقط يكون قرارُك صحيحاً . إلى اللقاء .

بوريس ، يدنو من لوبا : أنتِ لا تقولين شيئاً لي ؟

لوبا : لا أستطيع أن أكذب . لا أفهم ما جدوى أن تتعذّب وتعذّب الآخرين . لا أفهم ولا أستطيع أن أقول شيئاً .

(تبكي ويخرجون) .

بوريس ، وحده : آه ! ما أقسى هذا ، ما أقسى هذا ! أعنّي ، ياربي !

(يصلي ، يحمل الممرّضون لباس المستشفى) .

الممرّض : يجب أن تغيّر ملابسك .

بوريس ، وقد بدأ يخلع ملابسه : نعم . . . لا ، لا أريد .

(يُلبسونه ملابسه بالقوة) .

ستار

الفصل الرابع

المشهد — ١ —

« في موسكو . بعد سنة من الفصل الثالث . صالة في منزل آل سارنتزيف الذي استعد لأمسية راقصة . يضع الخادم نباتات قرب البيانو .

شجرة عيد الميلاد . تدخل ماري ايفانوفنا مرتدية فستاناً من الحرير الأنيق تتبعها آلين ايفانوفنا .

ماري ايفانوفنا: حفلة راقصة ؟ ليست هذه حفلة راقصة ، هذه أمسية صغيرة ، حفلة راقصة صغيرة ، كما كان يقال في الماضي **حفلة راقصة صغيرة للفتيان** . لأني لا أستطيع أن أرسل دائماً أولادي يرقصون ويشاهدون التمثيليات المنزليةفي منزل آل ماكوفسكي ، ويرقصون في كل مكان . يجب أن نردّ المثل بالمثل .

آلين ايفانوفنا : أخاف كثيراً أن يستنتج نيكولا ذلك .

ماري ايفانوفنا: ما العمل ؟ (الخادم) . ضَعْها هنا . الله أَعْلمُ كم أنا زاهدةٌ في تسبيب المتاعب له . لكني أرى أنه أصبح أقل تشدّداً الآن .

آلين ايفانوفنا : اوه ! لا ، لكنه لا يُظهر ذلك . لقد ذهب إلى المنزل بعد العشاء ، وقَلَّبَ كل شيء .

ماري ايفانوفنا: وما حيلتُنا في ذلك ؟ ما حيلتُنا في ذلك ؟ لا بد للجميع من أن يحيوا . هم ثمانية . فاذا لم نوفّرْ لهم شيئاً من التسلية ، أقدموا على مالا يعلمه إلا الله . أنا الآن ، على الأمل ، سعيدة من أجل لوبا .

آلين ايفانوفنا : وهل تقدّم بالطلب ؟

ماري ايفانوفنا: تصرّفَ وكأنه طلبها . فاتّحها ، فقالت : نعم .

آلين ايفانوفنا : ستكون صدمةً رهيبة له أيضاً .

ماري ايفانوفنا: لكنه يعلم ذلك . لا يمكن إلا أن يعلم ذلك .

آلين ايفانوفنا : وهو لا يحبّه .

ماري ايفانوفنا ، للخدم : ضعوا الفواكه على الصوان . مَنْ ؟ الكسندر ميخايلوفتش ؟ طبعاً لا يحبّه ، لأنه نفْيُ نظرياته كلها : اجتماعي ، ساحر ، ظريف وطيب . آه ! هذا الكابوس المرعب — بوريس تشيريشانوف — ماذا أصابه ؟

آلين إيفانوفنا : ذهبتْ ليزْ لتراه . وهو لا يزال في الموضع ذاته . يُقال إنه غدا هزيلاً ، وأن الأطباء يخافون على حياته أو على عقله .

ماري ايفانوفنا: نعم ، إنه ضحيةٌ رهيبة لأفكاره . لقد هلك بسبب ذلك . لم أكن أود أبداً . . . (يدخل عازف البيانو للعازف). جئتَ من أجل الرقصات .

العازف : نعم ، يا سيدتي ، أنا العازف .

ماري ايفانوفنا: اجلسْ ، أرجوك . انتظرْ كي تتناول الشاي ؟

العازف : لا ، يا سيدتي ، أشكرك ..

(يسير نحو البيانو) .

ماري ايفانوفنا: لم أرغب في ذلك قط . . . أحبّ بوريس ، لكنه لم يكن الزوج الذي يصلح للوبا ، ولا سيّما بعد أن يكون قد تولّع بأفكار نيكولا ايفانوفتش .

آلين ايفانوفنا : مدهشةٌ قوةُ القناعة . كم هي عظيمة . لأنه يتألّم ، هم يقولون له إن لم يَمْتثل للأمر فاما أن يظلّ هناك وإما أن يوُضعَ في المعتقل ، وهو يجيبُ دائماً الجواب نفسه .. قالت لي ليزا إنه كان سعيداً بل ومرحاً .

ماري ايفانوفنا: هؤلاء متعصّبون . آه ! ها هو الكسندر ميخايلوفتش !

(الكسندر ميخايلوفش ستاركوفسكي المتألّق ، يقدّم نفسه باللباس الرسمي) .

ستاركوفسكي : جئتُ قبل الوقت بكثير .

(يلثم يد كل من السيدتين) .

ماري ايفانوفنا: هذا أحسن !

ستاركوفسكي : أين ليوبوف نيكولايفنا ؟ كان بنيتها أن ترقص كثيراً لتعوّض الزمن الضائع . تعهّدتُ بمساعدتها .

ماري ايفانوفنا: هي مشغولةٌ بتتمّمات التنّورة .

ستاركوفسكي : سأذهب لمساعدتها . أتسمحين ؟

ماري ايفانوفنا: موافقة .

(ستاركوفسكي يتّجه إلى المخرج . لوبا تظهر في مواجهته . وهي تحمل مخدةً ونجوماً وأشرطة) .

لوبا ، في ثياب السهرة غير المكشوفة : آه ! هذا أنت ! حسنٌ جداً . ساعدْني . هناك في الصالون ، مخدّتان، احملْهما إلي . طاب يومك ، طاب يومك !

ستاركوفسكي : سأطير إليهما .

(يخرج) .

ماري ايفانوفنا، للوبا : اصغي إليّ ، لوبا ، سيأتي أصدقاؤنا ، في هذا المساء ، وسيلمحّ بعضُهم وسيسألون . يُمكننا أن نُعْلِنَ . . .

لوبا : كلاّ ، ماما ، كلاّ . ولمَ ذاك . ليسْأَ لوا . هذا يشقّ على بابا .

ماري ايفانوفنا: لكنه يعلم ذلك أو يَحْزِره ، وسنقوله له عاجلا أم آجلاً . وأظنّ من الأفضل إعلان ذلك اليوم . **لأن هذا هو سر التمثيلية .**

لوبا : لا ، لا ، ماما . أرجوك . سيُفسد ذلك أمسيتي . يجب ألاّ تقولي شيئاً .

ماري ايفانوفنا: كما تشائين .

لوبا : إذن انظري ، في آخر الأمسية ، قبل العشاء . . . هلاّ حملها .

ماري ايفانوفنا: يجب أن أذهب لألقي نظرة خاطفة على ناتالي .

(تخرج مع آلين ايفانوفنا) .

ستاركوفسكي ، يحمل ثلاث مخدّات يشبّتها بذقنه ويدعُها تسقط على الطريق : ليوبوف نيكولايفنا ، لا تامسيها ، سأَلمُّها . هل صنعتِ الكثيرَ منها . يجب أن تَعرْفي كيف يُنظّم ذلك كله . فانيا ، تعال .

فانيا ، يحمل مخدّات أخرى : هذه هي كلها . لوبا تراهنّا ، الكسندر ميخايلوفتش وأنا ، على أيّنا سيفوز بأوسمةٍ أكثر .

ستاركوفسكي : سيكون الأمرُ سهلاً عليك ، فأنت تعرف الجميعَ ، وقد فُزْت عليهم مسبقاً من قبل ، أما أنا فيجب أن أعجب السيدات أولاً وأن أتلقّى المكافآت بعد ذلك . وأنا أُعطيك أربعين نقطة زيادة عليّ منذ الآن .

لوبا : فانيا ، اذهب إلى غرفتي ، من فضلكَ ، واحملْ إليّ الصمغ والكبة اللذين على الرفّ . (يخرج فانيا .) بجاه الله ، لا تكسرْ ساعتي .

فانيا : سأكسرُ كلَّ شيء .

(يخرج راكضاً) .

ستاركوفسكي ، ممسكاً لوباً بيدها : لوبا ، أتَسْمحين ؟ أنا سعيد جداً . (يلثم يدها) . المازوركا لي ، لكنّ هذا لا يكفيني . ليس لدينا وقتٌ للكلام أثناءَ المازوركا . وأنا بحاجة إلى أن أكلّمك . أتأذنين لي بارسال برقية لعائلتي أعلن فيها أنني مقبولٌ ، وأنني سعيدٌ ؟

لوبا : أجل ، هذا المساء بالذات .

ستاركوفسكي : كلمة واحدة أيضاً : كيف سينظر نيكولا ايفانوفتش إلى هذا الشيء ؟ هل كلّمتِه ؟ هل قلتِ له ؟ نعم ؟

لوبا : لم أحدّثه في ذلك . لكني سأحدّثه . سيقبل بذلك كما يقبل الآن بكل شيء يخصّ العائلة . سيقول : افعلي كما تشائين ؟ لكنه سيغتمّ في أعماقه .

ستاركوفسكي : لأنني لستُ تشيريمشانوف ؟ لأنني نبيل من نبلاء المجلس ، مارشال النبلاء ؟

لوبا : نعم . وقد صارعتُ نفسي ، وكذبتُ على نفسي بسببه . لا لأن حبي له أقل ، لأنني لا أفعل ما يريد ، بل لأني لا أعرف الكذب . إنه يقول ذلك بنفسه . أنا شديدة الشوق إلى الحياة .

ستاركوفسكي : وهذه هي الحقيقة الوحيدة ، الحياة ! حسناً ! والآخر ، تشيريمشانوف ؟

لوبا ، مضطربة : لا تُكلّمْني عنه . أود لو أستطيع اتهامه ، اتهامه في حين أنه يتألم وذلك لأنني مذنبة بحقّه . لم أعد أعرفُ إلا هذا الشيء ، أن الحب موجود ، الحب الحقيقي ، على ما أعتقد ، الحب الذي لم أضمرْهُ قطّ له .

ستاركوفسكي : أصحيح هذا ، لوبا ؟

لوبا : أتريد أن أقول : إنك أنتَ الذي أُحبه بهذا الحب الحقيقي ، لكني لن أقول ذلك . أُحبكَ ، نعم ، أحبك . . .

ستاركوفسكي : أنت ؟

لوبا : أحبكَ ، أنتَ ، حباً مختلفاً ، لكنْ ليس هذا ما أريده . لا حبي الآن ولا حبّي آنذاك هو ما أريده .

ستاركوفسكي : لا ، أنا مسرورٌ من حبي . (يلثم يدها) . لوبا !

لوبا ، تَدْفعه عنها : لا ، لنهتم بالمتمّمات . على كل حال ، وصل الزوّار .

(تدخل الكونتيسة ومعها تانيا وبنت صغيرةٌ) .

لوبا : ماما ستأتي في الحال .

الكونتيسة : نحن أول القادمين .

ستاركوفسكي : لا بد أن يكون للقادمين أول . وقد اقترحت أن تُصْنع سيدةٌ من الكاوتشوك تكون أول القادمين .

(يدخل ستيوبا وفانيا الذي حمل لأخته الصمغَ والكبّة) .

ستيوبا : كنت آمل أن ألقاك أمس في فندق الإيطاليين .

تانيا : ذهبنا إلى منزل خالتي . كانت تخيط للفقراء .

(يدخل طلابٌ ، وسيدات ، وماري ايفانوفنا) .

الكونتيسة : ألن نرى نيكولا ايفانوفتش ؟

ماري ايفانوفنا : لا ، إنه لا يظهر أبداً .

ستيوبا : وكيف انتهت قضية الشاب تشيرنشانوف ؟

ماري ايفانوفنا : مايزال المسكين في مستشفى المجانين ؟

الكونتيسة : انظروا إلى هذا العناد الشديد !

مدني : يا للضلال الغريب ! من تراه يُفيدُ ؟

طالب : من فضلك ، رقصة مربّعة !

(يصفّق بيده ، يصطفون ويرقصون) .

آلين ايفانوفنا ، تقترب من ماري ايفانوفنا : هو في اضطراب بالغ . كان عند بوريس ، ولما عاد رأى الحفلة الراقصة ، فنوى أن يذهب . دنوتُ من الباب وسمعتُ حديثَه مع الكسندر بيتروفتش .

ماري ايفانوفنا: وماذا سمعتِ ؟

راقص : **حلقة السيدات ! المراقصون في المقدّمة .**

آلين ايفانوفنا : قرّرَ أنّ من المستحيل العيش هكذا ، وهو ينوي الرحيل .

ماري ايفانوفنا: كم يحبّ هذا الرجلُ أن يعذّبكم .

(تخرج) .

المشهد — ٢ —

« غرفة نيكولا ايفانوفتش . تُسمَعُ الموسيقا من بعيد . هو بالسترة ، يضع رسالةً على الطاولة . الكسندر بيترو فتش ، في ثياب رثة ، معه »

الكسندر بيتروفتش : اطمئن ، نستطيع أن نذهب إلى القوقاز بدون أي فلس . هناك ستتدبّر أمرك .

نيكولا ايفانوفتش : سنركب القطار حتى تولا ، ومن هناك سنذهب مشياً على الأقدام . هيّا . كل شيء جاهز .

(يضع الرسالة على الطاولة ويخرج . يصادف ماري ايفانوفنا) .

نيكولا ايفانوفتش : لمَ جئتِ ؟

ماري ايفانوفنا: لأرى ما تفعله .

نيكولا ايفانوفتش : عذابي فظيع .

ماري ايفانوفنا: كيف ؟ لماذا ؟ جئت، لأمنعك من ارتكاب عمل وحشي . لمَ تفعل هذا ؟ لمَ ؟

نيكولا ايفانوفتش : لمَ ؟ لأني لا أستطيع أن أستمرّ في العيش على هذا النحو . لا أستطيع أن أحتمل هذه الحياة البشعة الفاسدة .

ماري ايفانوفنا: هذا فظيع ! حياتي التي كرّستُها كلّياً لكَ ولأولادك ، حياتي أصبحت حياةً فاسدةً . (تشاهد الكسندر بيتروفتش). **اصرفْ هذا الرجل على الأقل ، لا أحب أن يكون شاهداً على هذا الحديث .**

الكسندر بيتروفتش : فهمتُ . سأذهب .

نيكولا ايفانوفتش : انتظرني هناك ، الكسندر بيتروفتش . سآتي على الفور .

(يخرج الكسندر بيزوفتش) .

ماري ايفانوفنا: ما الشيء المشترك الذي يمكن أن يكون بينك وبين مثل هذا الرجل ؟ ولا يمكن أن نفهم لماذا كان أغلى عليك من امرأتك . وإلى أين تذهب ؟

نيكولا ايفانوفتش : تركتُ لكِ رسالةً . لم أكن أُريدُ أن أكلّمكِ . فذلك شاقٌ جداً علي . لكنكِ إن رغبت فسأبذل جهدي لأقول لكِ رأيي بهدوء .

ماري ايفانوفنا: لا ، لا أستطيع أن أفهم ماستقول . لمَ تَكْرَهْ وتعاقبُ المرأةَ التي ضحّتْ بكل شيء من أجلك ؟ قلْ لي لمَ ؟ ألأني تردّدتُ على الحفلات الراقصة ، وكنتُ أحبّ الزينةَ ، وكنتُ مغْناجاً . حياتي كلها كانت مكرّسةً للأسرة . وقد أرضعْتهم بنفسي ، وربّيتُهم . وفي السنة الأخيرة كلها ، وقع عليّ كل عبء تربيتهم وعبء أعمالنا .

نيكولا ايفانوفتش، يقاطعها: هذا العبء وقعَ عليكِ لأنكِ لم تَرْضَيْ أن تعيشي كما اقترحتُ عليك .

ماري ايفانوفنا: لكنّ ذلك كان مستحيلا . اسأل مَنْ شئْتَ . من المستحيل أن نترك الأولاد أميين ، كما كنتَ تريد ، وأن أقوم أنا بالغسل والطبخ .

نيكولا ايفانوفتش : لم أُردْ ذلك قط .

ماري ايفانوفنا: لا يهمّ ، كان شيئاً من هذا النوع . لا ، أنتَ ، مسيحي ، تريد أن تفعل الخيرَ ، وتقول : إنكَ تحبّ الناسَ . فلماذا تعاقبُ المرأةَ التي كرّستْ لكَ حياتَها ؟ .

نيكولا ايفانوفتش : كيف أعاقبكِ ؟ إني أحبّكِ كثيراً ، لكن ...

ماري ايفانوفنا: كيف لا تعاقبني وأنت تهجرني ؟ وأنتَ ترحل ؟

وماذا سيقول الناسُ ؟ إحدى اثنتين : إمّا أنني امرأة سيئةٌ ، وإمّا أناك أنت مجنون .

نيكولا ايفانوفتش : لنفرضْ أنني مجنون ، لكن ليس بوسعي أن أحيا هذه الحياة .

ماري ايفانوفنا: ما الفظيع في دعوتي لأمسية مرةً في الشتاء كله ، وكنتُ أخشى بالضبط ألا يزعجك هذا . ثم اسأل مانيا وفارفار فاسيلييفنا كيف أن الجميع قالوا لي : إنه لا يمكن الاستغناء عن تلك الأمسية ، وأنها ضرورية . أهي جريمة إذن ، جريمة من أجلها أُسَرْبَلُ بالعار ! ولا أُسَرْبَلُ بالعار فقط ! الأهمّ هو أنك لم تعد تحبّني ، وأنك تحبّ الإنسانية على العموم ، وهذا السكيّر الكسندر بيتروفتش ، وأنا ما أزال أحبك ، ولا يمكنني أن أعيش بدونك . لماذا ؟ لماذا ؟

(تبكي) .

نيكولا ايفانوفتش : لكنك لا تريدين أن تفهمي حياتي ، حياتي الروحية .

ماري ايفانوفنا: أود أن أفهم لكنني لا أفهم . أرى أن مسيحيتك حماتْكَ على كره أسرتك وكرهي . أما من أجل أيّ هدف ، فذلك مالا أفهمه .

نيكولا ايفانوفتش : الآخرون يفهمون ذلك جيداً .

ماري ايفانوفنا: مَنْ ؟ الكسندر بيتروفتش الذي يبتزّ مالك .

نيكولا ايفانوفتش : هو وآخرون أيضاً، وتانيا ووفاسيلي نيكانوروفتش(١) لكنْ ما أهميّةُ ذلك . لو لم يفهم ذلك أحدٌ ، لما تغيّر شيءٌ .

ماري ايفانوفنا: فاسيلي نيكانوروفتش عاد إلى الطاعة ، واستأنف خدمته الكنسية ، أما تانيا فهي ترقص الآن وتغازل ستيوبا .

نيكولا ايفانوفتش : هذا مؤسف ! لكن هذا لا يمكن أن يجعل الأبيض أسود ؛ لا يمكنه أن يغيّر حياتي . ماري ! لم يبق فيّ فائدةٌ لكِ . دعيني أرحل . حاولتُ أن أشارك في حياتكِ ، أن أُدْخِلَ فيها قوامَ الحياة كلها عندي . لكن ذلك كان مستحيلاً . وينتج عن ذلك أنني أعذّبكِ وأتعذّب . وأنا لا أتعذّب فقط لكني أهْدم عملي . لكل واحدٍ ، حتى الكسندر بيتروفتش نفسه ، الحقُّ في أن يقول ، وهو يقول ، إنني لستُ سوى كذّاب ، وأنني أقول ولا أفعل ؛ وإنني أنادي بالفقر الإنجيلي ، لكني أعيشُ أنا نفسي في الترف بحجة أنني سلّمتُ كل شيء لامرأتي .

ماري ايفانوفنا: وهذا يضايقك بسبب الناس . ألا تستطيع أن ترتفع فوق ذلك ؟

نيكولا ايفانوفتش : هذا لا يضايقني ، لكنني أشعر بالخجل إذْ أهْدمُ العمل الإلهي .

ماري ايفانوفنا: أنتَ نفسك تقول : إن هذا العمل يتمّ بالرغم من

---

(١) فاسيلي نيكانوروفتش : هو الكاهن الشاب في الفصل الأول .

مقاومتنا . لكنْ ليس هذا هو الموضوع . قلْ لي ما الذي يجب أن أفعله ؟

نيكولا ايفانوفتش : قلتُ لكِ ذلك من قبل .

ماري ايفانوفنا: لكنك تعلم ، يا نيكولا ، أن ذلك مستحيل . فكّرْ إذن . ها هي لوبا مقبلةٌ على الزواج . وفانيا أصبح طالباً . وميشاوكاتيا يدرسان . كيف أحطّم ذلك كله .

نيكولا ايفانوفتش : وأنا ماذا ينبغي أن أفعل ؟

ماري ايفانوفنا: افعلْ ما تُنادي به : أن تتحمّل وتحب . ما الصعبُ في هذا ؟ ما عليكَ إلا أن تتحمّلنا ولا تحرمنا من وجودك . مهلاً ، ما الذي يعذّبك ؟

فانيا ، يدخل راكضاً : ماما ، الجميعُ يطالبونك .

ماري ايفانوفنا: قلْ لهمْ إني لا أستطيع المجيء . امضِ ، امضِ !

فانيا : لكنْ تعالي !

نيكولا ايفانوفتش : لا تستطيعين أن تَرَيْ ، ولا تريدين أن تفهميني .

ماري ايفانوفنا: ليست المسألة أنني لا أريد ، بل إنني لا أقدر .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، لا تريدين أن تَفْهمي ، ونحن نتباعدُ أكثر فأكثر . حاولي أن تركّزي فكرك فيَّ للحظة من الزمن ، أن تنتقلي بالفكر وستفهمين . وقبل كل شيء ، إن الحياة التي نحياها هنا حياةٌ فاسدة . أنتِ تغضبين عندما ألفظ هذه الكلمة ، ولكني لا أستطيع أن أدعو باسم آخر هذه الحياة التي تقومُ كلّها على النهب ، لأن المال الذي

تعيشين به هو ثمنُ الأرض التي تنتزعينها من الشعب . ثم إني أرى أن هذه الحياة تُفسد الأولاد : « ويلٌ لمن يُغْوي أحد هؤلاء الصغار » ، وأنا أراهم ، بعيني ، يَضيعون ويَفْسدون . لا أستطيع أن أرى سوى رجال يَرْتدون ثيابهم الرسمية ليَخْدموننا كالعبيد . كل عشاء فهو مصدرٌ لآلامي .

ماري ايفانوفنا: لكن ذلك كله موجودٌ دائماً . هذه هي الحالُ عند الناس جميعاً ، وفي الخارج ، وفي كل مكان .

نيكولا ايفانوفتش : لا أستطيع ، منذ أن أدركتُ أننا جميعاً إخوةٌ ، لا أستطيع أن أرى ذلك دون أن أتألم .

ماري ايفانوفنا: على خاطرك . يمكننا أن نخترع ماشئنا من الأشياء .

نيكولا ايفانوفتش ، بحرارة: هذا بالذات ، هذا النقصُ في الفهم هو المرُعب ! في هذا اليوم ، مثلاً ، قضيتُ الصبيحةَ في دار رجانوف(1) بين البائسين . رأيتُ في تلك الدار ولداً يموت من الجوع حقيقةً ؛ رأيت ولداً صغيراً أصبح مدمناً ؛ رأيتُ غسالةً مسلولةً تغسل البياضَ في النهر ؛ وأعود إلى منزلي فيفتح لي البابَ خادمٌ بربطته البيضاء ؛ ويأمرُ ابني ، وهو فتى ، هذا الخادمَ بأن يحمل إليه كأس ماء ، وأرى هذا الجيش من الخدم الذين يخدموننا . وأذهب بعد ذلك

---

(1) دار رجانوف : دار كبيرة في حي فقير في موسكو يسكنه جمهور الكادحين ، وقد زاره تولستوي في سنة ١٨٨٢ أثناء إحصاء السكان ووصفه وصفاً أخاذاً في مقالته : ماذا ينبغي لنا أن نفعل .

إلى بوريس الذي يبذل حياته في سبيل الدفاع عن الحقيقة ، فأرى ، أنهم يسوقونه عن عامٍ إلى الجنون والموت ، لكي يتخلّصوا منه ، وهو الشديد النقاء والقوة والثبات . أعلمُ علمَ اليقين أنهم يعاملون بمرض قلبه فيهيجونه ويجرونه إلى قسم المجانين الثائرين . آه ! لا ، هذا هو الفظيع ، الفظيع ! وعندما أعود إلى البيت هنا ، أعلم أن إحدى بناتنا التي كانت تفهم الحقيقة ، ولا تفهمني أنا فقط ، قد تنكّرت لخطيبها الذي عاهدتْه على الحب وتنكّرت للحقيقة في آن واحد ، وأنها تنوي أن تتزوج حقيراً ، كذّاباً . . .

ماري ايفانوفنا: أهذا تصرّفك المسيحي !

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، هذا شرٌّ ، وأنا مذنبٌ ؛ لكني أريد فقط أن تضعي نفسك مكاني . قلتُ فقط : إنها تخلّتْ عن الحقيقة . . .

ماري ايفانوفنا: أنتَ ، تقول : عن الحقيقة . الآخرون ، الأكثرية ، يقولون : عن الخطأ . هذا الكاهن فاسيلي نيكاروفتش الذي كان يظن نفسه مخطئاً ، ها هو يعود مع ذلك إلى أحضان الكنيسة .

نيكولا ايفانوفتش : أممكنٌ هذا ؟

ماري ايفانوفنا: كتبَ لليز . تستطيع أن تُريكَ الرسالة . كل ذلك هشٌ . نستطيع أن نقول الشيءَ نفسه عن تانيا . ولم أذكر الكسندر بيتروفتش لأن هذا لم يفعل ما فعله إلا من أجل المنفعة المادية .

نيكولا ايفانوفتش ، مغتاظاً : لِيكنْ . لكني أرجوك أن تفهمي . إنني اعتبرُ الحقيقةَ حقيقةً ، مع ذلك . يؤلمني جداً أن أذهب . لقد عدتُ إلى البيت ، فرأيتُ شجرةَ عيد الميلاد ، وحفلة راقصة ، ومئات الروبلات مُنْفَقَةً ، في حين يموت الناسُ من الجوع . لا أستطيع أن أحيا هكذا . ارحميني ! لم أعدْ أقدرُ على الألم . دعيني أرحلْ . وداعاً .

ماري ايفانوفنا: إن ذهبتَ ذهبتُ معك . وإذا لم أستطعْ أن أذهبَ معك رميتُ بنفسي تحت القطار الذي يُقلّك . ولْيهلكْ الأولادُ ، وميشا ، وكاتيا . إلهي ! إلهي ! ما هذا العذاب ! ماذا فعلتُ ؟ ماذا فعلتُ ؟

(تبكي) .

نيكولا ايفانوفتش ، عَبْرَ الباب : الكسندر بيتروفتش ، عُدْ إلى بيتك . لن أذهب . سأبقى ، كفى !

(يخلع سترته) .

ماري ايفانوفنا ، تقبّله: لم يَبْقَ في العمر مهلةٌ . يجب ألا نفسد حياتنا بعد ستة وعشرين عاماً من الحياة المشتركة . لن أقيمَ بعد الآن سهرات . لكنْ لا تُعاقبْني .

فانيا وكاتيا ، يصلان وهما يركضان : ماما ، استعجلي وتعالي .

ماري ايفانوفنا: أنا آتية ، أنا آتية . لقد غفر إذن كلانا للآخر .

(تخرج) .

نيكولا ايفانوفتش : هي طفلة ، طفلةٌ حتماً ، أو هي امرأةٌ ماكرةٌ . نعم ، طفلةٌ ماكرة . آه ! أرى أنكَ لا تريدُ أن أكون عاملاً في عمالكَ . تريد أن اتّضعَ لكي يستطيع الجميع أن يشيروا إليّ بأصابعهم : إنه يقول مالا يفعل . ليكنْ . هو أدْرى بما يلزمُه . الضعة والاتضاع . نعم ، لكن لا بد من أن أتمكنّ من الارتفاع إليه . . .

ليز ، تدخل : عفواً ، إني أحمل إليكَ رسالةً من الكاهن فاسيلي نيكانوروفتش . كتبَ إليّ ورجاني أن أوصل هذه الرسالة إليك .

نيكولا ايفانوفتش : أمن الممكن أن يكون ذلك صحيحاً ؟

ليز : نعم ، اقرأْ .

نيكولا ايفانوفتش : اقرئي انتِ ، أرجوكِ .

ليز ، تقرأ : « أكتبُ إليكِ راجياً أن توصلي ذلك إلى نيكولا ايفانوفتش . إني نادم على الخطأ الذي دفعني إلى ترك الكنيسة الارثوذكسية وأنا أفرح بالعودة إليها . أتمنّى لكِ ولنيكولا ايفانوفتش الشيء نفسه . أرجوكما أن تغفرا لي » .

نيكولا ايفانوفتش : شدّ ما عذّبوا هذا الفتى المسكين . لكن هذا فظيعٌ مع ذلك .

ليز : جئتُ أيضاً لأقول لك : إن الأميرة وصلت الساعةَ . هي فوق ، في غرفتي ، وهي في أشد حالات الهياج ، وهي تأبى إلاّ أن تراك . لقد رأت ابنها قبل حين . وأظن من

الأفضل ألا تَسْتقبلها . ما الشيء الحسن الذي يمكن أن ينتج من لقائكما ؟

نيكولا ايفانوفتش : لا ، ادعيها ؛ ربما كان هذا اليوم يوم امتحان رهيب .

ليز ، خارجة : سأستدعيها .

نيكولا ايفانوفتش : نعم ، يجب أن ينصبَّ تفكيرنا على أن الحياة ليست سوى خدمتك . يجب أن أعتقد أنك لا ترسل إليّ هذا الامتحان ! لا لأنك تظنّني قادراً على احتماله ، وأنك تُرسله على قَدْر قواي . وإلاّ لما كان امتحاناً . يا أبي ! أعنّي على تنفيذ مشيئتك لا مشيئتي .

الأميرة ، داخلةً : لقد قبلتَ باستقبالي . وأنتَ تشرّفني حين تستقبلني . تحيّتي لك . ولا أمدُّ يدي إليك لأنني أكرهكَ واحتقرك .

نيكولا ايفانوفتش : ما الذي حدث ؟

الأميرة : حدث مايلي وهو أنه أُرسِلَ إلى الفوج التأديبي . وأنت الذي فعل هذا !

نيكولا ايفانوفتش : يا أميرة ، إن كنتِ بحاجة إلى شيء فقولي لي ؛ لكنك إن كنتِ قد جئتِ لتُهينيني فقط ، فأنت تُتعبين نفسك لا غير . أما أنا فليس من إهانة تجرحني ، لأنني معك بقلبي ، وأنا أرثي لكِ .

الأميرة : يا لهذه الرحمة ! وذلك السموّ المسيحي ! لا ، يا سيد سارنتزيف ، لن تخدعني . عرفتُكَ الآن . أضعتَ

ابني ، ولستَ تُبالي بذلك ؛ فأنتَ تُقيم الحفلات الراقصة ، وخطيبة ابني ، ابنتك ، تتزوّج ، تعقد زواجاً بهجاً يُعجباكَ . وتتظاهر بأنك تحيا حياة البساطة ، وتمارس النِجارةَ ! كم تبدو لي مُقْرِفاً بنفاقك !

نيكولا ايفانوفتش : اهدئي ، يا أميرة ، قولي ما عندك . لانك لم تأتي فقط لتُهينيني .

الأميرة : ولهذا أيضاً . فأنا بحاجة إلى صبّ جام غضبي بعد أن تألمتُ كثيراً . لكنْ هذا ما يازمني : إنه يُنْقل إلى فوج تأديبي ولستُ أحتمل ذلك . أنت فعلتَ ذلك ، أنتَ ، أنتَ ، أنتَ !

نيكولا ايفانوفتش : الله فعل ذلك ، لا أنا . الله يرى كم أرثي لكِ . لا تُقاومي مشيئةَ الله . هو يريد أن يمتحنكِ . تحمّلي ذلك بالتسليم .

الأميرة : لا أستطيع أن أتحمّل ذلك بالتسليم . كانت حياتي كلها مركّزةً في ابني ، ولقد اختطفْتَه مني وأضعتَهَ . ليس بوسعي أن أظل هادئة . وقد جئتُ إليك ، وهي آخر محاولةٍ لي ، لأقول لك إنْ أضعتَه فعليك أيضاً أن تُنْقذه . اذهب وابذل وسعك لكي يطلقوا سراحه . اذهبْ وقابل السلطات . اذهبْ إلى القيصر ، اذهب إلى مَنْ شئتَ . فاذا لم تفعَلْ علمتُ ماذا سأفعلُ ، أنا . تعهّدْ لي بذلك .

نيكولا ايفانوفتش : علّميني ما الذي يجب أن أفعله . أنا مستعدٌ لكل شيء .

الأميرة : أكرّر ما قلتُه مرةً أخرى . يجب أن تنتقده . وإذا لم تَنْتقده فتذكّرْ ذلك . ودائماً .

(يتمدّد نيكولا ايفانوفتش على الأريكة . ينفتح البابُ يسمع صوتُ الموسيقا على نحوٍ أعظم) .

ستيوبا : بابا ليس هنا ، تعالوا !

(يدخل الأزواجُ صغاراً وكباراً) .

لوبا ، تشاهد أباها : آه ! أنتَ هنا ، سامحْنا .

نيكولا ايفانوفتش ، ناهضاً : لا أهمية لذلك . (يمرّ الأزواج ويظلّ وحده) . رَجعَ فاسيلي نيكانوروفتش . فقدتُ بوريس . لوبا تتزوج . أأنا في الخطأ ؟ في الخطأ لأنني أومنُ بكَ . لا . يا أبي . أعنّي .

ستار

الفصل الخامس(١)

المشهد — ١ —

« فوج تأديبي . المهجع . السجناء قعود أو نيام . بوريس يقرأ الإنجيل ويفسّره . يُساق سجينٌ مُعاقَب » .

الضابط للمعاقَب : آه ! لم يبقَ لك إذن من بوغاتشيف !

(تدخل الأميرة . تُطرَدُ . مشادّة مع ضابط . يُساق بوريس إلى الزنزانة ، ليُجْلَد) .

المشهد — ٢ —

« مكتب المايك . سيجارات ، مزح ، ملاطفات . يُعْلَن عن الأميرة . يُطْلَبُ أن تنتظر . يدخل أصحابُ الطلبات . يتحلّقون . تدخل الأميرة . رفضٌ . يخرجون » .

المشهد — ٣ —

ماري ايفانوفنا ، تكلّم الطبيب عن مرض زوجها : لقد تغيّر ، هو وديع ، لكنه واهن العزم .

---

(١) الفصل الخامس : لم تكد ترسم خطوطه الأولى ؛ وهو مجموعة من الملاحظات، هو مخطط الفصل .

نيكولا ايفانوفتش ، داخلاً : عدم جدوى العلاج . الروحُ أثمن . لكني أقبلُ من أجل زوجتي .

(تدخل تانيا وستيوبا ، لوبا وستاركوفسكي . يجري الحديث عن الأرض . يحاول ألا يجرح أحداً . يخرج الجميع . يبقى وحده مع ليز) .

نيكولا ايفانوفتش : إني متردّدٌ أبداً . أأحسنتُ صنعا . ألا يجب أن أفعل شيئاً . فقدتُ بوريس . رَجّعَ فاسيلي نيكانوروفتش. أنا قدوةٌ للضعف . أرى أن الله يأبى أن أكون خادمه . إن له الكثير من الخدم غيري . وهو بغنىً تام عني . إذا ما فهمنا ذلك بوضوح أكبر هدأتْ نفوسُنا .

(تخرج . يصلي . تدخل الأميرةُ بغتةً عليه ، وتجرحه جرحاً مميتاً . يُهرع الجميع . يقول : إنه جرح نفسه غلطاً . يكتب التماساً للقيصر . يأتي فاسيلي نيكانوروفتش مع الدوبوكريين . يموت . يفرح لأن كذب الكنيسة قد شُهِّرَ به ، ولأن الحياة كان لها معنى في نظره) .

ستار

كل الفضائل تأتي منها[1]
مسرحية في فصلين
١٩١٠

(١) كل الفضائل تأتي منها : مثل روسي ساخر عن الخمرة : « ماء الحياة » .

الشخصيات

العجوز آكولينا : ٧٠ سنة ، ما تزال متينة البنية ، رصينة ، على نمط الزمن القديم .

ميشيل : ابنها ، ٣٥ سنة ، مشبوب العاطفة ، ممتلىء بالأنانية والغرور ، قوي جداً ، متين البنية .

مرثا : كنّتها ، ٣٢ سنة ، متذمّرة ، تتكلم كثيراً وبسرعة .

باراشا : ١٠ سنوات ، بنت مرثا وميشيل .

الجابي تاراس : ٥٠ سنة ، رصين ، يتكلّم بهدوء ، ويعطي نفسه أهمية .

عابر سبيل : ٤٠ سنة ، نحيل ، يتكلم كثيراً ، وهو ثرثار ، وبخاصة عندما يشرب .

اينياس : ٤٠ سنة ، حكّاء ، مرح ، غبيّ .

جار : ٤٠ سنة .

تجري الأحداث في الخريف ، داخل كوخ خشبي .

الفصل الأول

المشهد — ١ —

« الأم آكولينا تغزل ؛ الزوجة مرثا تعجن ؛ الطفلة باراشا تهزّ الرضيع » .

مرثا : اوه ! قلبي لا يتوجّس خيراً . ما الذي مَنَعه من العودة ؟ هذا ، كالمرة الماضية عندما سافر مع الأخشاب وشرب بنصف المال تقريبا ، ثم إن كل شيء بعد ذلك سيرتدّ علي .

آكولينا : ما جدوى هذه الأفكار السوداء . لم يَفُتْ الوقتُ بعد . فالمكان بعيدٌ جداً . من شيء إلى شيء آخر . . .

مرثا : آكيم عاد منذ زمن . مع أنه سافر بعد رجاننا ؛ ورجانُنا لم يعدْ بعد . ما عندنا غيرُ الهمّ ، هذه سعادتي كلها . . .

آكولينا : آكيم ذهب بطاب ، أما رجاننا فذهب إلى السوق .

مرثا : ما كنتُ سأَقْلقُ لو كان وحده ، لكنه سافر مع اينياس . وعندما يكون مع هذا الخنزير فلا بدّ له من أن يَسْكر . عبثاً أكدح طوال النهار ، كل العبء يقع عليّ . لا بدّ لي على الأقل من بعض السرور . لكن سروري كله هو في الحركة من الصباح إلى المساء .

المشهد — ٢ —

« ينفتح الباب ويدخل تاراس ، يصحبه عابر سبيل رث الثياب »

تاراس : طابَ يومكم جميعاً . جئتكم بعابر سبيل .

عابر السبيل ، مسالماً: تحياتي لأصحاب البيت .

مرثا : أنتَ تُكثِر علينا من هؤلاء العابرين . آوينا واحداً نهار الاربعاء . الدورُ دورُنا دائماً . كان يجب أن تأخذه إلى بيت ستيبايند . فليس عنده أولاد . أما أنا فعندي من العمل ما يكفيني مع أهل بيتي . وأنت تأتي بهم دائماً إلينا .

تاراس : كل واحد بدوره .

مرثا : مهما تقلْ فان عندي أولاداً . ثم إن صاحب البيت ليس هنا .

تاراس : لا يحتاج إلا إلى النوم ، ولن يَحمل مكانه معه .

آكولينا ، للعابر : ادخلْ ، تعال واجلسْ ، أهلاً بك .

عابر السبيل : أشكركِ كثيراً . هل تتفضّلون باطعامي ، إن أمكنَ ؟

مرثا : لم تكدْ ترانا ، وتطالب على الفور طعاماً . ألم تجلْ في القرية ؟

عابر السبيل ، متنهّداً : ليس هذا من عادتي ،في مثل وضعي . وليس معي زادٌ .

(تنهض آكولينا ، وتتناول رغيفاً ، وتقطع منه قطعة وتقدّمها له) .

عابر السبيل ، يأخذ الخبز : شكراً .

(يمضي ويجلس على متكأ النافذة ويأكل بشراهية) .

تاراس : وأين ميشيل ؟

مرثا : حَملَ العلَفَ إلى المدينة . حان وقتُ عودته لكنه لم يصلْ بعد . يخْطر ببالنا دائماً أنْ قد حَدثَ له حادث .

تاراس : ماذا يمكن أن يحدث له ؟

مرثا : لن يحدث له خيرٌ يُذكَر ، أما الشر فيمكن أن نتوقّعه دائماً .

آكولينا ، تعود إلى الغزل وتخاطب تاراس مشيرة إلى مرثا : إنها لا تتوقف عن الكلام أبداً . وما فائدة الكلام ؟ أعلمُ ، بالطبع ، أننا ، نحن النساء ، مهمومات دائماً ، في حين أنه لا يكاد يخرج من البيت حتى يرمي همومه عن ظهره . وفي هذه الحالة ، نتوقّع في كل لحظة أن نراه يعود إلى البيت سكران .

مرثا : كنا سنكون أقل قلقاً عليه لو كان وحده ؛ لكنه اصطحب اينياس .

تاراس ، مبتسماً : واينياس ايفانوفتش هو حقاً هاو كبير للشراب .

آكولينا : كفى كلاماً ، إنه لم ير اينياس كثيراً . وسيذهب في طريقه كما أن اينياس سيذهب في طريق أخرى .

مرثا : قولي ما شئتِ ، يا أمي . أما أنا فقد وصلتْ الأمورُ إلى هنا . (تشير إلى حنجرتها) . مادام بلا شراب فأنا لا أذمّه ،

لكنه إن شرب فأنتِ تعلمين كيف يصبح . لا يجوز لي أن أفتح فمي . مهما أفعلْ فكل شيء يضايقه .

تاراس : آه ! من النساء المسنّات ! لنفرضْ أنه شرب . طيّب ! دَعيه يشرب قليلاً ، ذلك النفّاج . فاذا ما غفا غفْوة عاد كل شيء إلى طبيعته . لكنكن ، أنتن ، تُحببْن المشاكسة .

مرثا : افعلْ ما تشاء فعندما يسكر لا يرضيه شيء .

تاراس : لكن حاولي أن تفهمي . في بعض الأحيان ، لا يَسعُنا إلا أن نشرب . أنتن النساء المسنّات تبقين في البيت ، أما نحن فلا نستطيع ذلك ؛ إن لنا أعمالا ، أو قد نكون بين الناس . وحينئذٍ نشرب جرعة ، وليس ذلك شراً عظيماً .

مرثا : مهما تقل فنحن جديرات بالرثاء . اوه ! ما أشقّ حياتنا ! لو أُجبرتَ على أن تعمل عملنا لمدة ثمانية أيام فقط لقلتَ الكثير ! يجب أن نَعْجن ونخبز ونطبخ ونغزل وننسج ، ونهتم بالماشية وبالبيت ، ثم يجب أن نغسل الصغار وأن نُلبسهم ونُطعمهم . كلُّ شيء على ظهرنا ، وأقلُّ الأشياء يُضايقه ، هو نفسه يُقرّ بذلك ، ولا سيما عندما يشرب . اوه ! ما أشقى النساء !

عابر السبيل ، وهو يمضغ : هذه هي الحقيقة جميع كوارث الحياة تأتي من الكحول : إنها مَصْدر كل شر .

تاراس : عجباً ، وأنتَ أيضاً تشكو من الكحول .

عابر السبيل : ليس الأمر كذلك تماماً ، لكنني كابدت آلاماً منها ، وكان يمكن أن يكون مجرى حياتي مختلفاً أشدّ اختلاف .

تاراس : برأيي ، أننا إذا شربْنا شرباً معقولاً ، فإن يضرّنا ذلك .

عابر السبيل : وأنا أقول : إن في الكحول قوةً عطالة كبيرة قادرة على أن تفسد الإنسان كلّياً .

مرثا : هذا بالذات ما قلتُه : كدّي ، واجتهدي ، فلن تنالي إلا مكافأة واحدة : أن تُشْتمي وتُضْربي كالكلاب .

عابر السبيل : وأكثر من ذلك ، أن مِنْ بين هؤلاء الأشخاص مَنْ يَفْقد عقله تماماً ومن يَفْعل أشياء لا يجوز أن تُفْعَل . فهو ما لم يشربْ لا يمسّ شيئاً ، مهما أعطيتَه ؛ لكنه ما ان يشرب حتى يحمل كل ما يقعُ تحت يده . كم ضُربتُ ، بل إنني سُجنت . ما دمنا لم نشرب نفعل كل شيء بشرف وبشكل ملائم — وما إن يشرب ذلك الشخص الذي أحدثك عنه حتى يلتقط كل ما يقع تحت يده .

آكولينا : أعتقدُ أن ذلك يتوقّف على الشخص .

عابر السبيل : يتوقّف على الشخص ما دام في صحة جيدة ، أما هذا فهو مَرَضٌ .

تاراس : عجباً ، مرضٌ ! ما يلزمه إنما هو ركلةٌ قوية ، فمثل هذه الركلة تزيل المرض بسرعة . في هذه الأثناء أتمنّى لكم مساءً سعيداً .

(يخرج . تُنشّف مرثا يديها وتستعد للخروج) .

آكولينا ، تنظر إلى عابر السبيل وترى أنه أكل خبزتَه : مرثا ، يا مرثا ، أعطيه خبزاً أيضاً .

مرثا : ما أكله كافٍ . سأذهبُ لأرى السماور قليلا .

(تخرج ، تنهض آكولينا ، وتدنو من الطاولة ، وتأخذ الرغيف وتقطع منه قطعةً تقدّمها لعابر السبيل) .

عابر السبيل : شكراً ، كان بي جوعٌ شديد .

آكولينا : أنت عامل ؟

عابر السبيل : أنا ؟ كنت ميكانيكياً .

آكولينا : أكان مُربحاً عملُكَ ؟

عابر السبيل : كنتُ أحصل على خمسين روبلاً ، وحتّى ستين روبلا . . .

آكولينا : يا لها من مشكلة ! وكيف تصرّفتَ حتّى وصلتَ إلى هذه الحالة ؟

عابر السبيل : لست وحدي الذي وصل إلى هذه الحالة . وإنما وصلتُ إلى هذه الحالة لأن الأزمنة تغيّرت بحيث أن الرجل الشريف لا يستطيع أن يعيش اليوم .

مرثا ، حاملةً السماور : يا ربي ! لم يأتِ بعد . لن أفلتَ ، سيأتيني سكران . قلبي يُحسّ بذلك .

آكولينا : حقاً ، لعله كان منهمكا في المجون ؟

مرثا : بلا شك ! العبء كله علي . يجب أن أعجن ، يجب أن

أخبز ، يجب أن أطبخ ، وأغزل وأنسج ، وأهتم بالماشية ، كل العبء يقع علي . وهؤلاء الصغار (يبكي الرضيعُ في مهده) . باراشا ، هزّي الصبي ! اوه ! يا لهذه الحياة الشقية ! عندما يشرب لا شيءَ يرضيه ! . . . والويل لمن يقول كلمةً منحرفةً . . .

آكولينا ، تنقع الشاي : عجباً ، هذا آخر ما بقي من الشاي ! هل فاتَه أن يحمل معه شاياً ؟

مرثا : بلا شك . كان ينوي أن يأتي بالشاي . فهل يأتي به ؟ هل يخطر البيتُ بباله ؟

(تضع السماور على الطاولة ، يبتعد عنها عابر السبيل) .

آكولينا : لم ابتعدتَ عن الطاولة ؟ ستتناول الشاي .

عابر السبيل : أشكرك على حُسْنِ ضيافتك .

(يرمي بسيجارته ويدنو من الطاولة) .

مرثا : وما وضعُكَ ؟ أنتَ فلاحٌ أم شيء آخر ؟

عابر السبيل : الواقع أنني لستُ فلاحاً ولست نبيلاً ، أنا بينهما .

مرثا : وكيف ذلك ؟

(تقدّم له فنجاناً) .

عابر السبيل : شكراً . ذلك أن أبي كان « كونتاً » بولونياً ، ثم كان لي آباء كثيرون ، ثم كان لي أمّان .

آكولينا : ياربي ! كيف ذاك ؟

عابر السبيل : هكذا : كانت أمي تعيش في الدعارة ، أي في تعدّد الزوجات . وكان لي آباء كثيرون . وكان لي أمّان ، لأن الأم التي ولدتني تركتني وأنا في طفولتي الأولى . لكن البوابة عطفتْ علي وآوتني . سيرةُ حياتي ، على الإجمال ، مربكة جداً .

مرثا : اشربْ شايك . طيّب ! ثم درّبوك على الصنعة ؟

عابر السبيل : لم يكن تدرّبي باهراً . لم تكن أمي الحقيقية ، بل أمي المتبنّية هي التي وضعتْني عند حداد . أي ان الحداد كان أوّل من ربّاني . وكانت تربيتُه تقوم على أنه كان يَضْرب على رأسي أكثر مما كان يَضْرب على سندانه وعبثاً كان يضرب ، فانه لم يستطعْ أن يُزيل مني مواهبي ، مع ذلك . ثم اشتغلتُ عند صانع أقفال ، وهناك كُرِّمتُ وبلغتُ هدفي . وصرتُ عاملاً أول ، وتعرّفتُ بأشخاصٍ متعلّمين ، وأصبحتُ عضواً في الحزب . واستطعتُ أن أتآلف مع الموهبة الخطابية . وكان يمكن أن تكون حياتي راقيةً لأنني كنت أملك موهبةً عظيمةً .

آكولينا : لا شك .

عابر السبيل : وهنا جرَفني الإعصار ، أي النير المستبد بحياة الشعب ، وسُجنتُ ، وبالتالي حُرمتُ من حريتي .

مرثا : ولمَ ذاك ؟

عابر السبيل : من أجل الحقوق ؟

مرثا : أية حقوق ؟

عابر السبيل : أية حقوق ؟ الحقوق التي تَقْضي ألاّ يظل البرجوازي بلا عمل ، وأن ينال الكادحُ الذي يعمل أجْرَ عمله .

آكولينا : وأيضاً بصدد الأرض ؟

عابر السبيل : بدون شك ! بصدد المسألة الزراعية أيضاً .

آكولينا : عسى أن يُنعِمَ الربُ علينا بهذه النعمة ، والعذراء ! فنحنُ في ضيقٍ شديد .

عابر السبيل : وحينئذٍ جرفَتْ قاربي ، من جرّاء ذلك ، أمواجُ بحر الوجود .

آكولينا : والآن .

عابر السبيل : والآن ؟ الآن سأذهب إلى موسكو . سأعرض نفسي على أحد المستغلّين . ماذا تريدين مني ، سأرضخ ، سأقول له : أعطني أيّ عمل شئتَ ، وخُذْني » .

آكولينا : هيّا ، اشربْ بعدُ .

عابر السبيل : ألف منّةٍ لكِ ، أي شكراً .

(تُسْمعَ ضجة وكلامٌ عند المدخل) .

آكولينا : آه ! هذا ميشيل يأتي في موعد الشاي بالضبط .

مرثا ، تنهض : آه ! يا ويلي ! ها هو مع اينياس . معنى ذلك أنه سكران .

(ميشيل واينياس يَدْلفان من الباب . كلاهما سكران) .

اينياس : مساء الخير يا جماعة . (يصلي صلاةً قصيرة وهو يرسم

علامة الصليب أمام الأيقونات) . ها نحن قد وصلنا أخيراً . . . في موعد الشاي بالضبط . ذهبْنا إلى الصلاة ، فكانت مُرتّلةً ؛ ذهبنا إلى الغداء ، فكان مأكولاً ؛ ذهبنا إلى الحانة فكان الموعدُ مضبوطاً . ها ! ها ! ها ! أعطونا شاياً نقدّمْ لكم خمراً . هل هذا مُرْضٍ ؟

(ينفجر ضاحكاً) .

ميشيل : من أين جاءَ هذا الرجلُ ؟ (يُخرج من قفطانه زجاجةً ويضعها على الطاولة) . هاتِ الكؤوس .

آكولينا : ماذا ، هل وُفِّقتَ ؟

اينياس : وكيف لا ، شربنا ، ولَهَوْنا ، وجئنا بشيء من الغلّة إلى البيت .

ميشيل ، يصبّ في الكؤوس ، ويقدّم كأساً لأمه ، وكأساً لعابر السبيل : خذْ ، اشربْ أنتَ أيضاً .

عابر السبيل ، يتناول الكأس : أشكرك بصدق ، على صحّتك .

(يشرب) .

اينياس : انظر ، يا رجل ، كيف يعبّ الخمرَ . على الريق، تسري هذه الخمر في عروقك .

(يملأ له كأسه مرة أخرى) .

عابر السبيل ، يشرب : عسى أن تُوفّقوا في كل مشاريعكم .

آكولينا : حسناً ! وهل وفّقتم في بيعكم ؟

اينياس : وُفّقْنا أم لم نوفّق ، لقد شربْنا بكل شيء . أليس كذلك ، يا ميشيل ؟

ميشيل : أجل ! لا داعي للانزعاج . يحق لنا أن نلهو مرّةً .

مرثا : لا داعي لأن تتباهى . لا خيرَ في ذلك . نحن نموت من الجوع في البيت ، وأنت ترتكب الحماقات .

ميشيل ، مهدّداً: مرثا !

مرثا : ماذا ، مرثا ! أنا أعلم جيداً أنني مرثا . آه ! كنتُ أودّ فقط ألا أراك ، أيها السكير الوقح .

ميشيل : انتبهي ، مرثا !

مرثا : لا أريد أن انتبهَ ولا أريد أن أراك .

ميشيل : قدّمي الخمر ، قدّميه للمدعوين .

مرثا : أفٍ منك ، أيها الكلبُ الوقحُ ! لا أريد أن أكلّمكَ .

ميشيل : لا تريدين ! يا جيفة ! ماذا قلتِ ؟

مرثا ، تهزّ الرضيع ، فيدنو منها الولد ، مرعوباً : ماذا قلتُ ؟ قلتُ : إني لا أريد أن أكلّمكَ ، هذا كل ما في الأمر .

ميشيل : أنسيتِ ؟ (ينهض عن الطاولة ، ويضربها على رأسها ، وينتزع منديلها) . هذه واحدة !

مرثا : اوه ! اوه ! اوه !

(تجري باكيةً إلى الباب) .

ميشيل : لن تذهبي ، يا حقيرة !

(يَنْقض عليها) .

عابر السبيل ، ينهض على عجل عن الطاولة ويمسك بميشيل من يده : لا حقّ لك في ذلك .

ميشيل ، يقف وينظر إلى عابر السبيل بذهول : أتشتهي أن ينالكَ الضربُ ؟

عابر السبيل : لا حقّ لك في أن تُعرِّضَ النساءَ للإهانة .

ميشيل : آه ! يا بن الكلبة ! أترى هذه ؟

(يُريه قبضته) .

عابر السبيل : لن أسمح بالشروع في استغلال النساء .

ميشيل : سأركلك ركلةً عجيبة .

عابر السبيل : اضربْني ! هيّا ! اضربْني !

(يدير له خدّه)

ميشيل ، يهزّ كتفيه ويباعد بين يديه : طيبّ ! وإذا بدأتُ . . .

عابر السبيل : لن يزيد ذلك في الأمر شيئاً ! اضربْ !

ميشيل : أرى أنك رجل غريب الأطوار .

(يخفض ذراعيه وهو يهز رأسه) .

اينياس لعابر السبيل : يتّضحُ على الفور أنك مشغوفٌ بالنساء .

عابر السبيل : أنا مشغوف بالحق .

ميشيل لمرثا ، يدنو من الطاولة وهو يتنفّس بصعوبة : طيّب ! مرثا ، أضيئي شمعةً لهذا . فاولاه لهشّمتك .

مرثا : ماذا يمكن أن أتوقّع منك ، يجب أن أتعذّب طوال العمر ، فأعجنُ وأخبز ، ثم . . .

ميشيل : دعي ذلك ، كفى ، حسبُكِ . (يملأ كأس عابر السبيل مرة أخرى) . اشربْ . (لزوجته) . لمَ تتباكين ؟ ألا يمكن أن نمزح قليلا ؟ هذا هو المال ، صرّيه : ورقتان من ذوات الروبلات الثلاثة ، وقطعتان من ذوات العشرين كوبيكاً .

آكولينا : والشاي ، والسكر ، الذي طلبتُ أن تأتي بهما ؟

ميشيل ، يُخرج من جيبه سفطاً ويعطيه زوجتَه . تأخذ مرثا النقود والمشتريات وتذهب إلى غرفة المهملات ، وهي تُصلح منديلها بصمت : ما أسخف النساء ! (يصب لعابر السبيل مرة أخرى) . خذْ ، اشربْ .

عابر السبيل ، لا يشرب : اشربْ ، أنتَ نفسك .

ميشيل : هيا ، لا تتدلّلْ .

عابر السبيل : على صحّتكَ .

اينياس ، لعابر السبيل : لا شك أنك رأيتَ الكثير في حياتك . او ! ما أجمل سترتك ، نظاميّة حقاً ! أين استطعتَ أن تجدَ مثل هذه السترةَ ؟ (يشير إلى سترته الرثّة) . أنت في غنىً عن إصلاحها ، فهي تلائمك جيداً ، بدون ذلك . آه ! لو كان لي مثلُها ، لأحبّتني النساءُ ! (لمرثا) . أليس صحيحاً !

آكولينا : لا داعي ، يا اينياس ، للهُزْءِ برجلٍ لم يَصْنعْ بك شيئاً .

عابر السبيل : إنما قال ذلك بدافع الجهل .

اينياس : قالتُه بدافع الصداقة . اشربْ .

(يملأ كأسه ، عابر السبيل يشرب) .

آكولينا ، بيد أنك قلت : إن ماءَ الحياة مصدرُ جميع الشرور وأنك سُجنتَ بسبب ذلك .

ميشيل : بسبب ماذا سُجِنْتَ ؟

عابر السبيل ، وقد سكر بشدّة : تألمتُ بسبب عمليات السَّطْو(١) .

ميشيل : وكيف ذاك ؟

عابر السبيل : حسناً ! أتينا بيته ، بيت ذي الكرَشْ الضخم . قُلنا له : « هات المال أو دونَكَ المسدس » . تملّصَ ؛ وكان لا بدّ له من أن يَدْفع ألفين وثلاث مئة روبل .

آكولينا : يا ربي !

عابر السبيل : أردْنا أن نأخذ المبلغ . كان زمبريكوف يقودنا . وفجأةً وصلَ هؤلاء الغربان . فأوْقفونا ووضعونا في السجن .

---

(١) السطو : السطو ذو الأهداف الثورية كان كثير الوقوع في سنة ١٩٠٥ وفيما بعد . وأشهر عملياته عملية جوزيف ستالين الذي استولى بالسلاح على البريد في « تفليس » ، وعملية جوزيف بيلسودسكي الذي أوقف قطاراً للبريد قرب فيلنا . وكان بعض قطاع الطرق يفعلون ذلك لمصلحتهم الخاصة .

آكولينا : واستردّوا المال منكم ؟

عابر السبيل : بلا شك . لكنْ كان من المستحيل عليهم أن يتّهموني .
في الجلسة ، قال لي النائبُ العام : « أنتَ سرقتَ المال ؟ »
لكنني أجبتُه : « اللصوصُ هم الذين يسرقون . أما نحن فنقوم بالسطو من أجل الحزب » . فلم يجدْ مايَرُدُّ به على ذلك . عبثاً حاول أن يجيب ، لم يجد ما يردّ به .
فقال : « خذوه إلى السجن » ، أي ضَعوا حدّاً لحياته الحرّة .

اينياس ، لميشيل : ما أمهره ، ابن الكلبة هذا . هو شجاع . (يصبّ له) . اشربْ ، أيها الحيوانُ الوسخُ . . .

آكولينا : أفٍّ ! ما أبذأَ كلامَك !

اينياس : يا جَدّة ، ليس هذا كلاماً بذيئاً ، هذه طريقتي في التعبير ، . . . على صحتك ، يا جَدّة .

(تدنو مرثا من الطاولة وتقدّم الشاي) .

ميشيل : هذا شيء حسنٌ . لا داعي للغضب . ها أنا أقول لمرثا : شكراً . أنا أقدّرها كثيراً ، (لعابر السبيل) ما رأيُكَ ؟ (يقبّل زوجته) . إني اقدّرها كثيراً ، امرأتي ، أقدّرها تقديراً عظيماً . بكلمة واحدة ، امرأتي من الصنف الأول . لا أقْبلُ أن أبدّلها أيَّ شيء في الدنيا .

اينياس : هذا حسن . جَدّه آكولينا ، اشربي . أنا صاحبُ الوليمة .

عابر السبيل : هذه هي قوّة العطالة . قبل قليل كان كلٌّ واحد يُخلد إلى الكآبة ، أما الآن فلا يوجد سوى البهجة ، سوى الاستعدادات الودّية . يا جدّة ، أنا أحبّك ، وأحبّ جميع البشر ، إخوتي الأعزاء .

(يُنشد نشيداً ثورياً) .

ميشيل : كم فعلتْ هذه برأسه ، بعد صيامه .

ستار

الفصل الثاني

« الكوخ نفسه . في الصباح » .

« مرثا وآكولينا . الزوج ينام » .

مرثا ، تتناول فأساً : سأقطّع حطباً .

آكولينا ، تمسك بسطل : كان سيَضْربُك البارحة لولا ذلك الرجل . لكننا لم نره بعدها . أيكونُ قد سافر ؟ لا بدّ أنه سافر .

(تخرجان الواحدة بعد الأخرى) .

ميشيل ، ينزل عن الموقد : عجباً ، ارتفع النهارُ . (يرتدي ملابسه ويحتذي حذاءه) . لا شك أنها ذهبتْ مع العجوز لتأتي بالماء . رأسي يؤلمني ، يؤلمني كثيراً . لا أريدُ بعد الآن ... إلى الشيطان (يصلي ويغسل وجهه) . حان وقتُ رَبْط الجواد .

(تدخل مرثا حاملة حطباً) .

مرثا : هل سافر متسوّل البارحة ؟

ميشيل : لا بد أنه ذهب ، لقد اختفى .

مرثا : ليكنْ . لا شك أنه رجلٌ ذكي . قال إنه كان يكسب خمسين روبلاً في الشهر . لا شك أنه رجل طيّب .

ميشيل : يبدو لك طيباً ، لأنه دافعَ عنكِ .

مرثا : وما أهميةُ ذلك عندي ؟

(ميشيل يرتدي ثيابه) .

مرثا : هل خبّأتَ السكر والشاي ؟

ميشيل : ظننتُ أنك أخذتِهما .

(تدخل آكولينا ، حاملةً سطلاً) .

مرثا ، للعجوز : هل أخذتِ الأسفاط ، يا أمي ؟

آكولينا : لا علمَ لي بها .

مرثا : وضعتُها البارحة على متّكأ النافذة .

آكولينا : رأيتُ ذلك .

مرثا : وأين هي ؟

(يفتّشون) .

آكولينا : إنها لمصيبة !

(يدخل جارٌ) .

الجار : قل لي ، يا ميشيل ، هل ستذهب لإحضار الخشب ؟

ميشيل : بدون شك . سأَرْبط الجواد في الحال . لكن انظرْ ، لقد أضعْنا شيئاً .

الجار : عجباً ! وما هو ؟

مرثا : اشترى ميشيل أمس شايا وسكراً من المدينة ، ووضَعها على متّكأ النافذة . لم يخطر ببالي أن أخبّئها . ولم نجد ذلك اليوم .

ميشيل : نحن نشكّ في عابر سبيل نامَ هنا .

الجار : ما هيئة عابر السبيل هذا ؟

مرثا : شخصٌ نحيلٌ وبلا لحية .

ميشيل : وهو يرتدي سترةً رثّةً .

الجار : وهو جعدُ الشعر ، محدّب الأنف ؟

ميشيل : أجلْ .

الجار : صادفتُه الساعةَ . ودهشتُ حين رأيتُه يمشي بسرعة .

مرثا : لا بدّ أنه هو . أكان ذلك بعيداً ؟

الجار : أظنّ أنه لم يَعْبر الجسر بعد .

ميشيل ، يأخذ قبّعته ويخرج مسرعاً مع الجار : يجب أن نلحق به . هذا لصٌ . هو الذي . . .

مرثا : آه ! أيّة خطيئة ، أية خطيئة ! هو بعينه ، من غير شك . . .

آكولينا : وإنْ لم يكنْ هو ؟ منذ نحو عشرين عاماً ، شاع أن رجلاً أخذ حصاناً . وتجمّع الناس . قال أحدهم : « أنا رأيتُه عندما فكّ رسنه » . وقال الآخر : « رأيتُه وهو يقوده . لأن الحصان ، يا عمّ ، كان خصيّاً وتُمكن ملاحظتُه بسهولة » . تجمّع الناس ، وبحثوا ، ووجدوا ذلك الرجل في الغابة . قالوا له : « هذا أنتَ » ، فأقسم بالأَيْمان المغلّظة أنه ليس هو . « لا داعي للانتباه إلى ما يقول . . . النساء مُحتمّاتٌ في أنه هو » . وقال شيئاً فظّاً . فالتفت إليه ايغور لابوشكين الذي مات ، والذي كان هائجاً ،

ولطمه لطمةً في وجهه دون أن يسأله لماذا وكيف ، وقال له : « هذا أنتَ » . ضربه ضربةً ، وحينذاك أخذ الجميعُ يضربونه بأيديهم ، ويركلونه بأرجلهم ، ضربوه حتى مات . وفي اليوم التالي ، وجدوا اللصَّ الحقيقي ، ولم يكن ذاك الذي ضُربَ لصاً . كان قد ذهبَ إلى الغابة ليَقْطعَ شجرة . . . .

مرثا : بدون شك ، يجب ألا نتّهمه زوراً . ومع أنه في وضع بائس إلا أنه رجلٌ طيب .

آكولينا : سَقطَ إلى الحضيض . لا يُرجى خيرٌ من هذا الرجل .

مرثا : أسْمعُ ضوضاءَ هم ، لا بدّ أنهم يقتادونه .

(يدخل ميشيل والجار ، وشيخ وشاب . وهم يدفعون أمامهم عابر السبيلَ) .

ميشيل ، ممسكا بالسفط الذي يحتوي على السكر والشاي : وجدناه في جيب بنطاله ! أيّ سارق ، ابن الكابة هذا !

آكولينا ، لمرثا : إنه هو ، الحقير ! إنه يَخْفض رأسه . .

مرثا : إنما تكلّم عن نفسه البارحة عندما قال : ما إن يشرب الإنسانُ حتى يسرق كل ما يقع تحت يده .

عابر السبيل : لستُ سارقاً . أنا ساطٍ على الملكية . يجب أن أعمل وأن أعيش . ليس بوسعكم فهمي . افعلوا ما تشاؤون ....

الجار لعُمدْة القرية : يجب أن نقوده إلى كبير القرية ، أو إلى مفوّض الشرطة رأساً .

عابر السبيل : قاتُ لكم : افعلوا ما تشاؤون . لستُ أخشى شيئاً ، ويُمْكنني أن أتألم من أجل آرائي . لو كنتم متعلّمين لفهمتوني .

مرثا ، لزوجها : ليكنْ . لقد عثرْنا على السفط . يمكننا أن نتركه ، ولا ضيرَ من ذلك .

ميشيل ، مردداً كلمات زوجته : « ولا ضَيْرَ من ذلك » . أنا بغنىً عن وَعْظِكِ . لولاك لحَزنا كيف نفعل !

مرثا : قلتُ فقط : يستطيع أن ينصرف .

ميشيل : يستطيع أن ينصرف ! بدونك نحار كيف نفعل ، أليس كذلك ؟ صحيح ، يا غبيّة ، يستطيع أن ينصرف . فَلْينصرفْ ، لكن يجب أن أقول له شيئاً ، لكي يحسّ بما فعل . (لعابر السبيل) . اصغِ ، يا سيدي ، إلى ما سأقوله . مع أنك في وضع بائس إلا أنك تصرّفتَ تصرّفاً سيّئاً ، سيّئاً جداً . غيري كان سيحطّم أضلاعك من أجل هذا ، وكان سيقودك فوق ذلك إلى مفوّض الشرطة ؛ أما أنا فأقول لك الشيء التالي : لقد أسأت التصرّف وما بعد ذلك سوء ، لكنك في وضع بائس جداً ، ولا أحبّ أن أضرّك . انصرف بجاه الله ، ولا تعدْ إلى ذلك في المستقبل . (يلتفت إلى زوجته) . وأنتِ أردتِ أن تعظيني !

الجار : لا داعيَ لذلك ، يا ميشيل . أوه ! أنت مخطىء إذ تشجّعهم .

ميشيل : هذا شأني إن كان هناك داعٍ أم لا . (لزوجته) . أنتِ تريدين أن تعظيني . (يتوقّف ، ينظر إلى السفط ، ويعطيه

عابرَ السبيل بحركة حاسمة ، وهو يلتفت لينْظر إلى زوجته) .
هيّا ، خذْ هذا ، تستطيعُ أن تشرب شاياً في طريقك .
(لزوجته) . تريدين أن تَعظيني ؟ هيّا ، هيّا ، لا داعيَ للكلام .

عابر السبيل ، يأخذ السفط بصمت : أتظنّ أنني لا أفهم ؟ (يتهدّج صوتُه) . أنا أفهم تماماً . لو ضربْتَني كما يُضْربُ الكلبُ ، لكان ذلك أقلّ إيلاماً لي . ألا أُدرك مَنْ أنا ؟ أنا شقيٌّ أي منحطّ .
سامحْني بجاه الله .

(ينتحب ، يرمي بحدّة سفطَ الشاي والسكر على الطاولة ويهرب) .

مرثا : الحمدُ لله أنه لم يأخذ الشاي ، ولا لما استطعت أن أعمل شاياً .

ميشيل : أنتِ ، أردتِ أن تعلّميني كيف أعيش .

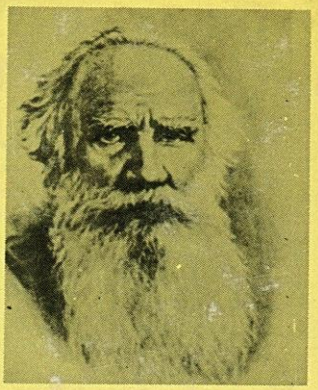
الجار : آه ! البائس ، ما أشدّ بكاءَه !

آكولينا : ذلك لأنه كان إنساناً ، فيما مضى من الزمن .

ستار

الفهرس

٣٠٠٠ ط١ ١٩٨٩/٢/



ليون تولستوي

الأعمال الأدبية الكاملة

هذا هو المجلد الرابع عشر من مؤلفات تولستوي الادبية الكاملة ، والجزء الأول من الأعمال المسرحية الكاملة ، نقلها عن طبعة Rencontres في لوزان (سويسرا) الاستاذ صياح الجهيم بأسلوب مشرق يجمع بين الدقة العلمية ومتانة العبارة العربية .

سعر النسخة داخل القطر
١١٠ ل.س

في الاقطار العربية مايعادل
٢٠٠ ل.س

الطبع وفرز الألوان في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٨٩